محمود محمد طه

رئيس الحزب الجمهوري

يقدم

مشكلة الشرق الأوسط

تحليل سياسي

إستقراء تاريخ

حل علمي

محمود محمد طه
رئيس الحزب الجمهوري

يقدم

مشكلة الشرق الأوسط

تحليل سياسي

استقراء تاريخي

حل علمي

أم درمان - سودان
أكتوبر ١٩٦٧م
رجب عام ١٣٨٧هـ

Scanned with CamScanner

الاهـــداء

اذا كنت مؤمنا بالله ، ثم بكرامة الانســان ـ كرامة الفكر ـ فان هـذا الكتاب لك .. وان لم تك مؤمنا فمن الخير لك ان تؤمن ، بل لابد لك من ان تؤمن وسيكون هذا الكتاب لك .

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن يبتغ غير الاسلام
دينـــا فلن يقبـــل منه وهو
في الآخـــرة من الخاسرين »

ـ صدق الله العظيم ـ

مقـــدمة :ـ

ان الهزيمة العسكرية التى منيت بها الجيوش العربية فى صحراء سيناء فى مستهل يونيـو المـاضى لهى هزيمة لا ضريب لها فى تاريخ العرب القديم ولا الحديث .. وبحسبك منها انها هزيمـة عرضت العرب لزراية الاعداء ، واشفاق الاصدقاء ، وانت لا تجد بين قرنى زراية العدو واشفاق الصديق موضع كرامة لنفس الكريم .

ومع ذلك ، فان هذه الهزيمة ليست نهاية الدنيـا .. انما هى نهاية عهد ، وبداية عهد .. هى بداية عهد جديدخل به العـرب التاريخ الحديث كما دخل أوائلهم التاريخ القديم ، وهو مدخل سيؤرخ تحولا في مجرى تطور الحياة البشرية على هذا الكوكب اكبر ، بما لا يقاس ، من ذلك التحول الذى صحب دخول أوائلهم التاريخ القديم ، وذلك قبل ما يشارف الاربعة عشر قرنا من الزمان .

ان العبرة البالغة ، التى انفرجت عنها أذيال الحـرب العالميـة الثانية تجد تعبيرها فى الحقيقة الكبرى وهى ان القافلة البشرية ، فى كل صقع من أصقاع هذا الكوكب ، قد اقتلعت خيامها ، وأخذت فى

السير ، وهى ، فى كل خطوة من خطوات هذا السير ، تصنع التاريخ وتصنعه على هدى جـديد ، فبعد ان كان التاريـخ يمليه فى أغلب الاحيان على تلاميذه ومسجليه الملوك ، والسلاطين ، وقواد الجيوش ، ودهاقن السياسة ، وارباب الثروة ، وهم يتصرفون فى مصير الانسان ، أصبح يمليه عليهم الآن رجل الشارع العادى، المغمور ، وهو يبحث عن كرامة الانسان ، حيث وجد الانسان .

والعرب اليوم ــ شأنهم فى ذلك شأن البشرية التى تعمر هذا الكوكب ــ يقفون فى مفترق الطـرق .. فهم اما ان يدخلوا التاريخ الجـديد بفكر جديد ، كما دخـل أوائلهم التاريخ بفكر كان على عهدهم جديدا ، أو ان يخرجوا من التاريخ ، كما خرجت شعوب من قبل ، طال عليها الامد ، ففقدت حيويتها ، وعجزت عن المواءمة بينها وبين بيئتها .

ان الاخطاء العسكرية ، والسياسية ، والفكرية ، التى اتسمت بها مواقف العرب فى أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، اذا أخذت فى حد ذاتها ، تشكل نذيرا خطيرا بسوء المنقلب ، ولكنها ، لحسن الحظ ، لا يمكن ان تؤخذ بمعزل عن السلسلة التى هى حلقة فيها ، وهى ، فى ذلك ، حلقة لا تمثل داء الامة العربية ، وانما تمثل أعراض ذلك الـــداء .

وهذه الاخطاء البشعة ، التى هى أقـرب الى نزوات المراهقين منها الى أفكا ر الرجال الاسوياء ، هى التى تدلنا ، أبلغ الدلالة ، على

ان العرب يواجهون اليوم تحدى التاريخ ، وانهم يقفون بذلك على مفترق الطـرق ، وليس هناك طويل وقت ليصرف فى المحاولات التى لا تتسم بميسم الحذق ، والذكاء . فان علينا ان ندخل التاريخ منذ اليوم كما دخله أوائلنا ، أو ان نخـرج من التاريخ ، لبقية التاريخ .

وأوائلنا ! هل دخلوا التاريخ كعرب ؟؟ كلا ! وألف كلا ! ..

انمـا دخلوه بعد ان من الله عليهم فأصبحوا مسـلمين .. وعلمهم الاسـلام ما طامن من غلوائهم ، ومن اعتزازهم بعنصرهم ، فقـال : « الناس لآدم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وقال : « ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » وقال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

ها هنا أصـل الداء ! ان العـرب يريدون ان يقيسوا قامتهم ، كعرب ، الى تحديات عصرهم الحاضر ، وليس لقامتهم تلك ، ههنا ، غناء ، فان تحديات العصر ارتفعت الى صراع الافكار والمذاهب ، وخلفت وراءها ، بأمد بعيد ، العنصريات ..

ليت شعرى ! متى يخرج العـرب من التيه الذى يضربون فيه الآن ؟ متى يعلم العرب انهم مسلمون ، وانهم ورثة المصحف الشريف ، وانهم ، من ثم ، أصحاب رسـالة كتب الله على نفسـه الا ينجى الانسانية بمفازتها الا بها ؟

انا زعيم بان الهزيمة المنكرة التى تعرضنا لها أخيرا فى ميدانى

الحرب والسياسة انما جاءت بصورة حادة لان الله قد كلمنا بحوادث عام ١٩٤٨ فلم نفهم ، ثم كلمنا بحوادث ١٩٥٦ فلم نفهم ، وها قد كلمنا بحوادث ١٩٦٧ بصورة بليغة ، وفصيحة ، وانى لارجو ان نفهم الآن عن ربنا فهما يغنينا عن اعادة كلامه علينا بهذا الاسلوب مرة رابعة .

وما ينبغى ان نفهمه عن الله ، من كلامه هذا هو ان العرب لن ينتصروا على عدو الا اذا رجعوا اليه تعالى ــ اذا انتصر الناس بغير طريق الاسلام فان العرب لن ينتصروا بغير طريق الاسلام ــ ذلك بأن الدلائل تدل على ان موعود الله قد دنى ، وأظل الناس أوانه ... موعوده حيث يقول ، تبارك من قائل ، « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا » . وفى وقتنا الحاضر فان الآية التى صدرنا بها هذا السفر تبحث عن ظهورها ، وهى تبحث عن ظهورها عند العرب اولا ، ريثما تبحث عن ظهورها على الارض كلها ، وتلك الآية هى قوله تعالى :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة ، من الخاسرين » وقد ابتغى العرب غير الاسلام ، والتمسوا النصر عند غير الله ، فما نجعت حيلة ، ولا اسعف صديق ، فانقلبوا فى الآخرة خاسرين ، وقد أنى لهم ان يفهموا ، وان يتعظوا ، وان يرجعوا الى دينهم ، والى ربهم .

ان الله غيور على العرب فى القرن العشرين ، كما كان غيورا عليهم فى القرن السابع ، فهو قد حملهم رسالة الاسلام يومئذ فلقحوا بها

المدنية الفارسية فى الشرق ، والمدنية الرومانية اليونانية فى الغـرب ، وهو سيحملهم رسالة الاسلام اليوم ليلقحوا بها المدنية الشيوعية فى الشرق ، والمدنية الرأسمالية فى الغرب .

ان العرب سيدخلون التاريخ كما دخله اوائلهم ، وبأفضـل مما دخله أوائلهم ، وهم في يومهم هذا كامسهم ذاك ، لن يدخلوا التاريخ كعرب ، وانما سيدخلونه كمسلمين ، يحملون رسالة الاسلام ـ رسالة السلام ـ الى عالم لا تتجسد حاجته فى شىء كما تتجسـد فى ابتغاء السلام ـ وهذا العالم هو ايضا يقف اليوم فى مفترق الطرق ، وليس هناك طويل وقت ليصرف في المحاولات القواصر .. فان امام الانسانية اليوم احدى اثنتين : اما ان تسلك الطريق الصاعد الى درجات السلام فتعيش عيشة الانسان ، او ان تسلك الطريق الهابط الى دركات الحرب فتعيش عيشة الحيوان ، أم هل عشاها الا تظفر حتى بعيشة الحيوان ؟؟

الهزيمة الاخيرة ، رغم بشاعتها ، هى هـدية الله للعرب !! هى نعمة فى ثوب نقمة !! سيجد العرب الآن أنفسهم مضطرين ليجلسوا ، وليفكروا فى أخطائهم الكثيرة ، وسيحدثون توبة نصوحا ، بها تتم ، ان شـاء الله ، رجعتهم الى الله ، ورضاهم به ، وتقبلهم عنايته .. فانه رب ضارة نافعة ، ولو قد خير العرب لاختاروا ان ينتصروا على دولة اسرائيل ، وان يلقوا بها فى البحـر ، ونحن نفضل لهم هذه الهـزيمة ، لان النصر ، بالطريقـة التى تروقهم ، كان سيمد لهم فى الضلال ، ويباعد بينهم وبين رسالتهم ، ويصرف نظرهم عن عدوهم

Scanned with CamScanner

الحق ، فان دولة اسرائيل ليست عدوة العرب .. وانما العرب أعداء أنفسهم بما انصرفوا عن الله ، وبما التمسوا العز والنصر ــ عند غير الله ، وبما استطابوا من اضطجاع فى مراقد الجهل والغفلة . ومن يدرى فقد تكون دولة اسرائيل صديقا فى ثياب عدو ؟ قد تكون بمثابة الكرباج الذى يوقظ العرب من هذا الغطيط الثقيل الذى لبث أحقابا طوالا ؟

كما قلنا ، فان هزائم العرب امام دولة اسرائيل ليست الداء ، وانما هى اعراض الداء .. هى كالالم يشكوه المريض .. فليس الالم هو المرض ، وانما هو دلالة عليه .. وكما ان الطبيب الماهر لا يسكن الالم بتخدير المريض ، الا اذا زاد عن طوق الاحتمال ، وانما يسترشد به الى جذور الداء ، ليطب له طبا شافيا وافيا ، فكذلك نحن ، لانريد أن نخدر الالم ، وانما نريد ان نسترشد به الى تشخيص أصل الداء الذى نهك جسم الامة العربية طوال هذه الحقب السوالف من تاريخها الطويل .

ان كتابنا هذا لن يكون ، اذن وصفة لدواء يخدر المرض ، وانما سيكون ، بعون الله وتوفيقه ، وصفة لدواء يجتث المرض من جذوره. وعند الله نلتمس التسديد الى التى هى أقوم ، في الفكر ، والقول ، والعمل .

Scanned with CamScanner

الفصـــل الاول

صور الاشياء:

هناك ثلاثة أمور لابد من استيقانها : ـ

* أولها ان حكم الوقت يقضى على هذه البشرية ، التى تعمر هذا الكوكب ، فى هذا العصر ، ان تتوحد .

* وثانيها ان هذه البشرية ، لكى تتوحد ، لابد لها من السلام

* وثالثها انها ، من أجل الســلام ، لابد لها من المدنيــة التى تنشر حكم القانون العادل .

* فأما الاول فلأن التقدم التكنولوجى فى وسايل نقل الناس ، والاشياء ، والاخبار ، قد الغى الزمان والمكان ، أو كاد ، وقد توحد هذا الكوكب ، وأصبح أى جزء من أجزائه على مدى ساعات ، وتقل هذه الساعات كل يوم جديد . ووحدة هذا الكوكب المكانية تواجه البشرية اليوم ببيئة مكانية جديدة ، وهذه المواجهة تشكل تحديا على مدى لم يســبق للبشرية ان عرفته فى تاريخهــا المــاضى ، ذلك بأنه مطلوب اليها ان توائم ، مواءمة تامة ، بين حيــاتها وبين بيئتها هــذه الجــديدة ، بأن تحدث وحــدة تامة ، تنصهر فيها عناصرها المختلفة ، وألوانها المختلفة ، وعقائدها المختلفة ، ولغاتها المختلفة أيضا ، او ، ان عجزت عن ذلك ، فقد مضت سنة الاولين بالاحياء الذين عجزوا عن ان يوائموا بين حياتهم وبين بيئتهم .

ان العلم التجريبى الحاضر قد خدم البشرية على هذا الكوكب خــدمات لا تحصى ، ولكن هناك خــدمة لم تتفطن ، الى الآن ، الى

حقيقة عظمتها ، وتلك هى انه باطلاقه للطاقة الذرية ، بتفتيته للذرة ، قد لفت نظرنا الى ان البيئة التى عاش فيها الاحياء قبلنا ، ونعيش فيها نحن اليوم ، ليست فى حقيقتها مادية ، وانما هى روحية ذات مظهر مادى .. بل ان المادة كما نعرفها ونألفها ، ليست هناك ، وانما هى وهم من أوهام الحواس ، وعندما ردها العلم الحديث الى أصولها الاولية انقلبت الى طاقة تدفع وتجذب فى الفضاء ، والعلم الحديث قد عرف خصائص هذه الطاقة ، ولكنه عجز عن معرفة كنهها ، ووقف عند عتبة الكنه عاجزا لا يبدى ، ولا يعيد ، ولا يدعى ، لانه أحق من يفهم ان مقامه عند هذه العتبة ، وانه لا يستقيم ، مع كرامة نفسه عنده ، ان يدعى لها ما لا يكون أبدا .

البيئة التى نعيش فيها الآن ، قد برهن العلم المادى التجريبى الحديث نفسه على انها ليست مادية وانما المادة مظهر لشىء وراء المادة وهذا الشىء الذى وراء المادة يعبر الاسلام ، عن أدنى منازله من المادة ، بالروح ، أو ان شئت التعبير الحديث ، قل بالفكر .. فالبيئة التى نعيش فيها فكرية ، تجسدت فيها الافكار ، فاتخذت مظهرا نسميه نحن المادة . ومن ثم فالوحدة البشرية التى تطلب البيئة الجديدة الى الانسانية تحقيقها انما سبيلها الفكر .. فالناس يختلفون فى اللون ، وفى الاقليم ، وفى اللغة ، وفى العنصر ، وفى العقيدة ، ولكنهم ، كلهم ، يلتقون فى العقل . فان الانسان فى أدنى مراتبه من منازل الحيوان ، قد تميز عنه بالعقل ، وهو لا يدخل

حظيرة الانسانيـــة الا به ـ فيما عدا حالات العلة الطارئة .. والقول المشهور بان الانسان حيوان ناطق قول لايروقنى فان كل الحيوانات ناطقة ، بل ان كل الاشياء ناطقة ، والقول الذى يروقنى حقا هو ان الانسان حيوان مفكر .. فليس هناك انسان لا يفكر ـ فى الحالات السوية ـ وان كان هنـــاك أناس قليلو التفكير .. وآفة التفكير فى شيئين : فى قلته وفى التوائه ..

والانسان كحيوان مفكر هو أيضا حيوان كسول فى ذلك ، فهو لا يريد أن يفكر ، وهو ان فكـــر فانما يجعـــل فكـــره خادما لهوى نفســـــه ، ومن ثم يجىء التواء تفكيره .. وأندر شىء في الوجـــود التفكير المستقيم ، ذلك بان التفكير المســـتقيم لا يتبع هوى النفس وانما يحمل هوى النفس على اتباعه ، وهو بذلك التزام يطلب مظهره فى وحدة القول ، ووحدة العمل ، وتلك مسئولية لا ينهض بأعبائها غير الرجال ، والناس ، كل الناس ، لا يريدون ان يكونوا رجالا ، فهم قد طاب لهم التقلب فى مهاد الطفولة ، ولن يدرجوا منها الى مناشـــط الرجولة تحت حوافز أقل الحاحا من حوافز التحدى التى تواجههم بها هذه البيئة الكوكبية الجديدة .

ومفترق الطرق الذى قلنا ان البشرية تقف عنـــده اليوم ، انما هو مفترق طريقين ، ان اردت الدقة ... هما طريقا الرجولة والطفولة ، فان أصرت البشرية الحاضرة على التشبث بطفولتها فان منطق البيئة الكوكبية الموحدة الحاضرة سيلفظها ، وسيجىء لفظه اياها فى صورة

انقراضها لتخلى مكانها لفصيلة جديدة تنهض بالتزامات البيئة الجديدة ، وان شبت البشرية الحاضرة عن طفولتها ، ودرجت فى مدارج رجولتها ، فانها تكون قد أصبحت فصيلة جديدة يهديها الله سبل السلام بسلامة قلوبها وصفاء عقولها ــ برجولتها .

* واما الثانى فان السلام مقدمة للفكر ونتيجة .. فهو كمقدمة انما يمليه الخوف من الحرب ، وذلك امر قد توفر الآن ، وتوفر بما يكفى ، والسلام فى هذا المستوى ليس سلاما وانما هو ضرب من الحرب ، كأن الناس فيه من خوف الحرب فى حرب .. وهو مع ذلك ، ضرورى لنصل الى السلام السليم الذى يكون نتيجة للتفكير المستقيم .

* واما الثالث فان القانون العادل لا يجىء الا عن التفكير المستقيم ، وهو لا يطبق ، ولا ينفذ ، الا بالعمل وفق التفكير المستقيم ، لا يجىء بالتمنى ، وانما يجىء نتيجة العيش وفق منهاج لم يتوفر على تقديمه ، فى اوجه ، فكر ، ولا فلسفة ، ولا دين ، كما توفر الاسلام .

الوحدة :

وحكم الوقت الذى يقضى على البشرية ان تتوحد فى يومنا هذا لا يحتاج ادراكه الى كبير ذكاء ، بل ان البشرية قد شعرت به ، وأخذت تستجيب له بعمل لا ينقصه الحماس ، وان تقصته دقة الادراك ، وها قد بلغت البشرية اليوم مرحلة الثنائية ، وهى أدنى منازل التعدد من مقام الوحدة ، ومن غير أدنى شك ان القافلة البشرية فى سيرها

الطويل من التعدد الى الوحدة لم تنزل منزلة الثنائية هذه الا في هذه الايام التى تلت الحرب العالمية الثانية . فانه قد خرجت البشرية بعد هذه الحرب منقسمة الى كتلتين أثنتين : الكتلة الشرقية ، وهى الدول الشيوعية بزعامة روسيا ، والكتلة الغربية ، وهى الدول الرأسمالية بزعامة امريكا وقد برز أخيرا ما سمى بالعالم الثالث ، او دول الحياد الايجابى ، ولدى النظرة الاولى قد يشكك الحديث عن العالم الثالث هذا فى صحة انقسام العالم الى كتلتين أثنتين ، كما سبق ان قررنا ، ولكن ، اذا دققنا النظر ، يظهر لنا جليا ان ليس هناك عالم ثالث ، وليس هناك دول محايدة ، بله ان تكون محايدة حيادا ايجابيا .. وما تسمى بدول الحياد الايجابى فى طليعتها يوغسلافيا ، والهند ، ومصر ، ونظرة بسيطة تريك ان يوغسلافيا دولة شيوعية صرفة ، وان الهند دولة رأسمالية ، وان مصر أخذت تسير أخيرا فى ركب الشيوعية ، وان نظاما واحدا لا يمكن ان يضم هذه الدول ، ويصمد للامتحان ، حتى فى حالة السلام ، واما فى حالة الحرب فان دولة فى عالم اليوم لا تستطيع ان تقف على الحياد ، ثم يحترم الفريقان المتحاربان حيادها ، الا اذا كان دخولها الحرب لا يخدم غرضا لا يهمهما ، وما هكذا مصر ، ولا أى دولة من دول الشرق الاوسط ، مثلا .. هذا فيما يخص الحياد ، واما الحياد الايجابى فكيف يكون محايدا حيادا ايجابيا من لا يملك فكرة ايجابية تعصمه عن السير فى ركاب الشيوعية كما تفعل

يوغسلافيا ، أو فى ركاب الرأسمالية كما تفعل الهند أو عن الخط ذات الشمال وذات اليمين كما تفعل مصر ؟ اذن فالتقرير العلمي الصحيح هو ان العالم قد برز بعد الحرب العالمية الثانية مقسوما الى كتلتين .. ليس هذا فحسب بل ان الكتلتين ظلتا على مدى النيف والعشرين سنة الماضية ، ولا تزالان ، كفرسى رهان ، تحاول كل منهما بسط نفوذها على العالم بأكمله ، ونحن لانحتاج ، فى أمر الشيوعية ، الى كثير تذكير بهذه المحاولة ، ذلك بأن الشيوعية بطبيعتها دعوة الى ثورة عالمية ، ترمى بكل الاساليب التى لديها ، لتبسط نفوذها على العالم ، وان كانت أساليبها المفضلة هى الثورة والحرب .

واما الرأسمالية فهى صاحبة السيطرة الاستعمارية التقليدية المعروفة على العالم ، وقد أصبحت سيطرتها تنازع كل يوم ، بفضل الله ، ثم بفضل يقظة الشعوب المستعمرة ، والشعوب الاخرى الصغيرة التى لا مطمع لها في استعمار أحد ، ولا تحب ان ترى غيرها يستعمر الآخرين ، وما من شك ان الصراع بين الكتلتين قد لعب دورا رئيسيا فى هزيمة الاستعمار الرأسمالى ، وفى اضطراره ليتوارى خلف صور مختلفة تقوم على الحيلة ، والخدعة ، اكثر مما تقوم على القوة التى طالما لجأ اليها فى الماضى . والناس كثيرا ما يتحدثون عن الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد ، وهم يعنون بالاستعمار القديم الاستعمار الغربى المباشر ، الذى عرف قبل منازعة الشعوب له ، وذلك فى القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر ، ويعنون بالاستعمار الجديد الاستعمار

الغربى ايضا ، ولكن فى الصور التى اضطرته مقاومة الشعوب له ان يتخفى وراءها . وفى الحق إن الاستعمار القديم لم يكن جامدا على صورة واحدة وانما كان متطورا وملتمسا للاساليب التى تغنيه عن الاعتماد على القوة دائما ، وكل ما يمكن ان يقال هنا هو ان تطوره قد كان بطيئا فيما مضى لان المعارضة له من الداخل قد كانت قليلة ، وعندما اشتدت المعارضة اضطر هو للاسراع فى التماس الثياب التى يستر بها عريه عن أعين الاذكياء من الناس . وقد ظنه بعض الناس ، لفرط ما يغير من ثيابه ، ويفتن فى التغيير ، استعمارا جديدا ، وما هو بذاك .

وغرض الاستعمار الغربى الاستغلال الاقتصادى ، وقد ظهر قبيل ظهور الآلة ، ولكنه قوى وانتشر ، وتنظم مع ظهور الثورة الصناعية . ذلك بأن الصناعة بالآلة كانت تحتاج المادة الخام وتحتاج المجال لتسويق الادوات المصنوعة ، وقد بدأ الاستعمار كعمل تجارى فى أسواق مفتوحة ، ثم الجأته المنافسة الى احتكار الاسواق ، فدخل النفوذ السياسى بالحكم المباشر فى الميدان ، وكان لابد من أجل بسط النفوذ السياسى من العمل العسكرى .

وهكذا ظهر الاستعمار ، وأصبح حملة عسكرية لهزيمة المنافس أو لهزيمة الحكومات الوطنية ، ثم حكما سياسيا مباشرا ، غرضه تنظيم البلاد المستعمرة لتكون أرضها مزرعة للمادة الخام ، وبشريتها سوقا مستهلكة للبضائع المصنوعة . ومع ان الاستعمار بدأ بالحملة

المسلحة الا انه لم يشأ ان يعتمد على السلاح فى طول بقائه ، فجنح الى الحيلة ، وذلك ببث افكاره ، وتعاليمه ، وثقافته ، وأسلوب حياته ، وعاداته بين المستعمرين . فكأنه لم يكتف باستعمار الظاهر فأراد ان يزحف الى الباطن ، لم يكتف باستعمار الاجساد بتسخيرها بالخوف ، فأراد ان يستعمر العقول بتسخيرها بالثقافة ، التى تجعل الناس مشدودين اليه ، يتخذون حكامه ، ومفكريه ، أساتذة ، ومثلا يحتذى .. وهو لم يكن يعلم المستعمرين الا بالقدر الذى يجعلهم مقدرين لاستاذيته،ومفتونين بأساليب معيشته،ومتعاونين معه لاطالة مدته،ومن لطف الله على الناس ان جعل الذين يخرجون الاستعمار من بلادهم هم الذين تعلموا ثقافته ، وأفكاره ، ولكنهم لم يقفوا فى تعلمها عند الحد الذى كان يريد لهم الا يتعدوه .. ومع ذلك فان فكرة الاستعمار فى التركيز على استعمار العقول لم تخطىء تماما ، فهم فى كل بلد قد خلقوا فريقا ممن استعمروا عقولهم مقيمين على الولاء لسادتهم ، واساتذتهم الذين قد مكنوا لهم من الخيرات مما جعلهم أجانب عن بنى جلدتهم . فالاستعمار القديم يتلون ويتفاوت فى تلونه بين الفتح العسكرى والاستعمار الثقافى وبين الحكم السياسى المباشر والحكم عن طريق الحكومات الوطنيات يقوم عليها الذين كان قد استعمر عقولهم ، ومن هؤلاء من بلغ استعمار العقول بهم مبلغا جعلهم يحاربون الاستعمار بأقوالهم ، ويمكنون له بأعمالهم ، وهم لا يعلمون وغرض الاستعمار الغربى من كل هذا التلون انما هو الاستغلال

الاقتصادى .. ومع ذلك فان هناك استعمارا جديدا لم يتفطن له الناس ، لانهم لم يعرفوه ، ولم يألفوه ، وانما هم مشغولون عنه بالاستعمار الغربى ، الذى عرفوه وأصابهم منه من الشر ما شغلهم عن كل ما عداه ، وما جعلهم لا يصرفون كلمة الاستعمار ، حين يسمعونها ، الا اليه .. هذا الاستعمار الجديد هو الاستعمار الشيوعى الذى يسعى جاهدا اليوم لبسط نفوذه على العالم .. وهو استعمار يسعى من الوهلة الاولى الى استعمار العقول بأفكار هى غاية فى السوء ، وغاية فى الخطورة ، وليس غرضه المباشر الاستغلال الاقتصادى ، وانما غرضه المباشر النهى ، والامر ، والسيطرة ، والاستغلال الاقتصادى يجىء بعد ذلك بالتبعية .. ويخطىء كثيرا من يظن ان المادة هى أقصى ما تطلب النفس البشرية .. ذلك بأن التذاذ النفس البشرية بالسلطة يفوق التذاذها بالثروة .. بل ان السعى وراء الثراء انما يحفزه ما يكفله الثراء للثرى من نفوذ سياسى ومن جاه أدبى ولقد أصاب فى هذا الباب الشاعر الذى قال :

يقولون سعد شكت الجن قلبه * ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
لقد صبرت عن لذة العيش أنفس * وما صبرت عن لذة النهى والامر

ومما لبس امر الشيوعية على الناس ، واذهلهم عن خطرها تلبسها بالدعوة الى الاشتراكية ، والاشتراكية حبيبة الى كل النفوس الحرة ، وما ينبغى ان يعرف بوضوح هو ان الشيوعية ، ونعنى بها هنا الماركسية اللينينية ، ليست هى الاشتراكية ، وانما هى مدرسة من

مدارس الاشتراكية ، لها حسناتها وعليها سيئاتها ، والامر المحقق هو ان كارل ماركس لم يكن اول اشتراكى ، ولن يكون آخر اشتراكى.. والماركسية اللينينية خطأها اكبر من صوابها ، وهى اذا ما حللت الى عواملها الاولية يتضح انها دين ودولة .. فهى تحاول ان تقيم دولتها ، اقتصاديا ، على الاشتراكية ، وسياسيا ، على الديكتاتورية ، وان كانت يطيب لها ان تسمى الديكتاتورية ، مغالطة ، ديمقراطية ، ولكن هذا لا ينطلى الا على البســـطاء ، وهؤلاء ، لحسن التوفيق ، يقلون كل يوم .. واما دينها فهو انكارها الاديان .. فانها قد اتخذت من انكار الاديان دينا ، ومن انكار الالوهية الها .. وماركس ولينين واستالين وماوتسى تونغ ليسوا آلهة دينها ، وانما هم أنبياؤه ، ولكنها اولتهم من التقديس ما الحقهم بالآلهة .. وهذه الردة الى الوثنيات الاوليات هى التى جعلت استعمار الشيوعية لعقول من يتورطون فيها أسوأ ، بما لا يقاس ، من استعمار الافكار الغربية لعقول من يتعرضون لها .. وليس ههنا مجال حديثنا عن الشيوعية فان لنا موعدا بذلك صـــدور كتابنا عن « الاســـلام ديمقراطى اشـــتراكى » الذى هو الآن تحت الاعداد ، وما يهمنا هنا هو التنبيه الى خطر الاستعمار الشيوعى وهو ما يجب ان نصرف له عبارة « الاستعمار الجديد » التى نطلقها خطأ اليوم على تلون « الاستعمار القديم » .

الثنائيـــة :

قلنـــا ان القافلة البشرية قد نزلت منـــذ نيف وعشرين سنة بمنزلة

الثنائية ، وهو امر لم يتفق لها من قبل فى سيرها الطويل ، وقلنا ان منزلة الثنائية هى أدنى منازل السير من مقام الوحدة ، ولن تلبث البشرية طويلا فى هذه المنزلة لان تحديات البيئة الجديدة تحفزها حفزا الى مواصلة السير الى مقام الوحدة حيث يتم التناسق ، والتوائم ، بين البيئة الموحدة مكانا ، والانسانية الموحدة فكرا ، فيحل بذلك فى الارض السلام ، كان ذلك بفضل الله ، على الانسانية ضربة لا زب ولقد اسلفنا القول الى ان منزلة الثنائية التى نزلت بها القافلة البشرية منذ نيف وعشرين سنة تمثل أحد معسكريها الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتى ، وتمثل المعسكر الثانى الرأسمالية بقيادة امريكا .. ويحلم كل من الاتحاد السوفيتى وامريكا انه سيقود القافلة البشرية ، الى مقام الوحدة ، وهيهات !! ذلك بأن البشرية لن تحقق وحدتها الا عن طريق الفكر الحر ، وليس للفكر الحر كبير كرامة في أى من المعسكرين ، على تفاوت بينهما فى ذلك .. ويحاول كل من المعسكرين الآن تحقيق حلمه فى قيادة القافلة البشرية ، ويحتدم الصراع بينهما في تلك المحاولة ، والاسلوب المحبب للشيوعية فى الصراع هو الثورة والعنف والاسلوب المحبب للرأسمالية هو الحرب .. الحرب فى مقابلة الثورة وفى مقابلة العنف .. ولكن هناك اعتبارات جدت فى تجارب البشرية جعلت الحرب غير ذات موضوع ، ذلك بأنه قد ظهر جليا أنها لا تحل مشكلة ، فى عالم اليوم ، وانما تعقد المشاكل . ودلت تجربة بريطانيا ان من يكسب الحرب

قد يخسر السلام فكأنه حارب لغير هدف .. هذا ولقد كانت الحرب العالمية الثانية بالاسلحة التقليدية ، ولم تستعمل الاسلحة الحديثة الا فى صورة القنبلة الذرية التى اسقطت على هوريشيما فكانت بها نهاية الحرب على الفور ، وذلك لما أحدثت من اضرار لا قبل للبشرية بمثلها ، هذا مع ان هذه القنبلة بالنسبة لما جد بعدها من أسلحة ذرية وهايدروجينية كأنها لعبة الاطفال .. مما وكد فى الاذهان ان الحرب ، اذا نشبت بالاسلحة الحديثة ، فلن يكون فيها منهزم ومنتصر وانما سيتم بها تحطيم الحضارة الحاضرة تحطيما تاما ، ومن يدرى ، فقد يتم بها تحطيم الحياة البشرية على هذا الكوكب برمته ؟؟ وأمر هام يضاف الى كل أولئك وهو ان هناك توازنا فى القوى بين الكتلتين يجعل كلا منهما تخشى عواقب الحرب ضد الاخرى ويمكن القول ، على التحقيق ، بان السلام الحاضر ، غير الطبيعى ، الذى تعيش فى ظله البشرية اليوم انما يرجع الفضل فيه ، بعد الله ، الى توازن القوى بين الكتلتين ..

ولما كانت الشيوعية اليوم تعيش متنازعة بين خوفها من الحرب العالمية وبين ولائها لمذهبيتها فى الثورة والعنف ، فقد هدتها الحيلة الى ان تقسم برنامجها لغزو العالم واخضاعه الى مرحلتين .. فاما المرحلة الاولى فغرضها اخلال توازن القوى القائم بين الكتلتين اليوم ، وترجيح كفتها هى على كفة الرأسمالية الغربية ، وسلاح هذه المرحلة المهارة الدبلوماسية باستعراض المذهبية بصورة جذابة ، وباستعراض

التقدم العلمى ، والفنى ، والتكنولوجى ، فى ميدان اختراع الآلة ، ووسائل الحرب ، من الاسلحة الرهيبة الحديثة وسلاحها ايضا الدجل، والخداع ، وتضليل الشعوب ، واستغلال عواطفها نحو السلام ، وخوفها من الحرب ، وسلاحها الارجاف ، وتشويه الحقائق ، ورشوة الكتاب ، والعلماء ، أو ارهابهم ، وشراء الصحف ، والسيطرة على المطابع وتبنى التكتلات الاقليمية وأطارة الشعارات البراقة ، الجوفاء ، المحبوكة ، المسبوكة ، التى تخدع السطحيين المتجذلقين ، انصاف المثقفين ، فيظنوا انهم حين يرددون هذه العبارات فى الكتابة وفى النقاش انما يدخلون فى زمرة المثقفين المفكرين الاحرار ،وهكذا يستعيضون عن التفكير السليم الحر الذى يعوزهم بالعبارات الجوفاء التى يأخذونها تلقينا ممن يظنونهم سادتهم وأساتذتهم ، ويظلون يرددونها فى الصحف ، وعلى حيطان المنازل ، وفى الاحاديث ، وفى شتى المجالات حتى تشيع بين طبقات الشعب ، وتعمل عملها فى التضليل المنظم . واما المرحلة الثانية فغرضها انهاء المؤامرة الكبرى المدبرة لاغتيال حرية البشرية ، وهى تبدأ حين يصبح ، بفضل نجاح المرحلة الاولى ، واضحا جليا ان كفة الشيوعية قد رجحت بكفة الرأسمالية بصورة تجعل المغامرة المسلحة ضد الدول الغربية تنتهى بهزيمة الغرب ، من غير ان تخرج منها الشيوعية الدولية محطمة تحطيما يعجزها عن الانتشاء بنتائج النصر .

فالمرحلة الاولى ، وتسمى بالحرب الباردة ، مقدمة للمرحلة

الثانية وهى الحرب الساخنة ، وما يقال عن أساليب الشيوعية فى الحرب الباردة يقال قريب منه عن أساليب الرأسمالية فيها ، وكل مشاكل العالم اليوم ، فى كل دولة من دوله ، سواء كانت فى داخليتها أو مع جيرانها ، وسواء كانت هذه المشاكل دبلوماسية ، أو سياسية ، أو اقتصادية ، أو حربية ، فان مردها الى هذه الحرب الباردة ، فانقسام المانيا ، وانقسام برلين ، وانقسام وحرب كوريا ، وانقسام وحرب فيتنام ، ومشاكل كوبا ، ومشاكل الكنغو ، والاخطار التى تهدد نيجريا ، كلها وغيرها يمكنك ان تضعها عند عتبة دار هذه الحرب الباردة ، وحين تدخل مصلحة دولة صغيرة فى حلبة هذه الحرب الباردة ، تهدر هذه المصلحة ، ولا تعار أدنى اهتمام ، وتصبح هذه الدولة الصغيرة كالنملة تحت أقدام الفيلة المتصارعة ، لاتبالى الفيلة بمصيرها . وهذا يوجب على كل زعيم ، يستحق لقبه ، من زعماء الدول الصغيرة ان يسير مفتوح الذهن ليكسب لامته مكانا تحت الشمس من غير ان يجرها الى حلبة هذه الحرب المجنونة .. فاذا كان هذا الزعيم زعيما عربيا مسلما فقد وجب عليه ، زيادة عما تقدم ، ان يرتفع بامته الى مستوى النزاع المذهبى ليشارك فيه بوصفه صاحب رسالة هى اولى بغد الانسانية على هذا الكوكب من الشيوعية ، ومن الرأسمالية الغربية بآماد بعيدة . والمشاركة فى النزاع المذهبى تلقى على الزعيم العربى المسلم واجبين : أولهما الا ينضوى الى كتلة من الكتلتين المتنازعتين حتى لا يضيع وقته فى صراع لا مستقبل له ،

وثانيهما ان يحافظ ، بكل ما أوتى من ذكاء،ونفوذ،على توازن القوى الحاضر ، وألا يعمل أى عمل من شأنه ان يخل به ، حتى ولو كان هذا العمل قد يعودعلى بلده بكسب اقليمى .. فاذا توفر على هذين الواجبين ، فاوفى بهما ، فقد تفرغ لواجبه الاساسى .. وهو بعث الكتلة الثالثة بين الكتلتين ، وهى كتلة تجمع فى جهاز واحد بين الاشتراكية والديمقراطية ، وذلك أمر لا تطيقه الشيوعية من جانبها ، ولا الرأسمالية من جانبها الآخر ، ثم هو أمر لا يتحقق السلام على هذا الكوكب الا به . لان قانون العدل الموزون لا ينبنى الا على المساواه الاقتصادية ، والمساواة السياسية ، فالمساواة الاجتماعية فى آن معا .. وأنت لا تظفر بابتغاء هذا العدل الموزون فى غير الاسلام ، واما فى الاسلام فان أدنى مراتبه العدل ، واوسطها التسامح ، وأعلاها المحبة : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » والقربى هنا تعنى الرحم الموصول بآدم وحواء . ونحن لن نبحث ، فى سفرنا هذا ، مقدرة الاسلام على الجمع ، في تشريعه ، بين الاشتراكية والديمقراطية ، فى حين تعجز عن هذا الجمع الرأسمالية الغربية ، والشيوعية الماركسية اللينينية ، عجزا تاما ، وسنترك هذه الدراسة المستفيضة للسفر الذى هو الآن تحت الاعداد باسم « الاسلام ديمقراطى اشتراكى » .

وثنائية الكتلة الشرقية والكتلة الغربية لم تظهر بعد نهاية الحرب مباشرة ، وبكل قسماتها ، وذلك أمر بديهى ، لان الاتحاد السوفيتى ،

أثناء الحرب ضد المحور ، قد كان حليفا للدول الغربية ، ومع ان طبيعة الانقسام موجودة الا ان ظهورها العملى اقتضى بعض الوقت ، وبعض العوامل . فمن ذلك مثلا ان الحلفاء كانوا قد أقدموا على احتلال ايران بصورة مؤقتة لضمان وصول الامدادات الى الروس ، وعندما انتهت الحرب تباطأت القوات الروسية فى الجلاء عن المناطق الايرانية التى تحتلها ، فلم يرق هذا التباطؤ الدول الغربية حيث ان ايران « تشغل مركزا هاما فى الاقتصاديات والاستراتيجية البريطانية » وذلك لقربها من العراق ، والقسم الخاضع لبريطانيا من ساحل الخليج ، حيث منشآت الشركة البريطانية ، ومنابع البترول . فمارس الغرب بعض الضغط على الروس لينسحبوا من ايران ، ولكنهم لم يفعلوا الا بعد ان اضطرت ايران الى عقد اتفاق تجارى معهم بشأن استنباط البترول فى المناطق الشمالية .

ثم تداعت سلسلة من حوادث المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والدول الغربية يحفزها احتمال نشوب حرب جديدة بين الشيوعية والرأسمالية ، وقد أوضح الامريكيون هذه المواجهة بقولهم « لقد وقفت قوة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وجها لوجه فى الشرق الاوسط ولهذا الالتقاء مغزاه بالنسبة الى صراع المصالح بين الدولتين والذى يمتد ، بدرجات متفاوتة ، خلال العالم ، ونتيجة لهذا لا يمكن فصل الامن فى الشرق الاوسط عن مشكلة الامن العالمية التى تواجه الولايات المتحدة ، ولكنه عنصر هام فى تلك المشكلة »

وعدم بروز الانقسام بين الكتلتين فى وقت مبكر يفسر لنا ، مع عوامل أخرى ، وقوف الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة صفا واحدا فى جميع المراحل التى عارضها العرب في قضية فلسطين فى الامم المتحدة ، والتى بدأت منذ ابريل من عام ١٩٤٧ ، ومن ذلك مشروع التقسيم ، وفى هذا يحدثنا الاستاذ خيرى حماد ، مؤلف « قضايانا فى الامم المتحدة » فيقول فى صفحة ١٥٦ « وتعاقب المتكلمون فى الجلسات التى استمرت عدة ايام . وكان من اولهم الممثل الامريكى الذى تباكى على حالة اليهود وما يعانونه من اضطهاد ، ومن على العرب بما لهم من دول مستقلة أصبحت أعضاء في الامم المتحدة ، وقال ان حكومته تؤيد مشروع الاكثرية ، وان كانت تطالب ببعض التعديلات عليه لصالح العرب ليكون أكثر واقعية . وتحدث المندوب السوفياتى ، ولاول مرة يتفق والمندوب الامريكى على اتجاه واحد ، فعرض ما عاناه اليهود من آلام على أيدى النازية ، وأشار الى استحالة الاتفاق والتفاهم بين العرب واليهود ، وانتهى الى القول بأن حكومته تؤيد مشروع الاكثرية .

« وتعاقب الوفود على الكلام . وبأن ضعف العرب فى المنطقه الدولية لا بالنسبة الى حقهم ، فقد كان هذا الحق صارخا فى وضوحه ، وانما بالنسبة الى نفوذهم ، امام النفوذ الامريكى والسوفياتى مجتمعين ، لا سيما وان امريكا قد اعلنت جهارا انها ستكافح وتناضل لاقرار التقسيم واقامة الدولة اليهودية ، مما دفع ظفر الله خان مندوب

الباكستان الى الوقوف ليحذر امريكا من هذا الموقف الذى سيقضى على كل مالها من صداقات بين العرب والمسلمين • وتحدث المندوبون العرب فناشدوا الضمير العالمى العدل والحق وان يرعوى عن ارتكاب ابشع جريمة فى حق الاوطان والحقوق الانسانية ، وان لا يسير في ركاب الصهيونية التى تريد تسخيره لخدمة أغراضها ، ولكنهم لم يشددوا فى هجومهم على الاستعمار نفسه الذى كان أساس القضية وخالقها ، بل حصروا نطاق هجومهم في الصهيونية » •

كان ذلك فى سبتمبر من عام ١٩٤٧ وهو ، كما هو واضح ، تاريخ مبكر بالنسبة لفترة ما بعد الحرب التى انتهت فى أواخر عام ١٩٤٥ ، ولذلك لم تظهر القسمة بين الكتلتين بصورة واضحة ، كما أصبحت فيما بعد ، وقد يظن انسان ان قضية العرب فى فلسطين ، فى الامم المتحدة ، أصبحت أقوى حين وقفت الى جانبها روسيا ، بعد ان كانت تقف فيها الى جانب اسرائيل ، فى فجر تاريخها ، ومثل هذا القول من أصدق الدلائل على سطحية التفكير عند من لا يستطيعون الوصول الى جذور المشاكل العالمية •• فان مفتاح معالم السياسة الدولية ، فى وقتنا الحاضر ، كله فى هذا الصراع بين الكتلتين ، وكل سياسى تغيب عنه هذه الحقيقة لا تجىء أفكاره السياسية الا فجة ، ضحلة ، متهالكة ••

الفصـــل الثانى

قضية فلســـطين :

اما قضية فلسطين فاننا سنعالجها في فصل لاحق ، ولكننا نحب ان نقول هنا انها ، فى اطارها العام ، كانت موضع التقاء سياسة الدول الكبرى ، كما ظهر ذلك فى الفصل الاول ، وقد كانت المواجهة الاولى بين العرب واليهود ، وذلك فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، على هذا الاساس ، ثم استمرت المواجهة الى ان فرضت الهـدنة بين الفـريقين ، وذلك فى منتصف عام ١٩٤٩ ، والامر على ما هو عليه .. ثم حدث شىء هام ، فى تاريخ الدول العربية المعاصرة ، اخرج قضية فلسـطين ، من هذا الاطار ، الى وضع جديد ، ذلك الشىء الهام هو تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ .

تأميم قنـــاة السويس :

أول ما تجب الاشارة اليه اننا لسنا ضـد التأميم ، اذا اتخـذ وسائله الصحائح ، ولكننا ضده اذا جاء عن طريق خاطىء ، ولقـد سبق لنا ان قررنا انه ، فى يومنا هذا الذى نعيش فيه ، يجب على كل زعيم ماهر ، من زعماء الدول الصغيرة ، ان يكسب لامته مكانا تحت الشمس ، وهو مفتوح العينين الى دقائق الحرب الباردة ، حتى لايزج بأمته فى حلبتها وهو لا يشعر .. وهذه المهارة المطلوبة لم يوفق اليها السيد جمـال عبد الناصر حين أقدم على تأميم قناة السويس بصورة فيها من التحدى للغرب ما لا يقوى عليه من الدول الصغيرة الا دولة

تأوى الى ركن شديد .. وقد كان السيد جمال عبد الناصر يأوى الى روسيا ، ينتظر منها الحماية ، والمساندة .. وقد كان الغرب يدرك ذلك .. ويدرك أمرا آخر ، لعله لم يخطر للسيد جمال على بال .. وهو ان نفوذ الاتحاد السوفيتى سيحل محل نفوذه هو ، فى المنطقة العربية ، التى أخذ جمال عبد الناصر يجليه عنها ، فى عداوة وقطيعة .. ان اسوأ ما يمكن ان يقال عن القوانين الوضعية هو انها انما سنها القوى ليحفظ بها حقه ، وفرض ، بالقوة ، رعايتها على الضعيف .. ومع هذا ، ورغم هذا ، فان كل القوانين أفضل من قانون الغابة. فليس للضعيف مصلحة فى قانون الغابة على الاطلاق وقد يكون له فى كثير من القوانين الناقصة ، المعيبة ، مصالح جليلة ، ولذلك فان تحدى القوانين الجائرة ، باللجوء الى القوة ، من جانب الضعيف ، الذي لا ينهض بقضيته ، فيه ، من قصر النظر ، ما يوجب أشد التعنيف ذلك بأنه يعطى القوى الفرصة لينقل التقاضى من ساحة المحكمة الى ساحة الحرب ، وهو عمل فيه نكسة من مقام الانسانية الى مقام الحيوانية ، وانما يقع وزره ، وغرمه ، فى آن معا ، على الضعيف اكثر مما يقع على القوى .

ولنفرض ان قانون شركة قناة السويس كان من هذا النوع المعيب من القوانين فان التزام مصر بالوفاء به ، وهى فى تلك الحالة من الضعف أمام قوى الدول الغربية ، كان لمصلحة مصر بصورة لا يحتاج ادراكها الى كبير ذكاء . لا سيما وان مدة امتياز الشركة قد

اوشكت على النهـاية .. فانه مما هو معلوم ان شركة قد تأسست باسم « الشركة العالمية لقنـاة السويس البحـرية » بموجب فرمان الامتياز المؤرخ ٣٠ نوفمبر عام ١٨٥٤ ، ثم تأيد هذا الفرمان بعقـد الامتياز المؤرخ فى ٥ يناير عام ١٨٥٦ وكلاهما من والى مصر ، يومئذ ، محمد سـعيد باشا ، وقد نص فى الفـرمان الاول ، « مادة ٣ » على ما يلى : ـ

« مدة الامتياز تسع وتسـعون سنة تبتدىء من التاريخ الذى تفتتح فيه قنـاة البحرين » .

وفى « المـادة ١٠ » ورد الآتى : ـ

« عند انتهـاء الامتياز تحل الحكومة المصرية محل الشركة .. وتنتفع بكافة حقوقها دون تحفظ ، وتستولى على قنـاة البحـرين وجميع المنشآت التابعة لها ، ويحدد مقدار التعويض الذى يمنح الى الشركة مقابل تنازلها عن المهمات والاشياء المنقولة باتفاق ودى ، او بطريق التحكيم » .

وقد تم الافتتـاح على عهد اسـماعيل باشا فى أكتوبر من عام ١٨٦٩ ، فتكون ، على ذلك ، نهاية مدة الامتياز اكتوبر عام ١٩٦٨ ، تعود بعدها ملكيتها لمصر ، بصورة قانونية ، وتلقائية ، ولا يبقى على مصر ، بعد ذلك ، الا مراعاة حرية الملاحة ، وذلك وفق النظام الذى قررته معاهدة قناة السويس فى عام ١٨٨٨ « معاهدة القسطنطينية » وذلك أمر لم تجد فيه مصر مشقة ، وهى ، على كل حال ، قد التزمت

به للامم المتحدة فى تصريح لهـا فى شهر مايو عام ١٩٥٧ ، وذلك حين وعدت « ان تسمح بحـرية الملاحة ، وان تكفلها لجميع الدول دائما ودون توقف،فى حدود المبادىء التى نصت عليها معاهدة القسطنطينية، ووفق شروطها » .

لقد كان ، اذن ، من الميسور على السيد جمال عبد الناصر ، من غير ابداء الشعور بالمرارة ، ومن غير تحد ، ولا خصومة ، ان يدعو شركة قناة السويس الى الدخول فى مفاوضـة بغرض تأميم قنـاة السـويس ، على أساس تعويض الشركة ، عن المـدة المتبقية لها من الامتياز . او ، ان تعذر الاتفاق على ذلك ، وهو أغلب الظن سيتعذر ، لقد كان الانتظار الى نهاية مدة الامتياز ، نهاية عام ١٩٦٨ ، أفضـل ، وأعود بالخير على مصر ، وعلى الدول العربيـة ، من تأميم يدخلهـا جميعها فى حلبة الحرب الباردة .

العـــدوان الثلاثى الاول :

ذلك بان كل ما لقى العرب ، وما يلقون ، الى اليوم ، انما مرده الى انهم قد أصبحوا ، من جراء قصر النظر فى تأميم قنـاة السويس ، غرضـا من اغراض الحـــرب الباردة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . ولقد خرجت قضية فلسطين من اطارها القديم الذى كانت عليه أعوام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ حيث كانت روسيا تقف مع امريكا فى صف واحد ضد العرب ، الى وضع جـديد ، أصبحت فيه تحتل زاوية صغيرة من مسرح الحوادث . بل لقد أصبحت دولة اسرائيـل

والدول العربية مخالب قطط لخدمة أغراض الكبار ، فاسرائيل تستغلها الدول الغربية لخدمة أغراضها فى المنطقة ، والدول العربية يستغلها الاتحاد السوفيتى فى خدمة أغراضه فى المنطقة • مع اختلاف بينهما فى ذلك • حيث ان مصالح دولة اسرائيل مخدومة أثناء استغلال الغرب اياها فى خدمة أغراضه فى منطقة الشرق الاوسط، بينما مصالح العرب مهدرة ؛ بل ان ضررا قد جلب ، أثناء استغلال الشرق أياهم فى خدمة أغراضه فى منطقة الشرق الاوسط •

والسبب فى هذا الاختلاف ذكاء الاسرائيليين وغفلة العرب • فان الاسرائيليين قد ادركوا ان ليس هناك صداقة بين الدول ، وانما هناك مصالح مشتركة ، اذا التقت عبر عنها بالصداقة ، وادرك معناها الاذكياء ، ولذلك ، فعندما التقت مصالح الغرب بمصالح اسرائيل في المنطقة ، أصبح النفع متبادلا ، وأصبحت اسرائيل تستغل الدول الغربية ، كما تستغلها الدول الغربية ، •• ولكن العرب لفرط غفلتهم ، وسذاجتهم السياسية ، ظنوا ان ليس للاتحاد السوفيتى أغراض فى منطقة الشرق الاوسط ، وانما هى الصداقة ، والنخوة ، والمروءة •• ولذلك فقد استغلوا أشنع استغلال ، وهم فى غفلتهم وسذاجتهم ، يتغنون بصداقة الاتحاد السوفيتى البريئة من كل غرض ، والصحيحة من كل مرض • ولو قد كان للعرب حظ من البصر بخفايا الامور لاختلف حالهم ، من جميع الوجوه • عما هو عليه اليوم •

ومهما يكن من الامر فان تأميم قناة السويس بالصورة التى

جرى بها قد وجه لطمة مهينة الى كبرياء الغرب ، والى هيبته ، والى مصالحه ولما كان قد بدا له ان كل اولئك تخف به كفته هو ، وتثقل به كفة خصمه فى صراع توازن القوى ، فى حلبة الحرب الباردة ، فانه قد فقد صوابه ، وأقدم على حبك مؤامرة العدوان الثلاثى الاول .

« يعاقبوننا (الامريكان والانجليز) بقطع ال ٧٠ مليون دولار على خمس سنوات ، يعاقبوننا بتعطيل رفع مستوانا ، ويقولون فى جرائدهم ان الشعب المصرى يعرف ان جمال عبد الناصر ضده ولا يعرفون اننى ارفض لان الشعب المصرى لا يوافق على طلباتهم » هكذا افتتح السيد جمال عبد الناصر خطابه الذى ألقاه فى مؤتمر الاسكندرية الشعبى فى مساء يوم ٢٦ يوليو من عام ١٩٥٦، ثم استطرد فى ذلك الى ان قال « هذه القناة ملك لمصر فهى شركة مساهمة مصرية ، حفرت بواسطة المصريين ، ١٢٠ الف مصرى ماتوا أثناء حفرها . هذه الشركة التى مقرها باريس مغتصبة مثل دلسبس ومثل بلاك عندما جاء . سنبنى السد العالى وسنحصل على حقوقنا ، سنبنيه كما نريد ، وسنصمم على هذا ، ٣٥ مليون جنيه كل عام تأخذها شركة القناة ، فلنأخذها نحن » وبلاك هذا الذى ورد ذكره فى الفقرة الماضية قد كان مدير البنك الدولى وقد تحدث عنه السيد جمال عبد الناصر فى خطابه آنف الذكر على النحو الآتى : —

« ولما قررنا تأجيل مشروع السد العالى تكلموا هم وطلبوا التنفيذ لما وصل بلاك مدير البنك وقال اننا بنك دولى وليس بنكا

سياسيا وليس لى دعوة بأمريكا ولا أقول الا الرأى الذى أؤمن به ، فقلت له ان مجلس الادارة يتكون من الدول فهو على هذا الاساس بنك سياسى . وكنت أنظر الى مستر بلاك وأتصور ان الذى يجلس أمامى فرديناند دلسبس . عادت بى الذاكرة الى الكلام الذى كنا نقرأه عام ١٨٥٤ عندما وصل الى مصر وذهب الى الخديوى وقال له نريد حفر قناة السويس الذى سيفيدك ، وهو مشروع ضخم سيعيد لمصر الكثير . وكان كل بلاك ما يقعد يتكلم أحس بالعقد فى كلامه ويعود بى التفكير الى دلسبس . وقلت له اننا لا نريد ان نعيد كرومر آخر الى مصر فأرجوك فى كلامك معى ان تضع هذا الاعتبار فى نفسك ، لدينا عقدة من كرومر ومن دلسبس » وبعد خطاب السيد جمال عبد الناصر هذا أخذ كبار الكتاب والمتخصصين يجلون للناس الجوانب المختلفة لقضية التأميم وقد قال الدكتور مصطفى الحفناوى في ذلك كلمة تحت عنوان « سلام العالم فى تأميم الشركة المتحلة » نقتطف منها مقدمتها ، قال « يحدثنا التاريخ دائما عن أخلد أيامه وأعظم رجاله ، ويقص علينا سير الشعوب الجديرة بالحياة والمجد ، وتظل جلائل الاعمال ناطقة بفضل أصحابها ، حتى تشهد لهم يوم الحساب .

« وفى تاريخ العالم الحديث نقطة تحول كبرى مكتوبة فى جبين الدهر بأحرف من ذهب وكلمات من نور ، في هذا السجل الخالد كلمات مدوية :

« مصر الثـورة ـ مصر الجمهورية ـ جمـال عبد الناصر ـ ٢٦ يوليو ١٩٥٦ • ولقـد طوى الرئيس بقراره التاريخى صـفحات سوداء سلخت من حياة العالم سبعة قرون وسبعة أعوام •

« فى سنة ١٢٤٩ ميلادية ، كتب الغرب اول وثيقة سياسيةفى تاريخ قناة السويس ، أثر هزيمته فى الحروب الصليبية ، وهى وثيقة تنطق بأن المشروع حينما نبت فى العقلية الغربية ، لم يستهدف عمارة الارض أو سعادة بنى الانسان ، فصاحب تلك الوثيقة يقول فى تعصب جنونى ان السبيل الوحيد للقضاء على دولة المسلمين ، وطاب له ان يسميهم الكفار ، هو قيام دولة أوروبية باحتلال مصر : على ان تتكتل اوروبا كلها وراء المحتل الذى يشق قناة ببرزخ السويس تصير ملكا مشتركا للعالم المسيحى ويبدد بها شمل المسلمين » هذا بعض ما قاله الدكتور مصطفى الحفنـاوى ، وقال غيره كثير من كبار الكتـاب ، ورجال الاختصاص مما نشرته وزارة الارشاد القومى فى كتيب خاص باسم « أضـواء على قنـاة السويس » • ففى مثل هـذا الجو النفسى والفكرى (ان صح ان فيه فكرا) تمت مباشرة تأميم قناة السويس ..وذلك جو اتسم بالمرض ، لا بالصحة النفسية .. « العقد النفسية » تعطى تعبيرا صحيحا عن ذلك الجو، وقد عبر عنها السيد جمال عبد الناصر فى خطابه الذى سلفت الاشارة اليه ، وذلك حين قال « وكان كل بلاك ما يقعد يتكلم أحس بالعقد فى كلامه ، ويعود بى التفكير الى دلسبس وقلت له اننا لانريد ان نعيد كرومر آخر الى مصر، فأرجوك فى كلامك معى

ان تضع هذا الاعتبار فى نفسك: لدينا عقدة من كرومر، ومن دلسبس ٠»
والرجال الكبار لا يفكرون بالعقد النفسية ، وانما يحاولون التخلص من العقد النفسية ليصفو لهم الفكر ، لئلا تضار مصالح أقوامهم ، وأى خير يمكن ان ينتظر من تصرف زعيم معقد نفسيا ؟

ومهما يكن من الامر فان هذه المواجهة المريضة قد بعثت تصرفا مريضا ، اذ ازداد التوتر بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، ومصر من جهة أخرى ، فبيتتا أمرا ، وأعلنتا غيره ، حين رفعتا المشكلة الى مجلس الامن ، باعتبارهما من حملة الاسهم الرئيسيين ، وكان ذلك فى شهر سبتمبر، وقد طلبتا اليه ان يبحث «الموقف الذى خلقته الحكومة المصرية، نتيجة تصرفها من جانبها هى وحدها ، تصرفا أدى الى انهاء نظام العمل الدولى لقناة السويس ، وهو النظام الذى أكدته معاهدة قناة السويس فى عام ١٨٨٨ (معاهدة القسطنطينية) ٠ » وانما وضعتا القضية بهذه الصورة لتبررا العدوان المبيت باعتباره دفاعا عن حق دولى استباحته الحكومة المصرية ، ولتجدا ذريعة لدولة اسرائيل للتدخل ، لان مصر ، بما تعتبر نفسها فى حالة حرب معها ، وهو اعتبار لا يجد عندهم ما يبرره ، ستمنعها حق المرور بالقناة ، ومن غير أدنى ريب ، فان الدولتين قد أوعزتا ، من هذا المنطلق ، الى دولة اسرائيل ان تبدأ العمل المسلح ضد مصر ٠ وكذلك عبرت القوات الاسرائيلية الحدود المصرية فى طريقها الى شبه جزيرة سيناء ، وسارت فى اتجاه قناة السويس وذلك فى يوم ٢٩ اكتوبر من عام ١٩٥٦ ، وفى اليوم

التالى أخطرت بريطانيا وفرنسا مجلس الامن بأنهما قد ناشدتا مصر واسرائيل ايقاف العدوان فى سيناء ، كما طلبتا من مصر السماح للقوات البريطانية والفرنسية باحتلال المواقع الرئيسية فى منطقة السويس ، وقد صرحتا بأن هدفهما من ذلك هو ، « فصل الجيوش المتحاربة بعضها عن بعض ، وضمان حرية العبور فى قناة السويس » كما انذرتا بأنه فى حالة عدم الاستجابة لمطلبهما فانهما على استعداد للتدخل .

ولما كانت الدولتان الاوربيتان لم تقدما على هذه الاجراءات في مجلس الامن الا من قبيل ذر الرماد فى العيون ، لتغطية العدوان المبيت فقط ، فانهما قد عارضتا كل اتجاه الى حلول تنبع من داخل المجلس ، حتى أنهما قد عارضتا ، واسقطتا ، قرارا تقدمت به امريكا الى مجلس الامن يطالب بجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى المصرية فورا ، ومعارضتهما انما تعنى استعمال حق « الفيتو » . وكان من ضمن قرار امريكا ، هذا الذى اسقط ، الا تتدخل أية دولة أخرى ، أو تسهم ، فى تلك العمليات الحربية التى شرعت فيها دولة اسرائيل ضد مصر ، لئلا تزداد وتنتشر ، وبالطبع فان فى مثل هذا القرار ، لو اتخذ من جانب مجلس الامن ، قضاء على مؤامرة العدوان المبيته ، ومن أجل ذلك استعمل حق « الفيتو » فى اسقاطه . ولقد اقترحت فى مجلس الامن ، فى تلك الايام ، اجراءات اخرى كانت تجد المعارضة من الدولتين ، مما اضطر معه مجلس الامن ان يطلب عقد دورة

استثنائية للجمعية العامة لبحث هذه المشكلة • ولقد عارضت بريطانيا وفرنسا دعوة الجمعية العامة وشرعتا من توهما فى عملياتهما الحربية ضد مصر ابتغاء احتلال قناة السويس •

وفى ليلة ١/ ٢ نوفمبر وافقت الجمعية العامة ، بأغلبية كبيرة ، على قرار تقدمت به الولايات المتحدة يقضى بايقاف اطلاق النار ، ويوصى بامتناع جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة عن تقديم اية معدات حربية في تلك المنطقة ، ومع ذلك استمر القتال ، واستمرت قوات اسرائيل تتقدم ، كما أخذت القوات البريطانية والفرنسية تواصل دك منشآت القناة وسفنها بقاذفات القنابل الثقيلة •

هنا تدخل الاتحاد السوفيتى فوجه انذارا بأنه سيعمل منفردا لايقاف هذا العدوان البشع ، وذلك باطلاق الصواريخ الموجهة من الارض على قواعد الدول المعتدية ، ان لم تنصع هذه الدول لقرار ايقاف اطلاق النار ، وتسحب قواتها من الارض المصرية على الفور •• ولم يكن الانذار الروسى ، يومئذ ، قد تعرض الى ما تعرض اليه فيما بعد فى مواجهة كوبا المشهورة •• كان يومئذ يحمل وزنا كبيرا ، ولذلك فقد أصاب دوائر الغرب الذعر عند سماعه ، فنشطت الولايات المتحدة ، ونشط الرأى العام الغربى ، يزيد كل منهما من ضغطه على بريطانيا وفرنسا حتى استجابتا لرغبة الامم المتحدة فأوقفتا اطلاق النار ، وشرعتا فى سحب قواتهما من أرض مصر وذلك فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٦ ، وقد حذت حذوهما دولة اسرائيل ، بيد أنها تلكأت فى

سحب قواتها ، ففى حين تم سحب القوات البريطانية ، والفرنسية ، من الارض المصرية ، قبل نهاية شهر ديسمبر ، فان القوات الاسرائيلية لم تنسحب تماما الا بعد ذلك بمدة طويلة • والا بعد ان اتخذت الجمعية العامة عدة قرارات تطالب بسرعة الانسحاب •

وفى أثناء جلاء القوات المعتدية كانت القوة الدولية، التى تشكلت بناء على القرار الذى اتخذته بشكيلها الجمعية العامة ، تتخذ مواقعها فى منطقة القناة • وقبل حلول شهر مارس من عام ١٩٥٧ ، كانت القوة الدولية قد احتلت مواقعها فى قطاع غزة ، فى الجانب المصرى على الحدود المصرية الاسرائيلية ، وعلى طول خليج العقبة • وقد رفضت اسرائيل ان تسمح لقوات الامم المتحدة باحتلال بعض المواقع على خط الحدود داخل أراضيها •

وقد خولت قوة الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة ، وهذا هو الاسم الذى أصبحت تعرف به هذه القوة الدولية المشكلة من قوات عسكرية من عشر دول ، السلطة الكاملة فى حفظ الامن والنظام فى تلك المنطقة •

ولقد تدخلت امريكا لايقاف عدوان حليفتيها لاسباب عدة ، منها ان العدوان لم يكن له من الاسباب ما يكفى لتبريره فى نظر الرأى العام البريطانى ، والفرنسى ، والامريكى • بله الرأى العام العالمى • ومنها ان امريكا لم تكن تعرف يومئذ حقيقة القوة السوفييتية ، وهى لم تكن بعد قد تكشفت عما تكشفت عنه فيما بعد

من الوهن ، وذلك فى المواجهة الكوبية المشهورة ، فظنت امريكا ان روسيا قد تعنى التهديد ، وانها قد تنفذه ، وان تنفيذه قد يجر لحرب عالمية شاملة لا تؤمن عواقبها .. ومنها ان امريكا كانت تسعى لتوكيد زعامتها على الكتلة الغربية ، والى ترسيخ قواعد تلك الزعامة ، وذلك باجلاء بريطانيا ، وفرنسا من مواقعهما منها .. لا سيما وانهما قد أمكنتا من نفسيهما بأقدامهما على تلك المؤامرة الضعيفة الحبكة .

العدوان الثلاثى الثانى :

والعدوان الثلاثى الثانى الذى جرى فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ يرجع سببه ايضا الى قصر النظر فى تأميم قناة السويس فهو لا يختلف ، لا فى دوافعه ، ولا فى بواعثه ، ولا فى أهدافه عن العدوان الثلاثى الاول ، الذى دبر فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وان اختلف عنه فى جودة حبكته ، وفى مهارة اخراجه .. وقد تولت امريكا بنفسها حبكته واخراجه، بعد ان ظهر لها، بتجربة كوبا المشهورة ، ان الاتحاد السوفيتى يخشى الحرب أشد الخشية ، وان تهديداته الكثيرة ليس لها ، لدى التحليل الاخير ، أية قيمة عملية يحسب لها حساب . وقد أعان امريكا على النجاح فى اتقان وضع خطة هذا العدوان وتنفيذها العرب أنفسهم وذلك بغفلة زعمائهم وبقلة حنكة هؤلاء الزعماء السياسية والدبلوماسية ، والعسكرية .

قلة حنكة الزعماء العرب السياسية : ـ

وقلة حنكة الزعماء العرب لا يعييك التماسها أنى

اتجهت .. فهى فى أقوالهم وفى أفعالهم ، وخطاب السيد جمال عبد الناصر الاخير الذى القاه بعد الهزيمة ، بمناسبة العيد الخامس عشر لثورة الجيش المصرى وحده يطفح بالاخطاء التى تدل على قلة حنكة السيد جمال وهو يعتبر زعيم زعماء العرب .. قال السيد جمال في معرض الرد على تساؤل من تساءل لماذا انصاع لنصيحة الرئيس الامريكى فلم يبادر باطلاق النار ؟ قال « المسألة الثالثة اننا بتحركنا وأخذنا المبادأة لدفع الخطر عن سوريا كنا ندرك أننا ، خصوصا من وجهة النظر الدولية ، ان نبدأ بالضربة الاولى فى معركتنا المسلحة . ولو كنا فعلنا ذلك لكنا قد عرضنا أنفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان فى مقدورنا احتماله . ولقد كان اول ما سوف نواجهه هو عمل عسكرى أمريكى مباشر ضدنا يجد الحجة والعذر من اننا اطلقنا الرصاصة الاولى في المعركة . واريد فى هذا الصدد أن ألفت نظركم الى نقاط هامة . أول نقطة التحذيرات الامريكية ويمكن قرأتم عن هذه التحذيرات الامريكية فى الصحف ولكن مستشار الرئيس الامريكى جونسون طلب سفيرنا فى وقت متأخر من الليل فى واشنطن وقاله انه فيه معلومات عند اسرائيل انكم حاتهجموا . وقال ان ده يعرضنا لوضع خطير وناشدنا ضبط النفس » وفى موضع آخر من هذا الخطاب نفسه يقول السيد جمال « في هذا الاجتماع محدش أبدا اتكلم على الهجوم على اسرائيل مكنش فيه أبدا أى فكرة ان احنا حنقوم بعمل هجومى على اسرائيل . وزى ما وضحت من الاول اللى

كان باين من كل تحليلاتنا ان أى عمل هجومى على اسرائيل حيعرضنا لمخاطر كبيرة اول هذه المخاطر هجوم امريكا علينا نظرا للتصريحات اللى أعلنتها امريكا وقالت فيها انها تضمن حدود الدول فى هذه المنطقة وكان باين لينا ان امريكا لما تقول انها تضمن حدود الدول فى هذه المنطقة ولا تسمح بأى تغييرات فى هذه المنطقة مكنش امريكا تقصد بهذا أبدا الدول العربية ولكن امريكا كانت تقصد بهذا اسرائيل كانت تقصد انه اذا حصل عدوان على اسرائيل ان امريكا حاتنفذ التصريح اللى قاله الرئيس كيندى قبل كده ان امريكا تضمن للجميع الحدود فى هذه المنطقة على هذا الاساس مكنش فيه أبدا أى بحث عن موضوع البدء بالهجوم على اسرائيل ولكن عمليتنا كلها فى القيادة المشتركة كانت عملية دفاعية وكان حشدنا فى تقديرنا فى هذا الوقت هى عملية ردع حتى لا تقوم اسرائيل بالعدوان على سورية » .

هذا وذاك هو ما قاله السيد جمال عبد الناصر فى ذلك الخطاب الذى القاه بعد الهزيمة بمناسبة العيد الخامس عشر لثورة الجيش المصرى ، ونحن نرجو ان يتعمق القراء هذه الاقوال وبخاصة قوله ، « كنا ندرك اننا ، خصوصا من وجهة النظر الدولية ، ان نبدأ بالضربة الاولى فى معركتنا المسلحة . ولو كنا فعلنا ذلك لكنا قد عرضنا أنفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان فى مقدورنا احتماله . ولقد كان اول ما سوف نواجهه هو عمل عسكرى امريكى مباشر ضدنا يجد الحجة والعذر من اننا اطلقنا الرصاصة الاولى فى المعركة » لماذا ؟

يحدثنا السيد جمال فيقول « نظـرا للتصريحات اللى اعلنتها أمريكا وقالت فيها انها تضمن حدود الدول فى هذه المنطقة وكان باين لينا ان امريكا لمـاتقول انها تضمن حدود الدول فى هذه المنطقة ولا تسمح بأى تغييرات فى هذه المنطقة مكنش امريكا تقصـد بهذا أبدا الدول العربية ولكن امريكا كانت تقصد بهذا اسرائيل كانت تقصد انه اذا حصل عدوان على اسرائيل أن أمريكا حاتنفذ التصريح » .

والسؤال الآن هو ، أليس غرض العرب المعلن على العالم دائما ، والقائم خلف عدم الاعتراف باسرائيل ، وعدم الصلح معها ، وعـدم التفاوض معها ، هو ان يمحو العرب دولة اسرائيل من الوجود فى أرض فلسطين ؟ فاذا كنا نحترم ضمان امريكا لحدود اسرائيل او كنا نخاف امريكا الى حد نشعر معه اننا اذا خالفناها نكون « قد عرضنا انفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان فى مقدورنا احتمـاله » فهل ننتظر يوما تتخلى فيه امريكا عن هذا الضمان لحدود اسرائيل ؟ أم هل ننتظـر يوما يكون لنا فيه من القوة العسـكرية والسياسـية والدبلوماسية ما يمكننا من مناهضة امريكا ومن تحدى ضماناتها لحدود اسرائيل ؟ ام ان ضمان امريكا لحدود اسرائيـل لا يكون ملزما لامريكا الا اذا كنا نحن البادئين بالهجوم على اسرائيل ، فنحن اذن ننتظـر ان تبدأنا اسرائيل بالهجوم لنقوم بمباشرة محوها من الوجود فى فلسطين ، ونحن فى عـذر مديد أمام امريكا ؟ فاذا كان التصريح الذى أشـار اليـه السيد جمال عبد الناصر ، والذى ظهر انه يخشاه كل هذه الخشية ،

لم يكن جديدا من جانب امريكا ، وانما يرجع الى عام ١٩٥٠ ، أفليس من الحق ان تتساءل هل كان السيد جمال عبد الناصر فعلا يعنى التهديد الذى يذيعه على العرب كل عام مرة او مرتين ضد دولة اسرائيل ؟ أم هل كان يريد به الى بسط زعامته على العرب ، وذلك باشاعة جو الخوف حولهم ، واستغلال روح القطيع فيهم ؟ .

ولقد يظن فئان من اشياع السيد جمال عبد الناصر انه انما قصد عدم البدء بالهجوم على اسرائيل في الوقت الحاضر فقط ، وهو وقت لم يكتمل فيه استعداد العرب للقيام بمباشرة محو اسرائيل من الوجود الفلسطينى ، وانما اضطروا للتحركات العسكرية لان اسرائيل أصبحت مهددة نسوريا بالغزو ، فكان غرضهم من ثم غرضا دفاعيا لا هجوميا .. قد يقول أحد الاشياع هذا القول ونحن لانملك الا ان ندعوه الى ان يقرأ تصريح السيد جمال عبد الناصر الذى ادلى به يوم ٢٩ من شهر مايو من عام ١٩٦٧ ، أى قبل بدء العدوان بأقل من اسبوع ، وذلك حيث قال ، « اذا هاجمتنا اسرائيل فى أى مكان فسوف نهاجمها فى كل مكان وسوف نقوم بتدميرها تدميرا كاملا ولن تكون المعركة محدودة » قال السيد جمال قوله هذا وهو يتحدث عن انسحاب قوة الطوارىء الدولية ، وعن اعادة السيطرة المصرية على خليج العقبة ، ثم استرسل فى القول فتحدث عن ظروف العمل العربى منذ عام ١٩٥٦ ، واهتم بالذات بموضوع قوات الطوارىء الدولية ، وخليج العقبة ، وحملات التشكيك التى وجهت الى الجمهورية العربية المتحدة ، وقال ،

« لقد قلت دائما اننا اذا أردنا اخراج قوات الطوارىء فانها تخرج فى نصف ساعة وهذا ما حدث » •

« وكان اعتقادنا دائما ان موضوع خليج العقبة هو موضوع حرب شاملة ، لا نواجهها الا اذا كنا على استعداد لها ولا نتحدث عنها الا اذا كنا على استعداد للمواجهة » •

« ولقد كانت الجمهورية العربية المتحدة تستعد وتنتظر » وقال السيد جمال ان الانتظار وصل مداه بالتهديد الاسرائيلى الذى وجه الى سوريا •

فقد كانت مصر اذن مستعدة « لحرب شاملة » حين طلبت من السكرتير العام لهيئة الامم ان يسحب قوات الطوارىء الدولية وحين باشرت السيطرة على خليج العقبة وقفلته في وجه الملاحة الاسرائيلية •

ثم ان السيد جمال عبد الناصر يحدثنا عن هذا التهديد الذى صدر من دولة اسرائيل ضد سوريا ، وذلك فى خطابه الذى القاه بمناسبة الاحتفال بالعيد الخامس عشر لثورة الجيش المصرى فيقول : « المسألة الاولى التى يجب ان تكون واضحة أمامنا جميعا اننا لم نكن البادئين بتأزيم الموقف فى الشرق الاوسط • كلنا نعرف ان هذه الازمة بدأت بمحاولة اسرائيل غزو سوريا • من المؤكد لنا جميعا ان اسرائيل فى هذه المحاولة مكنش بتعمل لحسابها وانما كانت تعمل أيضا لحساب القوى التى ضاقت ذرعا بحركة الثورة العربية » •

هذا هو الموقف كما يراه السيد جمال ويصوره للشعوب العربية ،

ولكن امريكا تراه بصورة أخرى ، وعندما تنقل رأيها للسيد جمال يرد عليها بخلاف ما يكلم العرب • ففى مذكرة من حكومة الولايات المتحدة الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن حالة التوتر فى منطقة الشرق الاوسط مؤرخة ٢٣ مايو ١٩٦٧ قالت حكومة الولايات المتحدة ان ثلاثة امور تسبب لها قلقا خاصا : « اولها اعمال الارهاب المستمرة التى تجرى ضد اسرائيل بموافقة سوريا ، والتى تقوم ، في بعض الحالات على الاقل ، من الاراضى السورية ، وهذا يتنافى مباشرة مع اتفاقات الهدنة العامة التى تنادى الدول الموقعة عليها ان تضمن الا يرتكب عمل شبيه باعمال الحرب ، او من اعمال العدوان ، من ارض احدى هذه الدول ضد الطرف الآخر أو ضد المدنيين فى أرض يسيطر عليها هذا الطرف الآخر • ونحن نعتقد ان اتفاقات الهدنة العامة ما زالت تشكل القاعدة المثلى لان تسود الاحوال السلمية على امتداد الحدود ، ونحن نأمل ان تشاركنا الجمهورية العربية المتحدة ، هى والحكومات الاخرى ، فى مناشدة كل أطراف اتفاقات الهدنة ان تحترم مواد هذه الاتفاقات بحذافيرها » •

والهدنة التى تشير اليها مذكرة حكومة الولايات المتحدة هذه هى الهدنة التى اجريت اتفاقاتها فى منتصف عام ١٩٤٩ تحت رعاية الامم المتحدة ووقعتها كل الدول المعنية وهى مصر ، وسوريا ، ولبنان ، والاردن ، واسرائيل •

فماذا قال السيد جمال فى الرد على هذه المذكرة ؟ فى جواب له

مؤرخ ٢ يونيو عام ١٩٦٧ الى الرئيس جونسون قال : « ولقد أشرتم فى رسالتكم الى نقطتين : أولاهما ما أشرتم اليه من اننا ينبغى ان ننحى الماضى جانبا ، وان نعمل على انقاذ الشرق الاوسط ، بل والعالم كله ، بتجنب الاعمال العسكرية ..فبالنسبة لهذه النقطة اود ان أشير الى ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة لا تكتفى باتخاذ السلام العالمى هدفا ، بل اننا ، فى سبيل هذا الهدف ، نأخذ دورا ايجابيا لا أرى الاستطراد فى بيانه تجنبا للوقوع في دائرة التمجيد الذاتى ، أما بالنسبة للقيام بتجنب الاعمال العسكرية فيكفى هنا ان اكرر ما سبق ان اعلنت من ان كافة ما قمنا به هى اجراءات فرضتها قوى العدوان ، ومع ذلك فان قواتنا لم تبدأ بأى عدوان ، ولكننا بلا شك سندافع ضد أى عدوان يقع علينا ، او على أى بلد عربى بكل ما نملك من قدرات وامكانيات » .

« وثانيهما : هو ما اشرتم اليه من ان مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اختراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح ، وأنا اتفق معك فى هذا الرأى ، ومع ذلك فينبغى ان ننظر فى كيفية تطبيق هذا المبدأ على كل حالة ، فاذا كان قصدكم هو عبور بعض أفراد شعب فلسطين خطوط الهدنة فاننى اود هنا ان اشير الى ضرورة بحث هذا الجانب فى نطاق النظرة الشاملة لقضية شعب فلسطين ، وهنا أيضا اتساءل عن مدى قدرة أية حكومة فى ان تسيطر على مشاعر أكثر من مليون فلسطينى فات ما يقرب من العشرين عاما دون أن تهتم

العائلة الدولية ـ ومسئوليتها هنا مسئولية لا يمكن الفرار منها ـ باعادتهم الى وطنهم وتكتفى الجمعية العامة للامم المتحدة فى كل دور من أدوار انعقادها بتأكيد هذا الحق . ان ما يقوم به بعض أفراد الشعب الفلسطينى من عبور خطوط الهدنة ان هو فى الواقع الا مظهر من مظاهر الغضب الذى اصبح ـ عن حق ـ يتملك هذا الشعب أزاء الانكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ومن جانب القوى التى تقف مع اسرائيل وتعاونها ماديا وادبيا » .

« وفى الواقع اننا مهما حاولنا ان نفصل بين جوانب المشكلة فلا بد ان نعود فى النهاية الى جوهرها وأصلها الذى يتمثل فى حق شعب فلسطين فى ان يعود الى بلاده ومسئولية العائلة الدولية فى ان تكفل له ممارسة هذا الحق » .

هذا ما قاله السيد جمال عبد الناصر فى الرد على الرئيس جونسون ، وفى هذا القول تضليل ، وفيه التواء .. ولقد يظهر التضليل فى هذا التنصل من اعمال الفدائيين العرب ، وجعل نشاطهم فى التسلل ، والارهاب ، والتخريب داخل اسرائيل كانما هو تعبير عن غضبة شعب خرج عن سيطرة الحكومات العربية .. « وهنا أيضا اتساءل عن مدى قدرة أية حكومة فى ان تسيطر على مشاعر اكثر من مليون فلسطينى فات ما يقرب من العشرين عاما دون ان تهتم العائلة الدولية ـ ومسئوليتها هنا مسئولية لا يمكن الفرار منها ـ باعادتهم الى وطنهم » كما ورد فى هذا الخطاب .. هذا فى الوقت الذى يعلم

فيه العالم أجمع ان عمل الفدائيين في اسرائيل انما هو عمل منظم تشرف عليه منظمة التحرير الفلسطينية وهي منظمة رسمية ، تجد الاعتراف والتأييد ، والمعونة من الحكومات ومن الشعوب العربية ، ويعتبر عمل الفدائيين العرب الذى يقومون به فى داخل اسرائيل طليعة الغزو العربى الذي ستباشره الجيوش العربية بغرض محو اسرائيل من الوجود . فاذا ما تحدث عنهم السيد جمال بالصورة التى وردت فى خطابه هذا فانه يكون قد عزلهم عن الخطة المتكاملة للعمل الحربى الموحد ، ويكون بذلك قد انصرف ، في الخارج ، عن المواجهة الحربية لاسرائيل التى يحدث بها ، فى الداخل ، الشعوب العربية دائما .. ويكون قد مارس تضليلا ، بل كذبا لا يليق بزعيم يتولى الحديث باسم العرب كلهم ، ذلك بان مثل هذا المسلك يقلل من الاحترام الذى يجب ان يلقاه العرب فى الدوائر العالمية ، ولدى مختلف الحكومات .

ويظهر الالتواء فى هذا النكول عن مواجهة الاتهام الامريكى بتفنيد فى مستواه ، او بالاعتراف به ، والدفاع عنه بجراءة وصدق .. ذلك بأن الاتهام الامريكى يقول « اولها اعمال الارهاب المستمرة التى تجرى ضد اسرائيل بموافقة سوريا ، والتى تقوم ، فى بعض الحالات على الاقل ، من الاراضى السورية ألخ ألخ،» وواضح ان أهم عبارة فى حديث امريكا هذا هى عبارة « بموافقة سوريا » فهل من الصدق والرجولة ان يكون ردنا على هذا الاتهام أن سوريا لم تكن

راضية عن اعمال الفدائيين العرب ، ولكنها كانت عاجزة عن « السيطرة على مشاعر اكثر من مليون فلسطيني الخ الخ » كما يفهم من رد السيد جمال عبد الناصر ؟ وهل تعتذر حكومة عن مخالفة رعاية الحقوق الواجبة الرعاية بتقصيرها عن السيطرة على ما يجرى فى أرضها ؟

عدم صدق الزعماء العرب : ـ

الحق ان وصف زعماء العرب بقلة الحنكة السياسية أقل مما يجب فى حقهم . فأن هناك ما هو اخطر من ذلك .. هناك ان جمال عبد الناصر ، على الاقل ، يتحدث بلسانين .. لسان للشعوب العربية فى الداخل ، ولسان للرجال المسئولين فى الخارج ، ولا نحتاج لالتماس البرهان على ذلك للبحث في مكان جديد ، غير جوابه للرئيس الامريكى جونسون الذى نحن بصدده الآن .

فاقرأوا ان شئتم قوله منه ، « وفى الواقع اننا مهما حاولنا ان نفصل بين جوانب المشكلة فلابد ان نعود فى النهاية الى جوهرها وأصلها الذى يتمثل فى حق شعب فلسطين فى ان يعود الى بلاده ومسئولية العائلة الدولية فى ان تكفل له ممارسة هذا الحق » .

فاما الشعوب العربية كلها فأنها قد فهمت عن السيد جمال عبد الناصر ، وعلى طول المدى ، ان مشكلة فلسطين انما « جوهرها وأصلها » وجود دولة اسرائيل غير الشرعى فى ارض لا شبهة حق لها فيها . وان حل هذه المشكلة انما هو باقتلاع دولة اسرائيل من

جذورها ، والقذف باليهود فى البحر ليعودوا من حيث أتوا ، لتخلو الارض الفلسطينية العربية لاهلها العرب . وهـذا حل لا يمكن ان يكون الا بالحرب ، وبحد السلاح !!

واما الرجال الرسميون فى الخارج فان السيد جمال يخبرهم ان مشكلة فلسطين « جوهرها وأصلها » حق شعب فلسطين في ان يعود الى بلاده ، ثم هو يجعل تمكين شعب فلسطين من ممارسة هذا الحق مسئولية العائلة الدولية .. ومعلوم ان العائلة الدولية قد اعطت دولة اسرائيل وجودها الشرعى . وذلك باقرار مبدأ التقسيم عام ١٩٤٧ ، ومعلوم ايضا ان العرب قد رفضوا ولا يزالون يرفضون ، مبدأ التقسيم هذا .. فماذا عسى يعنى السيد جمال بهذا القول ؟ هل يعنى ، أو يمكن ان يعنى ، ان مسئولية العائلة الدولية ان تمحو اسرائيل من الوجود الفلسطينى ، ثم تعيد شعب فلسطين الى تلك الارض ليمارس حق البقاء فيها ، واسرائيل نفسها عضو فى العائلة الدولية منذ عام ١٩٤٩ ؟ أم انه يعنى بمسئولية العائلة الدولية فى اعادة شعب فلسطين الى ارضه تنفيذ مبدأ التقسيم ، وهو مبدأ ، كما قلنا ، رفضه العرب ، ولا يزالون يرفضونه ، والسيد جمال عبد الناصر فى طليعتهم فى ذلك ؟ أم ان هذا قول قيل من أجل الظهور بمظهر المعقولية امام الرجال المسئولين فى الخارج ، مع الحرص على الظهور بمظهر الثورة والتحدى ، امام الشعوب العربية فى الداخل ؟

والسيد جمال فى جوابه للرئيس جونسون يقول « اولاهما :

ما اشرتم اليه من اننا ينبغى ان ننحى الماضى جانبا وان نعمل على انقاذ الشرق الاوسط ، بل والعالم كله ، بتجنب الاعمال العسكرية ، فبالنسبة لهذه النقطة اود ان أشير الى ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة لا تكتفى باتخاذ السلام العالمى هدفا ، بل اننا ، فى سبيل هذا الهدف ، نأخذ دورا ايجابيا لا أرى الاستطراد فى بيانه تجنبا للوقوع في دائرة التمجيد الذاتى » هذا ما قاله السيد جمال للرئيس جونسون وان المرء ليحار كيف يجوز ان يقول مثل هذا القول رجل بنى مجده السياسى على معاداة اسرائيل ، وهو لا يكاد يطلق تصريحا سياسيا ، أو يلقى خطابا قوميا الا يتوجه اليها بالوعيد بحرب قريبة تلقى بها فى البحر ؟ أليس واجب الزعامة ، والرجولة ، والوضوح ، والصدق مع نفسه ومع شعبه كان يوجب على السيد جمال عبد الناصر ان يقول للرئيس جونسون بدلا من القول السالف الذكر .. قولا مثل هذا ؟ « اولاهما : ما اشرتم اليه من اننا ينبغى ان ننحى الماضى جانبا وان نعمل على انقاذ الشرق الاوسط ، بل والعالم كله ، بتجنب الاعمال العسكرية ، فأنى ما أدرى هل نملك ، أنا وأنت ، ان ننحى الماضى جانبا وقد ارتكبت فيه من الاخطاء ما سلبت الحقوق من ذوى الحقوق ونحلتها غير أهلها ؟ وهل نملك ، أنا وأنت ، ان نجود ، وان نتجاوز عن حقوق لا ينام عن نشدانها أصحابها الشرعيون ؟ وما ادرى ايضا كيف يمكن تجنب الاعمال العسكرية فى وقت لاتبدو لنا فيه بارقة امل فى تطبيق العدالة ؟ أليست الاعمال العسكرية هى ، في جميع حقب

التاريخ ، الاسلوب الذى يلجأ اليه طلاب الحقوق المهدرة كلما ادركهم اليأس من عدالة الضمير البشرى ؟ اننى ، يا سيدى الرئيس ، استطيع ان أعدك بشيء واحد هو السعى الى رد حقوق شعب فلسطين الى أهلها بأساليب السلم حيث أمكنتنى الفرصة من ذلك ــ فان العدالة هى وحدها القادرة على ان تغنينا عن اللجأ الى الاعمال العسكرية ، وهى من ثم وحدها القادرة على انقاذ الشرق الاوسط وانقاذ العالم كله من شرور ما يتهدده من حروب » •

الا ترون ان مثل هذا القول يكون أقرب الى طبيعة تفكير السيد جمال عبد الناصر الذى يعلنه على العرب فى الداخل فى كل مناسبة ؟

قلة حنكة الزعماء العرب الدبلوماسية : ــ

واما قلة حنكة زعماء العرب الدبلوماسية فهى ايضا بادية ، وما يحوجنا التماسها الى كبير عناء • وما الفشل الذى منى به العرب فى الدورة الاستثنائية للجمعية العامة ببعيد •• ومن طبيعة ضعف التفكير السياسى ان يورث ضعفا فى المقدرة الدبلوماسية ، اذ ما الدبلوماسية ، فى حقيقتها الا النهج الذى به يتم توضيح السياسة الخارجية بغية ان يكسب لها التأييد •

ويمكن ان نلتمس الضعف الدبلوماسى حتى فى جواب السيد جمال عبد الناصر للرئيس جونسون هذا الذى لا نزال بصدده :

قال « اود ان اشير الى ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة لا تكتفى باتخاذ السلام العالمى هدفا ، بل اننا ، في سبيل هذا الهدف ، نأخذ دورا ايجابيا لا ارى الاستطراد فى بيانه تجنبا للوقوع فى دائرة التمجيد الذاتى » فمنذا الذى يسلم للسيد جمال بأن سياسته تأخذ دورا ايجابيا فى النظرة الى السلام العالمى مما يغنيه عن الاستطراد فى البيان ؟ أليس مما يعرفه العالم عن السيد جمال استعراضاته العسكرية ، كل عام مرة أو مرتين ، وخطبه المشهوره فى تهديد اسرائيل ؟ أليس مما يعرفه العالم ان السيد جمال يقود العرب فى طريق الحرب لاسترداد أرض فلسطين ، ولمحو دولة اسرائيل من الوجود ؟ فاذا كان من يقف مثل هذا الموقف فى نظر العالم لا تحتاج سياسته لتوضيح وشرح وتبرير فمنذا الذى يحتاجه ؟ أم هل يظن بالعالم ان ينظر الى دولة اسرائيل كما ينظر اليها العرب ؟ او يظن به ان ينظر الى حق شعب فلسطين ، فى فلسطين ، كما ينظر اليه العرب ؟

ان ضعف الدبلوماسية العربية يمكن ، بايجاز ، ان يلتمس فى ضعف الادراك العام للقضية العربية ، وفى العجز عن النظر الى الامور من وجهة النظر المعارضة .

قلة حنكة الزعماء العرب العسكرية : ـ

واما قلة حنكة زعماء العرب العسكرية فهى تتحدث عن نفسها بهزائم عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ويكفى فيها ان الاخطاء العسكرية فى صحراء سيناء عام ١٩٥٦ تكررت بحذافيرها في هزيمة عام ١٩٦٧ .

وما دمنا بصدد عدم حنكة زعماء العرب فمن الخير ان نخصص الفصل المقبل للنظـر فى بعض الاخطاء التى يرجع اليهـا السبب فى هزيمة العرب .

الفصـــل الثالث

أخطاء الزعماء العـــرب :ـ

وما دمنا نتحدث عن غفلة القيادة العربية فى ميـادين السياسة والحرب فلعل من الخير ان نستعرض بعض اخطاء الزعماء العرب مما يؤيد القول بقلة حنكة هؤلاء الزعماء ، ومما يوجب المحاسبة التامة ، بغية تصحيح الاوضـاع ، وبغية اقلاع الشـعوب عن السير خلف زعامات ليس لها من الزعامة الا المظهر الكاذب ، والا الثرثرة الرعناء ، التى لا تنم على عقل ولا خلق .. مما كبد الامة العربيـة خسائر في السمعة ، والانفس ، والاموال من العسير تعويضها .. ومن المؤسف حقا ان كثيرا من هذه الاخطاء لا تزال خافية على هؤلاء الزعماء وعلى كثير من حملة الاقلام العرب . وأسوأ هذه الاخطاء فكرة القوميـة العربيـــة .

القومية العربيـــة :

وخطأ دعوة القومية العربية لا يجيء فقط من كون القومية دعوة عنصرية ، وانما يجيء ايضا من كون وقتنا الحاضر وقتا ارتفع فيـه الصراع الى مستوى المذهبيات والافكار . ولمـا استشعر العـرب هبوب رياح الافكار لم يزدادوا هـدى ، وانما ازدادوا ضـلالا .

فزعموا ان القومية العربية ليست دعوة عنصرية ، وانما هى دعوة الى وحدة الثقافة والتاريخ واللغة • وزادوا ، فزعموا ان هناك اشتراكية عربية تطبقها القومية العربية على العرب ، وارتفع بذلك صوت السيد جمال عبد الناصر ، فى كل تصريحاته وكل خطبه • وانما هى الشيوعية الماركسية ينقلها السيد جمال عبد الناصر عن السيد يوسيب بروز تيتو فى يوغسلافيا ليطبقها على العرب فى مصر ، وليدعو الى تطبيقها ، تحت اسم الثورة العربية ، والتقدمية العربية ، على حد تعبيره ، والقومية العربية ، في بلاد العرب الاخرى •

والقومية العربية ليست فكرة حديثة برزت مع ايام السيد جمال ، وانماهى حركة قديمة انبعثت فى اوائل هذا القرن ضد السيطرة العثمانية فى سوريا ، وضد سياسة التتريك ، وهى سياسة العنصرية التركية ، التى كانت تميل الدولة العثمانية الى اتباعها فى البلاد العربية ، ثم ضد الفرنسيين بعد اقامة الانتداب الفرنسى سنة ١٩١٩ • ويحدثنا الدكتور فليب حتى فى كتابه « تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين » الجزء الثانى الصفحة ٣٥٣ طبعة « دار الثقافة بيروت » فيقول تحت عنوان « القومية والنضال من أجل الاستقلال » ما يلى :ـ « بدأت هذه اليقظة القومية العربية حركة فكرية خالصة ، مركزة على درس لغة العرب وتاريخهم وادبهم ، وكان روادها فى الغالب من المفكرين السوريين ، وبنوع خاص ، من نصارى لبنان الذين تثقفوا فى الجامعة الامريكية فى بيروت • فهؤلاء هم الذين شرعوا في تطويع

العربية الفصحى لتعدو اداة جديدة صالحة للتعبير عن الفكر الحديث ، على ان الفكرة القومية ، وما استتبعته من تشديد على الشئون المدنية والقيم المادية ، جرت فى اتجاه معاكس لارفع المثل ، وأعز التقاليد الاسلامية ، التى لا تقر ولو مبدئيا بأية رابطة غير رابطة الدين ، ثم ان اختيار الشعوب الناطقة بالعربية لهذا الطراز الجديد من القومية ، وثورة الحسين شريف مكة سنة ١٩١٦ على الاتراك العثمانيين ، صدعا البقية الباقية من الامل بقيام وحدة اسلامية شاملة ، واقاما فى مكانها وحدة عربية جامعة . اساسها اللغة والثقافة العلمانية لا العقيدة الدينية الخاصة » .

فالقومية العربية دعوة الى تكتل العنصر العربى فى مواجهة العثمانيين أولا ثم الفرنسيين ، فيما بعد، وهى تقوم على « اتجاه معاكس لارفع المثل ، وأعز التقاليد الاسلامية » فهى دعوة عنصرية بلا فلسفة ، ولقد استعار لها السوريون حين نشأتها الافكار الغربية . « وقد غدا لبنان أسرع استجابة الى المؤثرات المسيحية الغربية ، بعد نزوح الالوف من ابنائه الى العالم الجديد » .

وفى أيامنا الحاضرة استعار لها السيد جمال عبد الناصر الافكار الشيوعية وسماها « الاشتراكية العربية » وزعم انها فلسفة القومية العربية . وكل هذا باطل ، والحق ان ليس للعرب فلسفة الا فلسفة تقوم على أديم الاسلام ، فاذا زعم دعاة القومية العربية لها انها وحدة الثقافة ووحدة التاريخ ووحدة اللغة فقد وجب ان يذكروا ان

العرب لم يكونوا شيئا مذكورا قبل الاسلام ، فهم لم تكن لهم ثقافة ، ولم يدخلوا التاريخ قبل ان يكونوا مسلمين ، وكانت لغتهم لهجات قبليه متفرقة لم تتوحد الا بعد ان جاء القرآن بلغة قريش فوحدها ـ فالاسلام هو الذى أعطى العرب الثقافة ، وهو الذى أعطاهم اللغة ، وهو الذى جعل لهم تاريخا يذكر ، اذا ذكرت تواريخ الامم ، وأمجادها ، فاذا نصح العرب ناصح بأن يلتمسوا العزة عند غير الله بالاسلام اليه ، فهو ناصح « متهم النصيحة ، اشأم الطلعة ، مزور فى الكلام » .

هذا وستكون لنا عودة للكلام عن القومية العربية فيما بعد ، فلنكتف هنا بهذا القدر مما يؤكد خطأها فى الاذهان ، ويهدى المفتونين بها الى مظان الهدى .

ما يسمى بالنظم الثورية العربية : ـ

فى البلاد العربية اليوم حكومات تسمى نفسها قيادات ثورية ، وتسمى الحكومات التى ليست على شاكلتها رجعية .. فالقيادات الثورية هى الحكومات العسكرية التى تبنت دعوة القومية العربية ، ودعوة ما أسمته بالاشتراكية العربية ، وهذه القيادات الثورية ، أو قل الحكومات العسكرية ، كانت فى غالبها الاعم نتيجة انقلابات عسكرية قام بها ضباط من الشبان الثائرين الذين آذى نفوسهم الفساد الذى كانت حكومات العهود الماضية تتمرغ فيه ، وتجره على شعوبها . فأرادوا بالانقلابات العسكرية تسلم السلطة لاصلاح الفساد ، واسعاد

العباد . وقد تم لهم تسلم السلطة ولكنهم عجزوا عن اصلاح الفساد ، وذلك لانهم انما ظنوا ان سبب الفساد قد كان الحكام التقليديين ، فهو يزول بزوالهم . وفاتهم ان يعلموا ان جذور الفساد أعمق من ذلك ، وان ازالة الفساد تقتضى عملا علميا شاملا يحتاج الى عمق فى الفكر ، وقوة فى الادراك ، وسعه فى الثقافة .. وتلك أمور لم يكن حظهم فيها موفورا فهم لم يكونوا يملكون غير حسن النية ، وحسن النية وحده لا يكفى لاسعاد الشعوب ، أو السير بها فى طريق السعادة .. فانه قد قيل ان الطريق الى النار محفوف بالنوايا الحسنة .

وقد سبق للحزب الجمهورى ان نبه قادة ثورة الجيش المصرى الى ذلك فى أبان حركتهم وكان ذلك فى جواب ارسل للسيد محمد نجيب بتاريخ ١٨ أغسطس عام ١٩٥٢ ولم يكن قد مضى على ثورتهم الشهر بعد ، ولقد جاء فى ذلك الخطاب قولنا « والفساد في مصر ليس سببه الملك ، وليس سببه الساسه ، والاعوان الذين تعاونوا مع الملك ، بل ان الملك وأعوانه هم أنفسهم ضحايا لا يملكون ان يمتنعوا على الفساد ، فان كنت تريد أسباب الفساد فالتمسها فى هذه الحياة المصرية ، فى جميع طبقاتها ، وفى جميع أقاليمها ، تلك الحياة التى أقامت أخلاقها اما على قشور الاسلام أو على قشور المدنية الغربية ، أو على مزاج منهما ، وأنت لن تصلح مصر ، أو تدفع عنها الفساد ، الا اذا رددتها الى أصول الاخلاق ، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيبا » هذا ما جاء فى ذلك الخطاب ، الى جملة آراء أخرى تنفذ الى جذور

المشكلة ، ولكن الضباط المصريين كانوا منتشين بظفرهم بالملك الى حد لم يترك لهم مجالا لسماع نصائح الناصحين . والآن ، وبعد مضى خمس عشرة سنة من توليهم الحكم ، نسمع ، فى أعقاب هزيمة عام ١٩٦٧ ، كما كنا نسمع فى أعقاب هزيمة عام ١٩٤٨ ، على عهد الملك فاروق ، ان أسباب الهزيمة الخيانة فى صفوف المسئولين فى قمة المسئولية .. والاتجاه اليوم ، كما كان بالامس ، الى أزالة المسئولين هؤلاء واستبدالهم بمسئولين جدد ، من غير ادراك ، ولا تصور ، لجذور الفساد والخيانة ، وتظل بذلك مشاكل العرب تدور فى حلقة مفرغة تكرر نفسها كل حين . وزعماء « النظم التقدمية » ، كما يطيب لهم ان يسموا أنفسهم ، لا يفكرون ولا يحبون المفكرين ، وانما قامت نظمهم « التقدمية » على تكميم الافواه ومحاربة حرية الفكر .

الدكتاتورية العسكرية : ـ

« النظم التقدمية » نظم دكتاتورية عسكرية . ومع ان أسلوب الحكم الدكتاتورى أسلوب سىء ، من حيث هو ، فان أسواه ما كان منه دكتاتوريا مسيطرا عليه الجيش .. ذلك بان تربية الجيش بطبيعتها لا تؤهل رجاله ليكونوا حكاما مدنيين ، يتجاوبون مع طبيعة المدنيين ، في الاسترسال والحرية ، وانما هم ينشأون على الضبط والربط والطاعة العمياء .

ثم ان الجيش ، فى الاوضاع الصحيحة ، يجب الا يكون له تدخل فى السياسة ، لان السياسة تفسده ، وتصرفه عن تجويد فنه العسكرى ، وتجعله ، بما يظن لنفسه من حق فى التطلع الى السلطة السياسية ،

يرى نفسه حاكما على الشعب . وانه ، من ثم ، من حقه الاستمتاع بامتياز الحاكم وهو عندهم الترف والدعة .

ثم ان الدكتاتور العسكرى ، وهو قد وصل الى السلطة بفضل اخوانه الضباط ، وأبنائه الجنود ، لابد ان يرى حقهم عليه مما يوجب تمييزهم عن بقية الشعب .. وهناك أمر هام وهو ان هذا الدكتاتور العسكرى . زيادة على ما تقدم ، لابد ان يرى انه مما يؤمنه ضد الانقلابات العسكرية ان يرضى اخوانه الضباط باعطائهم من الامتيازات ما يلهيهم عن التطلع الى منافسته ، وما يجعلهم أعوانا له ضد كل محاولة تستهدف انهاء حكمه ، سواء كانت هذه المحاولة من الشعب عامة ، أو من أفراد مغامرين .. هذا ، على أيسر التقدير ، ما يكون فى بداية أى حكم عسكرى .. فاذا أتفق للدكتاتور العسكرى ، وقليلا ما يتفق ، ان يكسب حب شعبه ، وان يصبح ، من ثم اعتماده على حماية الجيش اياه أقل ، فى اخريات الايام ، مما كان عليه فى أولياتها ، فانه يصعب عليه ان يسحب امتيازات الجيش التى تكون قد أصبحت يومئذ حقا مكتسبا ومسلما به .. والامتيازات تفسد الجيش ، كما يفسد الترف أخلاق الرجال ، فى جميع الاماكن ، وجميع الازمان .. وأسوأ من هذا !! فان الشعب لابد ان يدرك ان هذه الامتيازات ، من الدكتاتور العسكرى لبقية رجال الجيش ، انما هى بمثابة رشوة ، ولمثل هذا الشعور سود العواقب على اخلاق الشعب وقيمه ..

والحكم الدكتاتورى ، سواء كان من ملك وارث للعرش عن

آبائه ، ويجمع فى يديه السلطات ، أو من متسلط ، مستبد مطلق ، انما يفسد الشعب بما يفرض عليه من وصاية تحول بينه وبين ممارسة حقه فى حكم نفسه كما يفعل الرجال الراشدون •• وأسوأ من ذلك !! قد يكون المتسلط ــ وهذا هو الغالب الأعم ــ جاهلا بأساليب الحكم الصالح ، وخائفا من انتقاض الشعب عليه ، فهو لذلك يعتمد على الارهاب ، والبطش ، والتجسس الذى يحصى على الشعب كل كبيرة وصغيرة ، وينشر عدم الثقة بين أبنائه •• فمثل هذا الحكم انما يربى المواطنين تربية العبيد لا تربية الاحرار •• وأنت لن تجد العبد يدفع عن حوزة ما يدفع الحر •• وجميع العرب اليوم بين تربية تشرف عليها الدكتاتورية العسكرية ، وهى التى تسمى نفسها « بالتقدمية » و « بالثورية » وبين تربية تشرف عليها الدكتاتورية المدنية ، وهى التى تسميها الدكتاتورية العسكرية « بالرجعية العربية » •• والشعوب العربية ، بين هؤلاء واولئك ، مفروضة عليها الوصاية ، من قادة قصر ، هم ، فى أنفسهم ، بحاجة الى أوصياء ••

ونحن لن نتحدث هنا عن قصور القيادات المدنية بين العرب ، لان هذه القيادات ليس لها كبير أثر في الحوادث العنيفة التى تعرضت لها البلاد العربية فى الآونة الاخيرة ، وانما سنتحدث عن القيادات العسكرية ، وبوجه خاص عن القيادة المصرية ــ قيادة جمال عبد الناصر ــ لانها فرضت زعامتها على العرب كلهم ــ بالترغيب وبالترهيب ــ حتى اصبحوا تبعا لها ، فقادتهم من هزيمة الى هزيمة ،

وجرت عليهم من العار ما ان خزيه ليبقى على صفحات التاريخ ، الى نهاية التاريخ •

الشيوعيون يورطون جمال عبد الناصر فى الاخطاء

يحدثنا السيد جمال عبد الناصر من خطابه الذى ألقاه بمناسبة العيد الخامس عشر لثورة الجيش المصرى بالملك فاروق فيقول « من المؤكد لنا جميعا ان اسرائيل فى هذه المحاولة مكنش بتعمل لحسابها وانما كانت تعمل أيضا لحساب القوى التى ضاقت ذرعا بحركة الثورة العربية » ، ويحدثنا المستشار الصحفى للسيد جمال عبد الناصر ، السيد محمد حسنين هيكل فى مقالة له بعنوان « ماذا تريد أمريكا منا ؟ » نشرت بالاهرام يوم ١٩٦٧/٨/٤ ، فيقول « الهدف الاول : تريد به الولايات المتحدة ان تحطم النظم الثورية فى العالم العربى اليوم وفى مقدمتها النظام الثورى المصرى ــ وباعتبار ان هذه الانظمة هى الخطر على مصالح الاستعمار القديم الذى ورثته الولايات المتحدة الامريكية ، والاستعمار الجديد الذى تمثله هى اليوم » •

وتحدثنا الهيئة البرلمانية للحزب الشيوعى السودانى فى كتيب لها أصدرته فى يونيو عام ١٩٦٧ باسم « العدوان الانجلو أمريكى الاسرائيلى » فتقول ، « ان تواطؤ أمريكا وبريطانيا فى العدوان الاخير يجب النظر اليه من زاويتين لتظهر أبعاده الحقيقية : ــ

أولا ــ هدف التواطؤ وهو كما أسلفنا القضاء على النظم

التقدمية فى العالم العربى وبصفة خاصة فى مصر » .

هذه النظرة الخاطئة مصدرها الشيوعيون في روسيا وخارجها ، وقد تورط فى الاخذ بها السيد جما لعبد الناصر فأنطلق فى الطريق الخطأ ، وأصبح يصدر فى تصرفه مع الدول الغربية عن عقدة من يشعر انه مضطهد ، وانه مقصود بالعداوة ، ولقد ظهرت هذه العقدة فى خطاب الاستقالة المشهور ، الذى ألقاه السيد جمال عبد الناصر فى مساء يوم ١٩٦٧/٦/٨ وذلك حيث يقول « لقد قررت ان أتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى ، وأى دور سياسى ، وان أعود الى صفوف الجماهير أودى واجبى معها كأى مواطن آخر » .

لماذا ؟ أسمعوا ! « ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها واريد ان يكون واضحا أمامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر .

« والقوى المعادية لحركة القومية العربية تصورها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر وليس ذلك صحيحا لان أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر » .

هذا هو السبب الذى من أجله استقال السيد جمال عبد الناصر من منصبه فى زعامة الامة العربية !! فهل سمع الناس بزعيم يستقيل من أجل اعتبار أعدائه ، وأعداء أمته ، أياه ؟؟ اللهم لا !! الا ان يكون زعيما يعيش فى عقول أعدائه ، قبل ان يعيش فى عقله هو ، أو ، بالاقل فى عقل أمته .. وذلك شأن الزعماء الذين يتصرفون عن عقد نفسية ،

لاعن فكر سليم .. هـذا اذا لم نقل شيئا عن توقيت الاستقالة نفسها .. ذلك بأنها قد أذيعت ، وشغلت بها الامة العربية ، ولاتزال النيران تطلق ، والعدو يتقدم في جبهة سوريا ..

وامتدادا لتلك النظرة الخاطئة التى يروج لها الشيوعيون ، وانطلاقا منها يرى الشيوعيون ان التحول فى علاقات السيد جمال عبد الناصر مع الدول الغربية يرجع الى قرارات يوليو عام ١٩٦١ ، وشيوعيو السودان ، فى كتاب هيئتهم البرلمانية الذى سبقت الاشارة اليه ، يحدثوننا تحت عنوان « الخلفية التاريخية للتآمر الاستعمارى » فيقولون ، « كانت قرارات يوليو ١٩٦١ التاريخية ايذانا بدخول الثورة العربية مرحلة جديدة فى تطورها ، هى مرحلة التحول الاجتماعى ، فقد وضعت تلك القرارات الثورة العربية وجها لوجه مع الاقطاع ورأس المال ، وفتحت الطريق أمام الصراع الحاسم بين شقى الرحى فى المجتمع المصرى : الطبقات الطفيلية المستغلة من جهة ، والجماهير العاملة من جهة أخرى » والشيوعيون يعتبرون ان عملا نحو الاشتراكية لا يمكن ان يتم ، فى عالم اليوم الا اذا » وضعت الشعوب العربية وجها لوجه امام الاستعمار الحديث باعتباره المعوق الاساسى لعملية التقدم الاجتماعى » ولعمر الحق ان الاستعمار ليعوق التقدم الاجتماعى ولكن يجب ان نكون دقيقين فى فهم مقاصد الشيوعية من هذه العبارة .. فالشيوعيون يعتقدون ان الاشتراكية هى الماركسية ، وانك لن تستطيع أن تكون اشتراكيا

الا اذا صرت ماركسيا .. والحق ان الماركسية اللينينية انما هى مدرسة من مدارس الاشتراكية ، وجدت فرصة التطبيق فى روسيا ، وهى مدرسة لها من الانحرافات ، عن سواء الاشتراكية ، ما يوجب على الناس ان يأخذوها بحذر شديد ، حتى يتقوا تلك الانحرافات الخطيرة ، وسنترك تفصيل تلك الانحرافات لكتابنا الذى يجرى الآن اعداده باسم « الاسلام ديمقراطى اشتراكى » ونكتفى هنا بأن نقرر ان الدول الصغيرة ، فى يومنا الحاضر ، يمكن أن تكون اشتراكية بدون ان تكسب عداوة الغرب ، بل انها قد تجد معاونة الغرب فى سبيل اشتراكيتها ، اذا كانت تدرك الخطر الذى تتعرض له من تضليل الاتحاد السوفيتى أياها ، فتبذل مجهودا ذكيا فى ان تصبح اشتراكية غير تابعة للاتحاد السوفيتى .. بمعنى آخر ، اذا كان زعماؤها من الذكاء ، وسعة الادراك للصراع العالمى ، بحيث لا يورطون بلادهم في ميدان الحرب الباردة الناشبة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية .. فلقد كانت يوغسلافيا ، وهى دولة شيوعية ، تتلقى معونة امريكية عندما كانت تناصب استالين العداء ، وترفض ان تخضع للاتحاد السوفيتى ، أو تسير فى ركابه .. واليوم عندما أعلنت رومانيا ، وهى دولة شيوعية ، استقلالها عن الاتحاد السوفيتى ، أخذ الغرب يتسامح معها ، ويشجعها ، ولاول مرة ، منذ نشأة هيئة الامم المتحدة ، أمكن ان يكون للجمعية العامة رئيس شيوعى ، هو وزير خارجية رومانيا .

ولو قد كان السيد جمال عبد الناصر من الوعى السياسى ،

وسلامة التفكير ، والمقدرة القيادية بالمستوى المطلوب لامكن ان يصبح اشتراكيا من غير ان يكسب عداوة الغرب بالصورة التى جرها على البلاد العربية اليوم .. بل لامكن،في الظرف العالمى الحاضر، ان يصبح اشتراكيا بمعاونة ، وبصداقة ، من الشرق والغرب فى آن معا .

ومن أجل هذه الاعتبارات فان التحول لم يحصل بقرارات يوليو ١٩٦١ ، وانما حصل بقرارات ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ ، وذلك بالهيئة غير المسئولة التى بها باشر السيد جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ، وعن ذلك أسلفنا التفصيل ..

ان الشيوعيين ليضلون عن الحق ، ويضلون : هم يضلون عن الحق لقصورهم عن التفكير الدقيق . ولتورطهم فى الغرض دائما ، والغرض مرض كما يقولون .. هو مرض فكرى ومرض خلقى .. وهم يضلون كل من يتعرض لهم ، او يتعرضون له ، ولقد أضلوا السيد جمال عبد الناصر ولا يزالون يباشرون اضلاله ، وعن طريقه يضلون العرب جميعا ، ومع ذلك ، او لعله من أجل ذلك ، يحدثنا السيد هيكل فى جريدة الاهرام الصادرة يوم ١٩٦٧/٨/٢٥ فيقول « الحقيقة الاولى ــ ان الصداقة العربية ــ السوفيتية ، وازالة العوائق المصنوعة التى كانت تعترض سبيلها تعتبر من أهم المنجزات التى حققتها حركة الثورة العربية المعاصرة » .

فالعرب يعتبرونها صداقة مع الاتحاد السوفيتى ! ليس هذا فحسب ، بل انهم ليعتبرونها ، كما يخبرنا السيد هيكل ، « من أهم

المنجزات التى حققتها حركة الثورة العربيـة المعاصرة » وفى الحق ان حركة الثورة العربية المعاصرة لم تنجز شيئا وانما نصب الروس لهـا شركا فمشت اليه مغمضة العينين ، وورطت معها العـرب جميعا ، فهم اليوم يستغلهم الاتحاد السوفيتى أشنع الاستغلال ، ويظنون ان لهم ارادة ، « اننا نحتفل اليوم بانتصار القومية العربية ، وفى نفس الوقت نشعر بأن القومية العربية أصبحت لها ارادة نافذة تقاتل فى سـبيل وجودها وفى سبيل كيانها ، فقد مرت القومية العربية بمراحل متعددة ، اذ بدأت تجابه الضغط والسيطرة الاجنبية وكانت تحاول دائمـا ان تتحرر من السيطرة الاجنبية لتكون لها مشيئتها الخاصـة وارادتها الحرة ولكن السيطرة والاستعمار كانا دائما يعمـلان ما فى وسعهما بكل الطرق وبكل الوسائل للقضاء على يقظة القومية العربيـة • ثم تطورت هذه القومية من مرحلة الجمود الى مرحلة كفاح الاستعمار ، كافحت وقاتلت واستطاعت ان تنهى سيطرة الاستعمار » هذا ما قاله السيد جمال عبد الناصر فى يوم ١٩٥٨/٢/٢٦ فى احتفـالات اعلان الوحدة بين مصر وسوريا • وقد فشلت هذه الوحدة ، وانتقضت بعد تجربة اربعة أعوام ، ولكن فشلها لم ينبه السيد جمال عبد الناصر الى ان أفكاره اوهام ، وأعماله القائمة عليها سلسلة أخطاء ، وان غفلته عن حقيقة نوايا الاتحاد السوفيتى ، وتوهمه أياه صديقا للعرب ، قد جرت على العرب من المـآسى ما سيقترن باسم جمـال عبد الناصر لبقية تاريخ العرب •• اما عن وهم جمـال الذى يسميه « ارادة القوميـة

العربية » فيكفى ان العرب اليوم لا يخاطبون في مصيرهم ، وانما يخاطب فى ذلك زعماء الاتحاد السوفيتى ، فلكأنهم هم الاوصياء على العرب • وقد أصبح العالم يعرف اليوم ان السلام لا يستقر فى الشرق الاوسط اذا لم ترض عنه روسيا •

عداوة الغرب للعرب ليس سببها الاشتراكية

وفيصل القول ان عداء الغرب للعرب اليوم ليس سببه ان بعض الدول العربية ، مثل مصر ، ارادت ان تصبح اشتراكية ، وانما سببه أن مصر ، حين ارادت أن تصبح اشتراكية ، لم تعرف كيف تصبح اشتراكية بدون ان تصبح ماركسية ، وخاضعة للنفوذ الروسى • بمعنى آخر : بدون ان تدخل فى حلبة الحرب الباردة ، وتصبح عظم نزاع بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية • وهو ما تحدثنا عنه عند الحديث عن تأميم قناة السويس •

كبش الفداء

والنظم الثوريه ، فى مصر وفى غيرها ، راضية عن نفسها ، ويزيد شعورها بالرضا كلما فكرت فى ان الاستعمار الغربى يخشاها ويعتبرها عدوا عنيدا • وهى لذلك لا تمارس نقدا ذاتيا ولا تقبل من غيرها غير الثناء ، وقد أنشأت ، وربت طائفة من المطبلين المسبحين بحمدها ، تستعين بهم على تنويم الشعوب ، وتغفيلها • فان حصلت غلطة جلى مما لا يمكن تغطيته ، او تبريره ، بحثت لها عن كبش فداء حملته المسئولية ، وذهبت فى طريقها ، تفتن فى اصطناع المجد الزائف ،

بارتكاب الاخطاء البشعة التى لا يعود وبالها الا على الشعوب العربية اما هى فانها لا تفكر الا فى استمرار زعامتها . عن هذا الكبرياء الكاذب حدث ما حدث عقب العدوان الثلاثى الاول ، ذلك بأنه عندما أوقف تدخل مجلس الامن ، والجمعية العامة ، وتهديد الاتحاد السوفيتى ، وضغط امريكا على حلفائها ذلك العدوان قبل ان يبلغ أهدافه ادعى المصريون انهم هزموا الاستعمار الغربى ، هذا بالرغم من الحقائق العسكرية الدامغة التى تؤكد هزيمتهم هم ، حين لم يكن انسحابهم فى الميدان الا جريا ، مخلفين وراءهم السلاح ، والعتاد ، بصورة لا يرضاها الفن العسكرى ، ولقد كان من الممكن للعالم كله ان يعقل انسحابهم ذلك ، وبتلك الصورة ، امام قوى العدوان الثلاثى الهائلة لو انهم اعترفوا بالهزيمة العسكرية فى صحراء سيناء يومئذ ، ولكنهم لم يفعلوا ، وانما ذهبوا يتغنون ببطولتهم فى نصر لم يحرزوه ، وطفقوا على تلك النشوة الكاذبة طوال عشر سنوات ، ذهلوا خلالها ، وقد ذهل معهم العرب ، عن حقيقة أمرهم ، وعن مقدرة عدوهم ، وقد فوتت عليهم هذه النشوة الكاذبة الاعتبار بالدرس الذى جرى للجيش فى صحراء سيناء فى شتاء عام ١٩٥٦ فلم يستفيدوا من التجربة ، وكل تجربة لا تورث حكمة تكرر نفسها ، وهذا بعينه هو الذى جعل انسحاب الجيش المصرى فى صحراء سيناء أثناء العدوان الثلاثى الثانى في يونيو من عام ١٩٦٧ اعادة لانسحابه فى نوفمبر من عام ١٩٥٦ ، مع اختلافين اثنين : أولهما ان انسحاب يونيو خلف وراءه

من عدد القتلى ، والجرحى ، والاسرى ، ومن كثرة الاسلحة ، ما لم يخلفه انسحاب نوفمبر • وثانيهما ان أحدا من الناس لا يعذر القادة المصريين ، عسكريين ، وسياسيين ، فى انسحاب يونيو بقدر ما كان يمكن ان يعذرهم فى انسحاب نوفمبر ، لو انهم واجهوه بالاعتراف الذى يليق بكبار الرجال •

خطب جمال من أسباب هزيمة العرب : ـ

وعن طبيعة هذه النظم الثورية كان يصدر السيد جمال عبد الناصر فى خطبه واستعراضاته المشهورة • ويمكن القول ، وبكل تأكيد ، ان خطب السيد جمال عبدالناصر هى التى جرت على العرب الهزيمة العسكرية ، والهزيمة السياسية ، والهزيمة الدبلوماسية •• فقد كان ، فى كل عام ، حين يحتفل بثورة الجيش المصرى على نظام الملك فاروق ، يستعرض أسلحته البحرية ، والجوية ، والارضية ، بما فى ذلك الصواريخ الموجهة من الارض ، المصنوعة فى روسيا (وجميع اسلحته الثقيلة مصنوعة فى روسيا) ثم يخطب على مسمع العالم كله متوعدا اسرائيل برميها فى البحر ، ومخبرا العالم واياها ، انه ليس بينه وبين تنفيذ وعيده عليها الا ان يفرغ من تصفية الصفوف العربية مما اسماه الرجعية العربية وعنده انما تكون تصفيتها بتصدير « النظم الثورية » الى شعوبها •• وكانت اسرائيل ، فى صمت وفي ذكاء ، وفى دهاء ، تفزع الى أصدقائها (وهم يتزايدون عقب كل استعراض من استعراضات جمال عبد الناصر) تبين لهم مبلغ الخطر الذى يتعرض

له كيانها ، وهى دولة صغيرة لا يكاد يبلغ عدد سكانها المليونين مثلا ، تحيط بها دول عربية يبلغ تعداد سكانها المائة مليون ، كلها لها عدو ، ويستعرض زعيمها سلحته على مستوى من الكفاءة ، والكفاية ، يقلق بالها ، ويجعلها غير مطمئنة على سلامتها ، فيفعل قولها هذا فعله فى استدرار العطف من الرأى العام العالمى ، ويكسب لها ، الى حظيرة الصداقة ، أصدقاء جددا ، ممن لم يكونوا يعيرون هذه القضية الاسرائيلية كبير اهتمام من قبل .. ويترجم كل هذا العطف ، وعقب كل استعراض من استعراضات جمال ، الى مزيد من هجرة الشباب اليهودى الى فلسطين ، والى مزيد من تصدير المال والسلاح والعتاد اليها ، وأهم من كل اولئك يبعث هذا الشعور بالخطر المزيد من تصميم الشباب الاسرائيلى ، من الجنسين ، على النصر ، ومن ثم الاقبال على التدريب على حياة الجندية ، وعلى استعمال جميع الاسلحة الحديثة بمهارة واقتدار . كل هذا يجرى فى اسرائيل فى صمت ، والعرب يصفقون ويهتفون لخطب جمال عبد الناصر ، فى مطلع كل عام ، ثم ينصرفون ليستمعوا فى بقية العام الى الاذاعات وهى تضللهم عن حقيقة أمرهم ، وتلهيهم بالخطب العنترية الجوفاء ، وبالاناشيد الفارغة .

ويحدثنا فى هذا الباب السيد جمال نفسه فى خطابه الذى ألقاه فى العيد الخامس عشر من أعياد ثورة الجيش المصرى فيقول : « من سنتين جالى يقابلنى وكيل الخارجية الامريكية ومعاه رسالة من

جونسون وقالى بما انكم ما قبلتوش الحاجات اللى احنا طلبناها منكم قبل كده ، حق التفتيش وأنا قلت لكم القصة دى قبل كده انهم طلبوا حق التفتيش بالنسبة للاعمال الذرية حق التفتيش بالنسبة للصواريخ وتحديد الجيش المصرى بحد معين واحنا كنا رفضنا هذا وقلنا لا يحق لامريكا ان يكون لها حق التفتيش •

« جالى تالبوت وكيل وزارة الخارجية الامريكية وقال لى بما انكم رفضتم هذا فاحنا شايفين اننا فى حل ندى اسرائيل ما تطلبه من السلاح • وانكم اذا شهرتم بنا وقلتم ان احنا بندى اسرائيل سلاح حنديها سلاح اكثر فانا قلت له وانتم اذا اديتم اسرائيل سلاح احنا أيضا نشترى سلاح ولا يمكن ان احنا نترك العمليـة بهذا الشكل •

في الوقت ده هم قرروا انهم يدوا اسرائيل اعداد من الدبابات واعداد من الطيارات يمكن اعلنوا هم فى الاعداد اللى اعلنوها شىء ، الشىء اللى ادوه لاسرائيل شىء آخرده كان تهديدمن امريكا وكان تهديد واضح انهم حايدوا اسرائيل ويساعدوا اسرائيل ويعاونوا اسرائيـل اذا لم نقبل نحن حق التفتيش ونقبل طلباتهم في تحديد الجيش المصرى بعدد معين وسلاح معين » •

هذا ما قاله السيد جمال عبد الناصر ، وهو ، فى حد ذاته،كاف فى الدلالة على مستوى الفهم الذى يوجه مصير العرب في الآونة الحاضرة•

غرور الزعامة

ان السيد جمال يريدنا ان نعرف انه قال لامريكا « لا » عندما

طلبت حق التفتيش ، ولكنه لا يحدثنا ولا يريدنا ان نعرف لماذا طلبت امريكا حق التفتيش ؟ ولماذا طالبت امريكا بتحديد الجيش المصرى ؟

لقد قال بعض الخبراء العسكريين ، قبيل الهزيمة التى حلت بالجيوش العربية ، وبعيد اندلاع النار ، ان الجيش المصرى العامل يقدر بمائة وستين الف جندى ، وان الجيش الاسرائيلى العامل يقدر بستين الف جندى ، ولكن الاسرائيليين فى ظرف ثلاثة أو اربعة أيام يمكن ان يرفعوا الجيش الى مليون جندى ، وذلك لانهم كانوا يمرنون ، ويسرحون ، كل شاب وشابة قادر على حمل السلاح على مدى العشرين سنة التى هى عمر دولة اسرائيل . وكان يجرى كل هذا الاعداد ، فى التمرين ، والتسريح ، والتسليح فى صمت شديد ، فى الوقت الذى فيه تجرى تلك الجلبة و « المفاشرة » والمباهاة الفارغة ، كل عام مرة ، أو مرتين ، فى مصر .. مما جعل العالم يعتقد ان الجيش المصرى هو أقوى جيش فى العصر الحاضر فى الشرق الاوسط ، وان اليهود فى دولة اسرائيل ، يتعرضون لخطر حقيقى اذا ما نشبت الحرب بينهم وبين العرب ، وهذا هو السبب الذى جعل امريكا تطالب بحق التفتيش !

الرضا عن النفس وتحقير شأن العدو

وزيادة على ان خطب جمال عبد الناصر قوت اسرائيل وأكسبتها عطف العالم ، وجرت على العرب الزراية ، والخزى فى كل المجالات ، فانها ايضا غفلت العرب عن حقيقة امرهم ، وحقيقة أمر عدوهم ،

وجعلتهم راضين عن أنفسهم كل الرضا .. ولماذا لا ؟ أليسوا قد أمموا قناة السويس ؟ أليسوا قد هزموا الاستعمار الغربى فى عدوان عام ١٩٥٦ ؟ أليسوا قد اسقطوا حكومة ايدن فى بريطانيا ؟ أليسوا قد اكتسبوا صداقة الاتحاد السوفيتى العظيم والدول الاشتراكية التى تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى ؟ فماذا عسى تكون اسرائيل بازائهم ؟ وكذلك تورط العرب فى خطأ لا يتورط فيه عادة الا الاغبياء ، وذلك هو الرضا عن النفس والتقليل من شأن العدو .. فقد درج الاذاعيون، والكتاب ، والشعراء والصحفيون على تسمية اسرائيل « بدويلة العصابات الصهيونية » أو كما يطيب لبعضهم ان يردد « دولة كل فاجر وفاجرة » وهم لا يعرفون لها أى فضيلة ولا أى حق فى البقاء ، أو شبهة حق ، فى أرض فلسطين ، حتى ولو كان هذا الحق باطلا قائما فى أذهان الاسرائيليين مما يوجب التصحيح . هم لا يعرفون لها غير انها قامت لخدمة أغراض الاستعمار الغربى فى الشرق الاوسط .. فلاحظ لها من وجودها ، ومن جهود أبنائها غير ذلك .. وفاتهم ان أبسط الذكاء يقضى عليك ، لكى تتمكن من عدوك ، ان تعرف نفسيته ، وطبيعة تفكيره ، وحقيقة دوافعه ، ومدى تصميمه على الاستقتال فى سبيل الاستجابة لتلك الدوافع . اليست صحائف التاريخ مليئة بهزائم الاغبياء الذين يعظمون من شأن أنفسهم ، ويقللون من شأن عدوهم ؟

المفارقة بين القول والعمل

ومن أشنع ما يبدو من الزعامات العربية ، وفى مقدمتهم الزعامة

المصرية المفارقة الكبيرة بين القول والعمل : فالزعماء العرب لا يعنون ما يقولون ، ولا يشعرون بضرورة مطابقة ما يقولون لما يعملون .. والشعوب العربية ، لغلبة الجهل عليها ، وقوة روح التبعيه فيها ، وقلة المعلومات الوافية عندها ، لا تستطيع محاسبة زعمائها ، ثم ان الزعماء ، فى غالب البلاد العربية ، حكام مستبدون لا يستمدون تأييدهم من الشعوب وانما يفرضون أنفسهم أوصياء على الشعوب . وحيث وجدت أوضاعا ديمقراطية ، كما هى عندنا نحن فى السودان ، وجدتها قائمة على تبعية غير واعية تقوم على التكتيل الطائفى الدينى ، او السياسى .. وكلاهما يفوت على الناس فرص الوعى والمراقبة ، وفى جميع البلاد العربية تجد السلطة قد نظمت وسائل الاعلام ، لا لتوصيل المعلومات الصحيحة للشعوب ، وانما لالهاء الشعوب عن المعلومات الصحيحة ، وصرفها عنها بالخطب الجوفاء ، والاناشيد التافهة .. واما الاخبار الصحيحة والتعليقات الواعية فلا تكاد تظفر بها .. والحوادث التى تجرى في البلاد العربية ، مما ليس للحكومات فيه هوى ، فلا مكان لها فى الاذاعات . حتى انك تستطيع ان تسمع ما يجرى في بلادك من اذاعات العالم الخارجى ، بما فيها اذاعة اسرائيل ، وقد تسمعها معتدلة إعتدالا تطمئن اليه نفسك ، وأنت على كل حال لا تملك الا ان تسمعها .

الزعماء العرب هم سبب هزيمة العرب

والآن فان خزى الهزيمة الذى جلل الشعوب العربية يبوء به الزعماء .. ونصيب السيد جمال عبد الناصر منه نصيب الاسد ، ولكن

السيد جمال الآن مشغول بتبرير نفسه فى نظر الشعوب ليخرج من هذه النكبة النكراء بزعامته وقد كتب لها عمر جديد .. وهيهات !! فان التاريخ وراءه وستطلع الشعوب على الحقائق قريبا ، ويومها قد يكون الحساب عسيرا .

ان اعمال جمال عبد الناصر الآن ، وكتابات محمد حسنين هيكل جميعها ، تستهدف تبرير زعامة جمال بايجاد كباش الفداء الذين يحملون وزر الهزيمة ، ثم يمضى جمال زعيما كما كان .. فان جاز هذا التضليل فان العرب مقبلون على نكبة رابعة ، ما من ذلك بد .. ولكن هذا التضليل لن يتم ، ولن يجوز ، لان جمال عبد الناصر قد أنى له ان يذهب .. وهو ذاهب ، ما فى ذلك ريب ، مهما شق هذا الامر على الشيوعية الدولية ، ومهما حاولت هذه الشيوعية ان تضلل الشعوب العربية عن حقيقة قصور زعامة جمال عبد الناصر .. جمال ذاهب لان حكم الوقت الحاضر يتطلب ذلك .. فلا بد من الاسلام لحل مشكلة البشرية منذ اليوم ، وذلك أمر سنوضحه فى موضعه من هذا الكتاب ، وجمال عبد الناصر ، وهو داعى ، ومفلسف القومية العربية ، يقف اليوم كأكبر عقبة فى سبيل عودة الاسلام الى الامة العربية — ذلك بأن باطل القومية العربية يشبه الحق ، ولا يسهل كشفه ، ولا الاحتراز منه وجمال بنى مجده ، وبطولته ، وشعبيته على باطل القومية العربية ، ومن أجل ذلك اصبح ذهابه ضرورة تمليها مصلحة العرب خاصة ، فى المكان الاول ومصلحة البشرية عامة ، فى

المكان الثانى . فليذهب ، وليبارك الله له وللعرب فى ذهابه وفى عواقب ذهابه .. فقد كان حسن النية ولكن حسن النية وحده لا يكفى لاسعاد الشعوب . ولابد من سعة الثقافة ، ودقة الفكر ، وقوة الخلق .

الفصل الرابع

الغفلة :

نعيد فى مستهل هذا الفصل ما سبق ان قررناه وهو ان الذى يحقر من شأن عدوه ويعظم من شأن نفسه غبى أحمق ، وهو يستحق الهزيمة ، وسيلقى الخزى . ولقد درج زعماء العرب على تجنيد وسائل الاعلام فى بلادهم للتحقير والتقليل من شأن دولة اسرائيل بصورة متصلة وملحة .. فهى عندهم دويلة العصابات الصهيونية ، وهى دويلة شذاذ الآفاق ، وهى دويلة لا نصيب لها من قيامها فى ارض فلسطين غير خدمة أغراض الاستعمار ، وهى دويلة لا تعيش الا على الشحذة ، والاستجداء . وهكذا الى آخر هذه العبارات التى لا تدل على ذكاء ، ولا على خلق ، ولا على بصر بالامور .

ولقد دخلنا مع دولة اسرائيل فى صراع مسلح ثلاث مرات فى عشرين سنة ، فلم نخرج من اينها الا بالخزى ، ولقد خرجت دائما بما يزيد في رقعتها ، ويؤمن من وجودها .. حتى اذا كانت الحرب الاخيرة الحقت بنا هزيمة عسكرية وهزيمة دبلوماسية .. وكان كسبها فى المجال الدبلوماسى عظيما حقا ، ذلك بأنها كسبت عطف الرأى العام العالمى ، وكسبت أعجاب الشعوب .

ومن عجب انك لا تجد عند زعماء العرب ، عقب كل هـزيمة ، الا المعاذير .. المعاذير بأن سبب هزيمتنا خيـانة داخليـة فى الصف العربى ، او ان سبب هزيمتنا تدخل الاستعمار لمعاونة اسرائيل ، او ان سبب هزيمتنا ان اسرائيل استدرجت العـرب الى الدخول فى حرب لم يكونوا قد استعدوا لها ؛ كما قال السيد اسـماعيل الازهرى فى خطاب ألقاه عقب عودته من القاهرة بعد لقائه مع زعمـاء القوميـة العربية : جمال ، والاتاسى ، وبومدين ، وعارف ، فى يوليـو من هذا العـام .

ولقد بلغ السوء بزعمائنا حداجعلهم يعتذرون بالقـدر ، ونحن جميعا نعلم انهم لم يتخذوا من الاحتيـاطات الواجب عليهم اتخاذها ما يسوغ لهم الاعتذار بالقدر . فهذا السيد جمـال يقول من خطابه الذى ألقاه على الشعوب العربية بمناسـبة العيـد الخامس عشر لثورة الجيش المصرى .. « بعدين المسألة السادسة . بعد ما حـدث انه من الضرورى ان نسلم بأمانة ، وكرامة ، ان المعركة المسلحة لم تسر كمـا كنا نتوقع وكما كنا نتمنى ، ولقد جاءت مصداقا للحكمة القائلة بأنه لا يغنى حذر من قدر » .

والامر الذى نعرفه لم يكن هناك حذر ، وانما كانت هناك غفلة ، وغباء ، ورضاء عن النفس ، واستصغار لامر العدو . ولقـد « كنـا نتوقع » مالا نسـتحق ، « وكنا نتمنى » مالا يكون أبدا .. تمنى العاجز ، المغرور ، الذى لا يقوم بواجبه ويتمنى على الله الاماني .

ألم يأن لهذه الشعوب العربيـة المنكوبة ان تعلم ان زعمـاءها

يضللونها عن حقيقة واقعها ليظلوا زعماء ؟ ألم يأن لهذه الشعوب ان تشعر هؤلاء الزعماء انها آنما تنتظر منهم نتائج لا معاذير ؟

بلى !! قد أنى !! وأول ما تبدأ به هذه الشعوب هو ان تصل الى المعلومات الوافية ، وان تعلم حقيقة أعدائها ، وحقيقة نفسها ، وحقيقة التحدى الذى تواجهها به الحياة المعاصرة ، وان تحذف من هذه المعلومات المبالغات ، من طرفى التقليل والتهويل ، حتى تتضح الرؤيا ، وحتى يرى الناس البصيرة ، ويضعوا أقدامهم على سواء السبيل .

ونحن الجمهوريين ، اسهاما منا فى رد الشعوب العربية الى سواء السبيل نيضطلعوا بدورهم فى التاريخ المعاصر رأينا ان نخرج هذا السفر وسيكون نحونا فيه نحو من يدرس الحقائق على هدى مستبصر ، ثم يسير في دروب الحياة مفتوح العينين ، يعرف ما يأتى وما يدع من امره ان شاء الله وعلى الله قصد السبيل .

اليهود فى التاريخ :

ما عرف التاريخ عنصرية كعنصرية اليهود فى تماسكها ، واستعصائها على التطور ، واكتفائها بنفسها ، ولعل أهم أسباب صلابة هذه العنصرية قيامها على عوامل دينية ، فأنه قد ورد فى التوراة ان اليهود « شعب الله المختار » وهم ، فيما ينتظرون من موعود الله ، انهم رغم التشريد والسبى ، سيعود لهم السلطان على كل الخلائق ، فهم ينتظرون تحقيق موعود الله أياهم طال الزمن أم قصر .

وقد وردت التوصية فى التلمود تقول « أيها اليهودى،اعتزل باقى الامم ، وابق على شخصيتك بينها ،واعلم انك أنت الوحيـــــد عنـد الله .. آمن بالنصر على العـالم أجمـع . آمن بأن كل شىء سيخضع لك .. فاستغل .. وعش .. وانظر .. وانتظر » والتلمود هذا هو كتاب وضعه حكماء صهيون استنادا على فهمهم للتوراة ، وهو يحوى معتقدات وعواطف ، وآمال ، وقصص ، وتقاليـد ، وقواعد دينية ، ووصايا سلوكية يسترشد بها اليهود فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين الغرباء .

وعندنا نحن المسلمين ان الله فضل بنى اسرائيل على العالمين وفى ذلك يقول تبارك وتعالى من سورة البقرة ، « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العـالمين » ولكنا فهمنا ولم يفهموا !! فهمنا انهم انما فضلوا على عالمى زمانهم وذلك لظهور دين التوحيد فيهم يومئذ ... وفهمنا ايضـا ان التفضـيل مشروط بالاستمرار على الطاعة لله .. وفهموا انهم انما فضلوا تفضيلا مطلقا ، لانهم من طينة غير طينة بقية البشر وانه تفضيل غير مشروط بشرط على الاطلاق . ومن أجل ذلك تورطوا فيما حدثنا عنهم به القرآن ، وذلك من سورة المائدة ، « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل انتم بشر ممن خلق ، يغفـر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير».

فليس للخلق مع الله نسب الا نسب الطاعة .. فمن أقام عليها فهو القريب ، ومن أحدث فيها أمرا فهو البعيـــد .. واليهود : وهم

العبرانيون ، شعب سامى ، ويقال ان جدهم الاول ، ابراهيم الخليل ، نبى الله وأبا الانبياء ، قد كان فى أول أمره فى بلاد الرافدين ، وكان يدعو الى دين التوحيد ، وقد جرى له مع قومه من جراء دعوته هذه ، ومن جراء تسفيهه لعبادتهم ولآلهتهم ما أوجب هجره اياهم ، وهجرته الى سوريا الجنوبية. وكانت تسمى كنعان فأقام فيها، وكان معه فى هجرته تلك قليل ممن آمن له ، ومنهم لوط ، ومنهم زوجته وابنة عمه سارة التى ولدت له ، بعد يأس، أبنه اسحق ، وكان له ، قبل اسحق ، اسماعيل من جارية سارة ، هاجر المصرية ، ولقد أقام ابراهيم اسماعيل وأمه هاجر بالحجاز ، فى موضع الكعبة ، وأقام اسحق وأمه سارة معه بسوريا .. ثم ان اسحق خلف يعقوب ، وأخا له أكبر منه ، يقال له عيسو ، ولقد وقع الاصطفاء على يعقوب ليكون صاحب الشأن تفضيلا له على أخيه عيسو ، وقد سمى يومئذ اسرائيل ، واليه يرجع نسب بنى اسرائيل، فهو أبوهم .

كان ليعقوب أثنا عشر ولدا ، وكان يوسف الصديق الحادى عشر بينهم . وهو الى ذلك الابن الاكبر لراحيل ، زوجة يعقوب الثانية ، التى كان يؤثرها بحبه ، وليوسف أخ شقيق يدعى بنيامين .. وكان أخوة يوسف العشرة لابيه أبناء خالته فى نفس الامر ، ولقد تخلصوا منه بدافع الغيرة ، كما هو وارد عندنا في القرآن . ولقد بيع فى مصر ، وارتفع شأنه فى الدولة المصرية حتى أصبح وزيرا للملك ، اليه يرجع الامر فى خزائن الارض المصرية . وفى احدى سنى القحط التى جعلت مصر منتجعا لجيرانها تم الاتصال بين يوسف واخوته ،

واتنهى به الامر الى ترحيلهم وترحيل والديه الى مصر ، ومن يومئذ بدأت علاقة بنى اسرائيل بارض مصر ، بعد أن لبثوا بأرض سوريا زمنا قد لا يتجاوز المائتى سنة ، من لدن هجرة جدهم ابى الانبياء اليها .

ولقد كان ابراهيم الخليل معاصرا لحمورابى صاحب الشريعة المشهور فى بابل ، وكان ذلك حوالى الالفى سنة قبل الميلاد ، وكان يعقوب حفيد ابراهيم الاول ، ولقدنزح بأبنائه الى مصر بفعل القحط الذى ألم بارض سوريا كما قلنا آنفا .. ويمكن ان نقرر ان نزوح بنى اسرائيل من أرض سوريا الجنوبية الى مصر قد كان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قبل الميلاد..وقد جرى ذلك فى زمن لم يكن فيه دين التوحيد معروفا فى مصر،وان لم يكن فرعون ذلك الزمن معبودا بالصورة التى أصبح يطالب بها ، فيما بعد ، فرعون عهد موسى . ولقد يخبرنا القرآن على لسان يوسف الصديق ، عندما امتحنه الفتيان اللذان كانا سجينين معه ، « قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائى ابراهيم، واسحق ، ويعقوب ، ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون » .

فلقد كان بنو اسرائيل على دين التوحيد فى مصر ، وكانوا من ثم يتعرضون لالوان الاضطهاد والاستعباد ، في بلد يدعى ملوكه الربوبية .. ولقد يحدثنا القرآن عن فرعون موسى « فحشر فنادى *

* فقال أنا ربكم الاعلى » ثم هو قد قال لموسى عندما دعاه الى توحيد الله فيما يقص علينا القرآن « قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين » وبلغ من تعذيبه بنى اسرائيل ان كان يذبح أبناءهم الذكور ويستبقى الاناث .. « واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ولقد عاش بنو اسرائيل فى الوان العذاب بين عهدى يوسف وموسى ، وهى حقبة تنيف على الخمسمائة سنة وفى قمة هذا العذاب ، وهذا الاضطهاد ، ولدموسى الكليم . ونجى من القتل الذى كان حظ الاطفال الذكور من اترابه بحيلة اتتهت به الى ان ينشأ فى بيت فرعون نفسه ، كما هو وارد فى القرآن .

ثم انه ارسل ، حين بلغ أشده ، الى فرعون ، وارسل معه ردئا له ، أخوه هارون . قال تعالى فى ارسالهما ، « فأتياه فقولا انا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ، ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى » . وقد خرج موسى بعد لاى شديد ، ببنى اسرائيل فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فتكون مدة اقامتهم بمصر قد نيفت على الخمسة قرون ، وقد بلغت عدتهم يومئذ ما يقرب من المليون نفس ، بعد أن كانوا ، فى اول عهدهم بمصر ، لايكادون يبلغون المائة .

الخروج من مصر

وخرج موسى بجمعهم يريد أرض فلسطين ـ سوريا الجنوبية ـ

لانه مكتوب عندهم فى التوراة ان الله قد وعدها أباهم ابراهيم لتكون لذريته من بعده ، والقـرآن يحدثنا في هذا المعنى فيقول « واذ قال موسى لقومه يا قومى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعـل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحـدا من العالمين * يا قومى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على ادباركم، فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى ان فيها قوما جبـارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فأنا داخلـون * قال رجلان من الذين يخافون ، أنعم الله عليهما ، ادخلوا عليهم البـاب ، فاذا دخلتموه فأنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى انا لن ندخلهـا ابدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنـا قاعدون * قال رب انى لا أملك الا نفسى ، وأخى ، فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض ، فلا تأس على القوم الفاسقين » .

فظلوا فى صحـراء سيناء أربعين سنة يتيهون فى الارض ، مات خلالها هارون ، ثم مات موسى . وأقام الله على بنى اسرائيل ، مقام موسى ، فتاه يوشـع بن نون ، وآتاه النبوة ، وأمـره ان يقود بنى اسرائيل ضد عدوهم فى ارض فلسطين .. وكان قد نشأ فى الصحراء جيل جديد منهم ، فساروا مع نبيهم ضد عدوهم ففتح الله عليهم ارض فلسطين ، وبدأ من يومئذ عهدهم بها وكان ذلك فى منتصف القـرن الثالث عشر قبل الميلاد .

فتح فلسطين

ولم يكن الفتح ميسورا ، وقد بدأوا بفتح المرتفعات الوسطى ، واستقروا فيها بعض الوقت ، وكان يسيطر على البلاد الساحلية فى تلك الآونة الفلسطينيون ، وهم احدى المجموعات الخمس لشعوب البحر الذين وفدوا من منطقة بحر أيجة ، فهم وافدون ايضا ، شأنهم فى ذلك شأن بنى اسرائيل • وكان الكنعانيون يشكلون معظم السكان على ذلك العهد • ثم توسع الفلسطينيون فتوغلوا فى الداخل ، واستولوا على عدد من المدن الكنعانية ، الى ما كان عندهم من أرض الساحل ، وقد امتد الساحل الذى استولوا عليه بصورة دائمة من غزة حتى جنوبى يافا • وكانت ذروة قوة الفلسطينيين في النصف الثانى للقرن الحادى عشر قبل الميلاد حيث هزموا بنى اسرائيل ، فى بعض ملاحمهم معهم ، وأخذوا منهم تابوت العهد ، وحملوه الى احدى مدنهم المحصنة ، وقد كانت لهم خمس مدن نظمت بشكل ممالك مدن ، وظلت لهم الغلبة على بنى اسرائيل الى ان ظهر فيهم نبى لهم يقال له صموئيل ، فطلبوا اليه ان يعين لهم ملكا يقاتلون معه عدوهم ويحدثنا القرآن فى ذلك فيقول « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل،من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم أبعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله • قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ؟ قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا ، الا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين ؟ » ثم ان نبيهم هذا قال لهم ان

الله بعث لكم طالوت ملكا ، فقبلوه بعد لجاجة ، وما كادوا يفعلون ، وساروا معه للقاء عدوهم ، فقص الله علينا من أخبارهم فى سورة البقرة . « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم باذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » . وكان داود شابا حدثا ، يومئذ ، وكان دقيق القامة ، نحيل الجسم ، شديد الاسر . واما جالوت فقد كان ملك الفلسطينيين ، وكان عملاقا رهيبا ، مدججا بالسلاح ، فخذله الله وأسلمه الى داود فقتله . وفى تلك الموقعة جرح طالوت ملك بنى اسرائيل جرحا بليغا لم يلبث ان قضى عليه ، فخلفه على بنى اسرائيل داود ملكا نبيا ، كما قال تعالى عنه « وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء » .

مملكة اليهود

وكان عهد داود (نحو ١٠٠٤ ــ ٩٦٣ قبل الميلاد) هو عهد تأسيس مملكة بنى اسرائيل . ويبدو ان الموقعة التى قتل فيها داود جالوت الفلسطينى لم تكن حاسمة فى نصرة بنى اسرائيل وهزيمة الفلسطينيين وانما بدأ بها التحول الحقيقى فى ميزان القوى بين الشعبين المتنازعين ، وبدأت الدولة تدال لبنى اسرائيل من عدوهم . ويحدثنا الدكتور فيليب حتى فى كتابه « تاريخ سورية ولبنان

وفلسطين) الجزء الاول صفحة ٢٠٣ فيقول ، « وقد بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين ولكنه نجح فى النهاية ليس في تحقيق الاستقلال فحسب بل أيضا فى توسيع حدود المملكة الى أبعد مما بلغته فى أى وقت آخر • قام داود بسلسلة من العمليات الحربية أدت الى التخلص من نير الفلسطينيين وجعل آدوم ومؤاب وعمون تحت حكمه وحققت له ما هو أغرب من ذلك وهو حكم سوريا المجوفه الآرامية حتى حدود مملكة حماة كما يظن ، ووصلت جنوده الى دمشق ، وكانت المملكة التى أسسها أقوى دولة محلية ظهرت فى فلسطين فى أى عصر » •

ويقال ان عدد بنى اسرائيل على عهد داود كان نحو الستمائة أو السبعمائة ألف نفس ، وانتقى داود حصن أورشليم ليكون عاصمة له ، وفى هذه المدينة أقام قصره الملكى ، وقد بناه من الحجارة وخشب الارز المجلوب من لبنان ، وأقام الى جانب قصره معبدا وطنيا لقومه فى هذه العاصمة الجديدة ، « وهكذا جعل اليهودية الديانة الرسمية في الدولة الموحدة • وأصبح داود الملك الثانى بالنسبة للعبرانيين » وهم بنو اسرائيل •

ثم لم يلبث داود ان لحق بربه بعد ان وطد اكناف المملكة ، وخلفه على عرشه أبنه سليمان الحكيم ، وقد كان كوالده ملكا نبيا ، « وورث سليمان داود ، وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شىء ، ان هذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » •

ولقد وصلت المملكة فى عهد سليمان (٩٦٣ ــ ٩٢٣ قبل الميلاد) ذروة عالية من المجد ، والقوة ، والعمران • وبنى سليمان فى أورشليم الهيكل المشهور باسمه • وفى ذلك يقول الدكتور فليب حتى من كتابه آنف الذكر ، « وكان الهيكل الذى بناه أكثر أهمية من الناحية القومية • ويعتقد ان موقعه هو الموقع الذى فيه قبة الصخرة اليوم • وقد بنى هيكل سليمان فى الاصل ليكون معبدا ملكيا ملحقا بالقصر واستغرق بناؤه سبع سنوات فقط ،ولكنه أصبح فيما بعد مركزا عاما لعبادة العبرانيين » •

انقسام المملكة والسبى

ولبث سليمان ما شاء الله له ان يلبث ثم لما لحق بربه خلفه على المملكة ابنه • وفى زمنه انقسمت المملكة الى قسمين : قسم انشقت به القبائل العشر من قبائل بنى اسرائيل الاثنتى عشرة،وكان يسمى مملكة اسرائيل ، وكانت عاصمته شكيم أولا ، ثم ترزة ، ثم السامرة •

والقسم الآخر من المملكة أقامت عليه قبيلتا يهوذا وبنيامين ، وكان يسمى مملكة يهوذا ، وكانت عاصمته اورشليم •• ولقد كانت هاتان المملكتان فى حالة تنافس ، وفى بعض الاحيان ، تبلغ بهما المنافسة درجة العداوة بينهما •• ولقد تعرضتا للحروب من الممالك الاخرى •

فاما مملكة اسرائيل فقد لاقت نهايتها فى نحو عام ٧٢١ قبل الميلاد ، حين انهزمت امام مملكة أشور ، فسبى من رجالها اعداد كبيرة لم تقم لها بعدهم قائمة •

وبعد سقوط مملكة اسرائيل أصبحت مملكة يهوذا عرضة للغزو المستمر من امبراطورية أشور ، وظلت تدفع الجزية لاشور ، وفى مرة عصى مليكها مملكة أشور ، ورفض دفع الجزية ، فحاصرته جيوش أشور ، وأوقعت به الهزيمة ، واضطرته الى الرجوع لدفع الجزية من جديد ، ودفع متأخراتها أثناء فترة العصيان أيضا ، وفوق ذلك فرضت عليه ارسال بناته وغيرهن من نساء القصر الى قصر سنحاريب الملكى في نينوى ، ولقد ظلت فى الثلاثة الارباع الاولى من القرن السابع تابعة خاضعة لنينوى ، وعند سقوط نينوى على يدى بابل الجديدة الكلدانية وذلك فى عام ٦١٢ قبل الميلاد تبعت لبابل .

وأقامت على ذلك حتى عام ٥٩٧ حين عصى ملكها الشاب اوامر بابل فسيرت اليه جيشا هزمه ، وكان على رأسه ملك بابل نبوخذ نصر الذى سبى هذا الملك الاسرائيلى الشاب ، مع نسائه ، وأمه ، وموظفيه ، وسبعة آلاف من جنوده ، وألف من مهرة الصناع . ثم أقام على مملكة يهوذا ملكا جديدا عهد اليه بالطاعة ومواصلة دفع الجزية لبابل وظل سبايا اليهود فى بابل وسارت الحياة بمملكة يهوذا تحت الخضوع لبابل حتى اذا كان عام ٥٨٦ قبل الميلاد قام فيها ملك سولت له نفسه عصيان بابل ، تحت تحريض بعض الزعماء ، ورجاء مساندة مصر أياه . فجرد عليه نبوخذ نصر جيشا جرارا ضرب الحصار الطويل على عاصمته أورشليم حتى سقطت فى يدى نبوخذ نصر فهدمها ، وهدم هيكلها ، وهدم زيادة على ذلك ، كل مدينة مهمة في

مملكة يهوذا . ثم سبى العظماء من سكان أورشليم ومن سكان المملكة . ويقدر عددهم بخمسين ألفا كلهم قد حملوا الى بابل مع ملكهم . وقد ظل بنو اسرائيل فى السبى ببابل حتى ظهر فى مسرح التاريخ دولة عالمية جديدة هى الامبراطورية الفارسية .

العودة من السبى

عندما ظهر الفرس فى مسرح الحوادث وخربوا بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، ودخل الملك الفارسى كورش مدينة بابل ، وجد فيها جالية يهودية كبيرة يعود أصلها الى أيام السبى الذى جرى لهم على يدى نبوخذ نصر ، مرة فى عام ٥٩٧ وأخرى في عام ٥٨٦ قبل الميلاد . وقد يكون لهذه الجالية اليهودية يد فى مساعدة كورش على اقتحام مدينة بابل . ومهما يكن من الامر فانه قد بادر الى اصدار مرسوم ملكى يخول حق العودة لمن شاء منهم الى أرض آبائهم ، ويشجعهم على اعادة بناء معبدهم . وكانت سياسة كورش هذه عكس السياسة التى اتبعها الاشوريون والبابليون من سبى الشعوب المهزومة فى الحروب ، ولقد اعتبر اليهود كورش هذا كمخلص أرسله الله لانقاذهم .

ولابد ان يكون عدد غير قليل قد استفاد من هذا الحق الذى عرضه عليهم الفاتح الجديد ، فعادوا الى ارض وطنهم الذى كان الحنين يساورهم اليه طيلة مدة السبى . وقد عبر شاعرهم عن هذا الحنين بكلمات مؤثرة « المزمور ١٣٧ » وذلك حيث يقول :

« ١ ــ على أنهار بابل هناك جلسنا ــ بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون .

٢ ــ على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا •

٣ ــ لانه هنــاك سألنا الذين ســبونا كلام ترنيمه ، ومعذبونا سألونا فرحين قائلين رنموا لنا ترنيمات صهيون •

٤ ــ كيف نرنم ترنيمة الرب فى ارض غريبة ؟

٥ ــ ان نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى •

٦ ــ ليلتصق لسانى بحنكى ان لم أذكرك ، ان لم افضل اورشليم على أعظم فرحى • »

كما انه لابد ايضــا ان يكون بعض المسبيين من الذين اغتنوا ، وأصبحت لهم جذور فى أرض بابل قد آثروا البقاء فى وطنهم الجديد • وكانوا يقيمون الى الجنــوب الشرقى من بابل ، وكانوا يقاومــون الاندماج بالسكان الاصليين ، وهم بذلك قد كانوا طليعة ما عرف فيما بعد باسم « الدياسبورا » وهم اليهود المقيمون خارج فلسطين • وكانت الديانة اليهــودية عاملا رئيسيا فى تماســك اليهــود فى ديار غربتهم •

اعادة بنــاء الهيكل

وكان زعيم اليهود العائدين من السبى هو « زروبابل » وقد ارجع معه ، بتوجيه من الملك الفــارسى كورش ، كنوز الهيــكل التى نهبها نبوخذ نصر • وقد اعترفت به الجماعة العائدة حاكما عليهــا • وبعد صعوبات عديدة واجهته نجح في بناء الهيكل ثانية فى عام ٥١٥ قبل الميلاد • وكان ذلك على عهد داريوس ملك الفرس ، وقد تم بناء الهيكل على نفقة حكومته •

وفى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد سمح ملك الفرس على ذلك العهد لفوجين متتاليين من أفواج المسبيين بالعودة الى وطن آبائهم . وكان على رأس أحد هذين الفوجين نحميا ، وهو فتى يهودى فى الحادية والعشرين ، وكان يعمل فى البلاط الفارسى ببابل ، وقد وصل على رأس فوجه فى عام ٤٤٤ قبل الميلاد ، وكان هدفه الصريح اعادة بناء أسوار اورشليم . وقد تم له ذلك ولكن فى وجه معارضة شديدة من جيرانه . وكان بين المعارضين زعيم عربى يدعى جشمو ، يعتقد بعض المؤرخين انه قد يكون من قبيلة ثمود التى كانت تسكن فلسطين . وحكم نحميا شعبه فى ظل السيادة الفارسية بين عامى ٤٤٤ ـ ٤٣٢ قبل الميلاد وكانت دولته دولة دينية .

وكان على رأس الفوج الثانى من فوجى المسبيين العائدين عزرا ، وهو قد يكون المذكور عندنا فى القرآن باسم « عزير » .

وكان قد سبق نحميا الى اورشليم برخصة من ملك الفرس ليصلح دين الشعب اليهودى ، وكان يرمى الى ايجاد عقيدة دينية تقية ، وكان يرمى أيضا الى نقاوة العنصرية . وقد بلغ من ذلك أنه كان يأمر بطلاق النساء غير اليهوديات ، ويعتبر أبناءهن غير شرعيين . فكأن عزير قد كان ممن يربطون ربطا وثيقا بين الدين اليهودى وبين عنصرية بنى اسرائيل ، وهو فى ذلك يختلف عما يفهم ارميا ، وعما يوصى به ، فقد ورد في رسالة له بالاصحاح التاسع والعشرين قوله ، « هذا كلام الرسالة التى ارسلها ارميا النبى من أورشليم الى بقية شيوخ

السبى ، والى الكهنة والانبياء ، والى كل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر من أورشليم الى بابل بعد خروج يكنيا الملك ، والملكة ، والخصيان ، ورؤساء يهوذا ، وأورشليم ، والنجارين ، والحدادين من اورشليم بيد العاسة بن شافان وجمريا بن حلقيا اللذين ارسلهما صدقيا ملك يهوذا الى نبوخذ نصر ملك بابل ، الى بابل ، قائلا هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبى الذى سبيته من اورشليم الى بابل • أبنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها • خذوا نساء ولدوا بنين وبنات ، وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا ، واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم اليها ، وصلوا لاجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم سلام لانه هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لا تغشكم أنبياؤكم الذين فى وسطكم • وعرافوكم ، ولا تسمعوا لاحلامكم التى تتحلمونها لانهم انما يتنبأون لكم باسمى بالكذب أنا لم أرسلهم يقول الرب » •

هذا ما قاله الرسول ارميا وهو قول يحارب التعصب العنصرى ، ويدعو اليهود الى الامتزاج بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، والى الاخلاص للبلاد التى يسكنونها ، بل ويحذر من دعاة العنصرية والتعصب ، ويصمهم بالكذب على الله وان ادعوا انهم مرسلون • ولكن جرت سنة النفوس انها اكثر ميلا الى التعصب والعنصرية ، وضيق الافق ، منها الى ما تدعو اليه الاديان من التسامح والاخوة ، وسعة الادراك • وكلما الحت عوامل الحياة على اليهود ان يعايشوا

شعوبا أخرى ، وان ينسوا عنصريتهم ، وينغمسوا فى مجتمعهم المختلط الجديد ، لم يعدموا من بين صفوفهم الانبياء الكذبة الذين يشدونهم الى التعصب شدا عنيفا والتطور لايقف • فمع ان اليهود قد استمتعوا بامتياز الحكم الذاتى فى عهد زروبابل ونحميا فان اللغة العبرية لم تعد الى حياتهم اليومية كما كانت من قبل ، وانما أصبحت تستعمل فى الحيز الدينى ، وحلت محلها ، فى المعيشة اليومية كلغة دارجة ، اللغة الآرامية •• وكذلك كلغة للمراسلات الرسمية ، وأخذت اللغة العبرية تندثر ، وقد تركت عند اندثارها تراثا غنيا من المفردات فى اكثر اللغات المتحضرة ، ويرجع أصل كثير من أسماء الاعلام عندنا نحن ، فى اللغة العربية ، اليها ، مثل اسم ابراهيم ، ويوسف ، واسحق ، واسماعيل ، ويحيى ، ومريم ، وداود ، وسليمان ، وكثير غيرها ، وأسماء الملائكة •• والقرآن ملىء بهذه المفردات العبرية ، أو المفردات التى أتت من لغات أخرى ، كالفارسية مثلا عن طريق اللغة العبرية ، ككلمة الفردوس ، على سبيل المثال •

ثم ظهر الاسكندر على مسرح التاريخ ، فقوض ملك فارس ، وخضعت له اورشليم • وأصبحت على عهده اللغة اليونانية هى لغة العلم •• ثم مات الاسكندر فى عمر مبكر ، وتمزقت امبراطوريته التى أنشأها بسرعة شديدة الى اربع دول ، وقد قام على رأس كل دولة منها أحد قواده الكبار : بطليموس فى مصر ، وسلوقس فى مرزبانة بابل ، و أنتيفونس في آسيا الصغرى ، وانيتياتر فى مكدونيا ، وانما

يهمنا فى موجزنا هذا سلوقس ، لانه مؤسس الدولة السورية ، وكان ذلك بين عامى ٣١٢ و ٢٨٠ قبل الميلاد • ومن اسمه يجىء اسم الدولة السلوقية وقد سار هو وخلفاؤه من بعده سيرة الاسكندر • وكانت مملكته أعظم الممالك التى قامت على انقاض مملكات الاسكندر ، فى قوتها ، واتساعها •• وبين عامى ١٧٥ و ١٦٤ قبل الميلاد خلف على عرش الدولة السلوقية أحد أحفاد سلوقس ، وكان اسمه انطيوخس الرابع ، وكانت عاصمة ملكه مدينة انطاكية ، وكان يسير سيرة أسلافه فى نشر الثقافة الهلينية ، بيد انه ذهب أبعد مما يجب ، وبلغ من امره ان أعلن نفسه الها وفرض عبادة نفسه على رعيته • وقد وجد الاستجابة من السوريين ، ووجد أشد المعارضة من اليهود •

ويحدثنا الدكتور فليب حتى من كتابه « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » الجزء الاول ، الصفحة ٢٦٧ عن ذلك فيقول (كانت الارستقراطية والاغنياء والطبقة المتطورة بين اليهود فى اورشليم قد تجاوبت حتى الآن مع العوامل الخارجية بتبنيها اللغة والعادات اليونانية ، وكانت على استعداد الآن للتعاون • ولم يكن لديهم أى اعتراض على تسميتهم انطاكيين • وأصبح اللباس اليونانى شائعا بين الشبان ، وبدأ الجمناز يوم اليونانى بالظهور • واعتمد أنطيوخس على تعاونهم فشجع اعتبار يهوه مساويا لزفس وأقام مذبحا فى المعبد للاله اليونانى وكان ذلك كما جاء فى دانيال « ١١ : ٣١ » و « تجعل الرجس المخرب » •

ثم يذهب الدكتور يسوق لنا مزيدا من الحديث عن ذلك في صفحة ٢٦٨ فيقول « ومع ذلك كان المتمسكون بأصول الديانة والقوميون بين اليهود منحدين في معارضتهم الاكيدة • ونشبت الثورة اليهودية سنة ١٦٨ قبل الميلاد بزعامة يهوذا وهو ابن كاهن بسيط يدعى ماتاياتاس من الاسرة الهاسمونية • واتخذ بعد ذلك لقب المكابى . ووجهت الثورة في اول الامر ضد الطبقة العليا التى تستغل الجماهير اكثر منها ضد الحكومة المركزية • وقد نظم يهوذا واخوته عصابات غير نظامية تعمل في التلال وتتجنب المعارك النظامية مع القوات الملكية • وكان هناك اتقياء (حاسيديم) بين الذين ثاروا على انطيوخس ولم يقبلوا بتدنيس يوم السبت بقيامهم بأعمال حربية لذلك أبيدوا بسهولة • وتعتبر هذه الحادثة من أقدم حوادث الاستشهاد الدينى في التاريخ المدون ، وقد احتلت اورشليم بجهود الاخوة المكابيين ، فطهر الهيكل ، وأعيدت الذبائح اليومية • ولتخليد هذه الذكرى أقيم عيد هنوكة (التكريس) ولا يزال يحتفل به سنويا منذ ذلك الحين » هذا ما قاله الدكتور فيليب حتى •

جمهورية يهودية

وقد كانت حركة الاخوة المكابيين في بدايتها ثورة دينية ، ثم تطورت الى ثورة قومية تستهدف تحرير البلاد ، ولم يكن الصراع ضد قوات الحكومة فقط • بل كان ايضا صراعا بين هؤلاء القوميين اليهود وبين قومهم من انصار الثقافة الجديدة ، الذين كانوا قد ألفوا حزبا باسم الحزب الهلنستى (حزب الاصلاح) وقد انتصر

القوميون اليهود على قوات الحكومة كما انتصروا على انصار الثقافة الجديدة من قومهم . واضطر الملك السلوقى ديمتريوس الثانى الى منح اليهود المنتصرين الاستقلال ، وانتخب سمعان ، وهو شقيق يهوذا ، فى عام ١٤١ قبل الميلاد كاهنا أعظم وحاكما على الجمهورية اليهودية الجديدة . وأخذ سمعان يضرب النقود ودخلت اورشليم عهدا جديدا ، وأخذت تؤرخ منذ ذلك الحين فصاعدا كما يلى : « فى السنة الاولى من حكم سمعان الكاهن الاعظم والحاكم » . وقد دامت هذه الجمهورية اليهودية الجديدة الى ظهور الرومان فى مسرح التاريخ خلفا لليونان . وذلك بعد ثمانين سنة من بدء ظهور هذه الجمهورية اليهودية .

وبظهور الرومان في مسرح التاريخ ، وحلولهم محل اليونان فى السلطة ، أصبحت سوريا ولاية رومانية ، وتقضت من يومئذ سلطة الجمهورية اليهودية وجرد الكاهن الاعظم من السلطان ، وفرضت على السكان الضرائب الباهظة ، وكان ذلك حوالى سنة ٦٠ قبل الميلاد .. وأصبح بذلك الكاهن الاعظم مجرد رئيس طائفة دينية تعينه الارستقراطية اليهودية . واما عامة اليهود فقد أنبثوا فى جاليات فى سائر المدن السورية يعايشون ، فى تحفظ ، السكان المختلفين ، ويحتفظون بالعبرية كلغة مقدسة .

كان المجتمع السورى ، عقب الفتح الرومانى ، قد أخذ يستجيب لتأثير الحضارة الرومانية ، ماعدا اليهود فان ارستقراطيتهم كانت قد انصبغت بالصبغة اليونانية ، وعامتهم قد أقامت على

نقاوة دينية ، وعلى تعصب موروث من عهد الاخوة المكابية التى وردت الاشارة اليها آنفا .

نهاية اليهود كدولة

يحدثنا الدكتور فليب حتى فى كتابه آنف الذكر صفحة ٣٧٥ عن نهاية اليهود على أيدى الرومان ، فيقول « عومل اليهود منذ عهد بومبى كجماعة متميزة بسبب الوحدانية الشديدة لدينهم . فكانوا فى عهد الاباطره معفين من الخدمة فى الجيش ومن الطقوس الواجبة نحو الامبراطور . فلم يطلب منهم المساهمة فى عبادة الحاكم الرومانى المقرونة بتقديم القرابين له . وكانوا بممارستهم سياسة الانطواء والعزلة يغذون شعورهم القومى . وأدى هذا الى اصطدامات اتسعت فأصبحت ثورة قومية بين ٦٦ ـ ٧٠ ميلادية فى عهد نيرون وبين ١٣٢ ـ ١٣٤ تحت حكم هادريان . وتنتج عن هاتين الثورتين الانفصام النهائى بين اليهود والمسيحيين وحلت بالمجتمع اليهودى كارثة دائمة » .

فى الثورة الاولى عهد نيرون بقمعها الى أحد قواده الذى أخضع الريف والحصون المنعزلة ودمر بعض المدن ومنها مدينة يافا . ثم قام قائد رومانى آخر على رأس جيش جرار فحاصر اورشليم مدة خمسة شهور سقطت بعدها فى أيدى الرومان ، وكان ذلك فى سنة ٧٠ ميلادية ، وقد حل بالمدينة من الخراب ما تقشعر له الابدان ، ويكفى فى تصوير هذه الفاجعه الميثاق المتبادل بين اليهود الذى تعهدوا فيه بابادة أنفسهم حين كان الرومان يفتحون المدينة . وكانت الخطة التى

اتفقوا عليها ان يقتل كل منهم نساءه وأطفاله ثم يلقى سلاحه ويقدم رقبته ليتلقى الضربة القاضية من الذى جعلته القرعة منهم يباشر هذه المهمة الكئيبة . ولقد كتب الوصف التالى مؤرخ ساهم بنفسه فى هذه الحرب : ، قال :

« كان الازواج يضمون زوجاتهم بحنان ويحملون أطفالهم بين اذرعهم ويتعانقون عناق الوداع والدموع تترقرق فى مآقيهم ، ولكنهم نفذوا فى الوقت ذاته ما اعتزموا عمله كأنهم يعملون ذلك بأيد غريبة . وقد جعلوا عزاءهم لضرورة ما قاموا به تفكيرهم بالمصائب التى سيقاسونها فيما لو سقطوا بايدى أعدائهم . وكانوا رجالا تعساء بالحقيقة بسبب الضرورة التى وجدوا فيها وهم الذين بدا لهم ذبح زوجاتهم وأطفالهم بأيديهم أهون الشرور التى تنتظرهم » .

هذا ولقد أجبر كثير ممن بقى من هؤلاء ووقع فى الاسر ان يقاتل بعضهم بعضا ، او يقاتل ضد الحيوانات المفترسة في المدرجات . ومنعت البقية الباقية منهم من الاقتراب من عاصمتهم اورشليم التى كانت قد دمرت تدميرا تاما واحرق معبدها ، ولقد قدر عدد من لقى حتفه فى هذه الكارثة بمليون يهودى .

ثم اذا كان موعد الثورة اليهودية الثانية على الرومان تعرض اليهود لغصة موت أخرى ، وذلك بين عام ١٣٢ و عام ١٣٤ ، حين قام قائد غامض يسمى سيمون باروخبا بثورة سحقها هادريان الرومانى ، ودمر فى سحقها من القرى ما قدر بتسعمائة وخمس وثمانين قرية ، وقدر

عدد القتلى من السكان بخمسمائة وثمانين ألفا ، وحول اورشليم الى مستعمرة رومانية وانتهت بذلك الامة اليهودية كأمة لها وطن ، ومن يومئذ « تفرق اليهود فى مختلف انحاء العالم فلم يكن لهم بيت أو وطن ، واينما حلوا كانوا يعاملون معاملة الغرباء غير المرغوب فيهم » كما يحدثنا جواهر لال نهرو فى كتابه (لمحات من تاريخ العالم) ويمضى نهرو فى حديثه ذلك فيقول « فاضطروا ان يسكنوا فى أماكن خاصة فى المدن منفصلة عن باقى الاحياء ، حتى لايدنسوا بقية الناس • وكانوا فى بعض الاحيان يجبرون على ارتداء ألبسة خاصة تميزهم عن غيرهم . لقد أذلوا ، وعذبوا ، وذبحوا ، حتى ان كلمة يهودى أصبحت مرادفة للبخل والربا ، ومع ذلك فقد استطاع هذا الشعب العجيب ان يعيش ويحتفظ بكل مقوماته وينجح وينجب رجالا يعتبرون من أعظم رجال العالم • فترى منهم اليوم العلماء والسياسيين والادباء ورجال الاعمال والمال ، غير ان أغلبيتهم لا تعتبر غنية ، فترى كثيرا منهم يتجمعون فى مدن شرقى اوروبا ويتعرضون من آن لآخر لمذبحة من المذابح • فهؤلاء الناس الذين يعيشون بلا بيت ولا وطن يحلمون دائما بالقدس التى تتراءى لهم أحسن وأعظم مما هى بالحقيقة • يسمون القدس « صهيون » والارض الموعودة ومنها كلمة « الصهيونية » التى تعنى نداء الماضى للعودة الى القدس » • هذا ما يحدثنا به نهرو فى نهاية اليهود كدولة على أيدى الرومان ، عام ١٣٤ م •

الفصـــل الخامس

العنصرية الاسرائيلية

لقـد ورد فى بعض الكتب قولهم « ان روما سـحقت الدولة اليهودية ولكنها لم تنل من العنصرية اليهودية » •

وفي الحق ان الناس ما عرفوا عنصرية كعنصرية اليهود فى شدة تماسكها ، وفى تعصبها ، ويرجع السبب فى ذلك الى عدة عوامل أهمها الدين •• فقد كان اليهود من سحيق الآماد طليعة ديانة التوحيد • وقد عايشوا اما عدة فلم يكن دين التوحيد الا عندهم هم • فقد عايشوا القبائل المختلفة فى فلسطين قبل عهدهم بمصر وبعد خروجهم من مصر ، وعايشوا من الامم المصريين ، والآشوريين ، والكلدانيين ، والفرس واليونان والرومان فما وجدوا عندهم غير الوثنية والمجوسية وعبادة قوى الطبيعة والحيوان والبشر ، أحياء وأمواتا • وكانوا هم بفضل هذا التوحيد شعب الله المختار بحق • وقد تقرر هذا عندنا في القرآن كما تقرر عنـدهم فى التوراة •• اما عندهم ففى أشعياء ، الاصحاح الثالث والاربعين يقول « لا تذكروا الاوليات • والقديمات لا تتأملوا بها • هأنذا صانع أمرا جديدا • الآن ينبت • الا تعرفونه • اجعل في البرية طريقا فى القفر انهارا • يمجدنى حيوان الصـحراء • الذئاب وبنات النعام لانى جعلت فى البرية ماء انهارا فى القفر لاسقى شعبى مختارى • هذا الشعب جبلته لنفسى • يحدث بتسبيحى » •

واما عندنا فعن الاصطفاء يقول تعالى « يابنى اسرائيل أذكروا

نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العـــالمين » وذلك من سورة البقرة ، ويقول في آل عمران « ان الله اصطفى آدم ، ونوحا وآل ابراهيم ، وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » واما عن التوحيد فقد قال تعـالى « أم كنتم شـهداء اذ حضر يعقوب الموت ؟ اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبـد الهك ، واله أبائك ، ابراهيم ، واســماعيل ، واســحق ، الهـا واحدا • ونحن له مسلمون » •

وفهم اليهود الخاطىء لعبارة « شعب الله المختـار » هو الذى جر ولا يزال يجر عليهم المصائب ، ويمنعهم من الاسـتجابة لنـداء الحياة الملح بالتطور ، وبالاندماج فى ركب البشرية السائر بوسـائل العلوم ، وبوسائل ديانات التوحيد الى الوحدة ، وكما بدا آنفا فقد كان اليهود طليعة دين التوحيد بهذه الصـورة الجماعيـة ، ولكنهم عندما ظنوا ان دين التوحيد يخصهم وحـدهم أخطأوا ، وانعزلوا ، واستكبروا ، فرفضوا المسيح عندما جاءهم بما لاتهوى أنفسـهم ، ورفضوا محمدا • وما كان ينبغى لهـم ان يفعلوا ذلك لو تفطنـوا ، ذلك بأن أتجاه التطور حتى فى تعاليم أنبيائهم كان يستهدف أعدادهم لقبول دعوات التوحيد المتجددة ، حين تظهر ، وكلما ظهـرت ، وعلى يدى من تظهر على يديه • فرسالة آرميا التى وردت الاشارة اليها ، وقول اشعياء فى الاصحاح الثالث والاربعين الذى أوردناه آنفا يقومان دليلا على الا عذر لهم حين رفضوا المسيح ومحمدا • اللهم الا عذرا

يقوم على العجز عن دقة الفهم عن النصوص المرنة ، التى تحمل عديد الوجوه ، يمد فى هذا العجز ، ويمهد لـه ، تعصب عنصرى لا يـرى ان الخير يمكن ان يجىء من غير عنصر الاسرائيليين .. ففى أشـعياء الاصحاح الحادى عشر يرد قوله : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليـه روح الرب . روح الحكمـة والفهم . روح المشورة والقوة . روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون فى مخافة الرب فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضى بالعـدل للمساكين ويحكم بالانصـاف ولبائسى الارض ويضرب الارض بقضيب فمه ويميت المنـافق بنفخـة شـفتيه ويكون البر منطقة متنيه والامانة منطقة حقويه .

« فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معا والاسد كالبقر يأكل تبنـا ويلعب الرضـيع مع سرب الضـل ويمد الفطيم يده على جحـر الافعوان لا يسـوءوه . ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لان الارض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر ويكون فى ذلك اليوم ان أصل يسى القائم راية للشعوب أياه تطلب الامم ويكون محله مجدا » .

ومثل هذا القول يمهد الطريق لقبول المسيح ، ولقبول محمد ، اذا وقع على اذن واعية ، هذا مع ان كل الموعود به لم يتم على يدى المسيح ، ولم يتم على يدى محمـد ، وانما يبقى منه ما يتم على يدى

المسيح الاخير ، الذى بمجيئه تتحقق الخلافة البشرية على الارض ، كما تحققت يوم خلق الله آدم قبل ان يخطىء ، فيزل ، فيطرد . ولكن اليهود لم يفهموا فانتظروا المجىء الاخير (ولا يزالون ينتظرونه) ورفضوا الخطوات المؤدية اليه . ومن ههنا جاء انعزالهم ، وجاء بعض ما يلقون من عنت ، برفضهم المسيح ، وبرفضهم محمد .

وفى أشعياء أيضا ، فى الاصحاح الرابع والخمسين يقول « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنيم أيتها التى لم تمخض لان بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب . اوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكى . أطيلى أطنابك وشددى أوتادك لانك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة . لا تخافى لانك لا تخزين . ولا تخجلى لانك لا تستحين . فانك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد . لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه . ووليك قدوس اسرائيل اله كل الارض يدعى . لانه كأمرأة مهجورة ، ومحزونة الروح ، دعاك الرب ، وكزوجة الصبا اذا رذلت قال الهك . لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة ساجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وباحسان ابدى ارحمك قال وليك الرب . لانه كمياه نوح هذه لى . كما حلفت الا تعبر بعد مياه نوح على الارض هكذا حلفت الا أغضب عليك ولا أزجرك . فان الجبال تزول والاكام تتزعزع أما احسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب » .

هذا القول يعنى ، فيما يعنى ، هاجر فى مقابلة سارة . وهو بذلك

اشارة الى العرب فى مقابلة بنى اسرائيل • ومن ثم فهو يبشر اليهود بمحمد « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد » يعنى لم تنجب نبيا غير اسماعيل فى حين ان الانبياء كلهم من ولد سارة • فحين قال « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد » اشار الى أنجاب نبى من ولد هاجر ، جدة فريق من العرب ، وقد كان محمدا • ولكن الاسرائيليين قد أعمتهم عنصريتهم عن تقبل الحق الذى جاءهم به • وفى هذه الآيات يرد قوله تعالى « ووليك قدوس اسرائيل اله كل الارض يدعى » ولكن اليهود لايريدون ان يفهموا الا انه تعالى الههم وحدهم،وهم وحدهم شعبه • ومن ثم فأن ضلالهم بعيد ، بعيد •

وفى ملاخى ، الاصحاح الرابع يقول تعالى قولا واضحا ، « هانذا أرسل اليكم ايليا النبى قبل مجىء يوم الرب ، اليوم العظيم ، والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الابناء ، وقلب الابناء على أبائهم ، لئلا آتى واضرب الارض بلعن » « فأيليا النبى » معرفا بالالف واللام هو محمد النبى الامى وخاتم النبيين • ولكن اليهود لا يعلمون • وهم لا يعلمون لانهم ظنوا ان التوراة ، وان اليهودية خاصة بقوميتهم الاسرائيلية ، وان الله الههم وحدهم، وليس لامم الارض فيه مشاركة • ومن ثم جاء ضلالهم ، وبعدهم ، وتعاليهم على الامم ، مما جر عليهم ، وعلى الامم الويلات والمصائب •

الحركة الصهيونية

بعد تخريب الرومان لاورشليم عام ١٣٤ ميلادية تفرق اليهود

فى وجه الارض وبقى منهم من بقى فى فلسطين ، وممن بقى المعلم يهوذا ، وقد كتب حوالى عام ٢٠٠ ميلادية القسم الاول والا هم من التلمود وهو ما يسمى (المشنا) ويتضمن تقاليد زعماء اليهود السماعيه وفتاواهم . واما القسم الثانى من التلمود فقد كتب فيما بين عام ٢٠٠ وعام ٥٠٠ ميلادية وقد كتب خارج فلسطين .. كتب فى بابل ، وهو عبارة عن شرح وتفسير لما جاء فى « المشنا » ولقد اوردنا آنفا نموذجا لما جاء فى التلمود من وصايا يهودية هى من الدلائل على مدى التعصب العنصرى ولا بأس من اعادتها هنا .. تقول « أيها اليهودى .. اعتزل باقى الامم وابق على شخصيتك بينها واعلم أنك أنت الوحيد عند الله .. آمن بالنصر على العالم .. آمن بأن كل شىء سيخضع لك .. فاستغل .. وعش .. وانظر .. وانتظر »

ومن أسوأ ما يوحيه التلمود لبنى اسرائيل ان يعتقدوا ان كل الارض ميراث لهم يجب ان يستولوا عليها من الخوارج (ويعنون بذلك كل من عدا اليهود) ويجب ن تؤول اليهم السلطة على هذه الارض بكل وسيلة . كما ظهر لك من الفقرة الماضية ، ولقد كان من دواعى هذا الشعور ان اليهود انعزلوا عن الشعوب التى عاشوا بينها ، ولم يرتبطوا بولاء للارض ولا للسلطة التى عاشوا تحتها ، وكثيرا ما اتهموا بالخيانة ، اما للشعوب التى يعايشونها أو للسلطة .. فعندما ظهر الوعى الطبقى والثورات الشعبية فى غرب اوربا في القرن السابع عشر ناهضها اليهود ، وضلعوا مع السلطة يومئذ ، وعن ذلك

يحدثنا الاستاذ عبد الستار البدرى فى مقالة له بعنوان « الصهيونية والعالم العربى » ظهرت بمجلة القلم بعددها الخاص بحرب فلسطين وفيها يقول « ولقد ظهرت حركة يهودية فى القرن السابع عشر عرفت باسم حركة (الهاسكالا) نتيجة لظهور الوعى الطبقى والثورات الشعبية فى غرب أوروبا وقامت على أساسين أولهما الولاء المطلق لرجال الكنيسة ورجال الحكم القائم حينئذ ــ وثانيهما العداء السافر للحركات الشعبية التى استهدفت هدم النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى أوروبا ــ كما أهتمت هذه الحركة باحياء اللغة العبرية القديمة وخلق وعى يهودى والارتفاع بالمستوى الثقافى والاجتماعى للجموع اليهودية وابعاد الطبقة العاملة من اليهود عن الاندماج فى الحركات الشعبية والثورية » . فهم ، فى هذه المرة ، حين ساندوا السلطة ، انما ساندوها ليعارضوا الحركات الشعبية التى ، اذا انتصرت ، لا تستقيم مصالحهم مع مصالحها ، بالقدر الذى به تستقيم مع مصالح السلطة المتمثلة فى الكنيسة ، وفى أصحاب الاقطاع .

وبظهور الحركات القومية فى اوروبا فى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الصهيونية بين اليهود كحركة قومية ، وقد كان من ضمن أغراضها جذب الطبقة العاملة اليهودية ، وملء فراغها ، والابتعاد بها عن الانغماس فى الحركات الشعبية . هذا الى جانب الغرض الرئيسى بالطبع ، وهو انشاء الدولة اليهودية فى فلسطين . على ان تبدأ الخطة بالدعوة الى اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وذلك باستعمارها ،

وامتلاك أرضها ، وبمواصلة الهجرة المنظمة اليها • وظهور الحركة « الصهيونية » لا يعنى انها حركة جدت فى حياة اليهود • فقد سبق ان قلنا فى هذا الكتاب ان اليهود يسمون القدس « صهيون » ، والارض الموعودة ، وجاءت من ذلك كلمة « الصهيونية » وهى تعنى نداء الماضى للعودة الى القدس ، وبذلك فلا تكون الحركة « الصهيونية » نشأت في أواخر القرن التاسع عشر ، وانما انبعثت من جديد ، بشكل تنظيمى جديد ، على أثر ظهور كتاب الصحفى اليهودى النمسوى تيودور هرتزل عن الدولة اليهودية ، ذلك الكتاب الذى أثار حماس اليهود ، ونشر الدعوة الى عقد مؤتمر للحركة « الصهيونية » فانعقد فى عام ١٨٩٧ ، واتخذ قرارات بتنمية حركة الاستعمار اليهودى فى أرض فلسطين ، وكان بذلك البعث الحديث لحركة القومية اليهودية الهادفة الى استعادة أرض فلسطين لاقامة دولة اسرائيل عليها •

وليس هناك شك فى ان بعض اليهود ليسوا صهيونيين ، وانما هم يعتقدون تعليم أنبيائهم فى الله ، وفى دين التوحيد ، ويفهمون معنى « شعب الله المختار » على نحو يمكن ان يكون بداية لقاء بين اليهود وبقية البشر ، ولكن حركة الصهيونية أقوى من هؤلاء ، وذلك لان ميول النفوس البشرية تجد يسرا في الاستجابة لدواعى العنصرية ، والتعصب،اكثر مما تجد في الاستجابة للنقاوة ، وجرية الضمير • ومن أجل ذلك ، فان حركة الصهيونية تمثل خطرا جسيما ، ليس على العرب

فحسب ، وانما على العالم أجمع .. وعلى اليهود أنفسهم . وليس هناك سبيل لدرء خطر الصهيونية عن طريق الحرب ، والسلاح ، حتى وان استهدف السلاح افناء اليهود ، ذلك بأن ما حصل من عنف ، وبطش ، وتقتيل ، وسبى فى عصور البشرية المظلمة لا يمكن ان يسمح له بأن يعاد في أيامنا هذه . ومع ذلك فأن العنصرية اليهودية لم تزدد به الا تمسكا بتعصبها ، وعدائها الشديد ، ولقد استعرضنا فى الصفحات السوالف طرفا مما جرى لليهود من يوم دخولهم الى ارض مصر فى عهد الفراعين والى عام ١٣٤ م حيث تم تحطيمهم ، كأمة ، على أيدى الرومان ، وبدأ تشتيتهم فى أطراف الارض ، وغرضنا من هذا الاستعراض توكيد ضرورة اللجوء الى أسلوب غير أسلوب الحرب لدرء خطر حركة الصهيونية ، وذلك أمر سنعرض له فيما بعد ان شاء الله .

مشكلة فلسطين

فى مؤتمر عام ١٨٩٧ الذى عقده زعماء الحركة الصهيونية حاولوا ابراز الجانب القومى ، والجانب الانسانى فيما أسموه بمشكلة اليهود ، ولقد قال هرتزل « من بادىء الامر فهمت عدم جدوى محاربة العداء للسامية » وقال وايزمان ، « أعتقد ان من أسباب العداء للسامية استمرار بقاء اليهود على قيد الحياة » وهذه عبارة من وايزمان وتلك من هرتزل تستهدفان امرين فى آن معا .. أحدهما استدرار العطف العالمى على نكبة اليهود التاريخية ، وثانيهما التمهيد للوطن

القومى لليهود فى فلسطين ، أو قل ، ان اردت الدقة ، اقامة دولة يهودية فى فلسطين بها تعاد مملكة داود وسليمان الى الوجودالحديث. ولقد أهتبل هؤلاء الزعماء الصهيونيون كل الفرص التى أتاحها لهم التطور الدولى الى ان وصل هذا التطور الى نقطة التقت فيها أهداف الاستعمار الغربى بمطامع الحركة الصهيونية العالمية ، وأحلامها ، وذلك بعد نشوب الحرب العالمية الاولى . فأنه قد ظهر للحلفاء ، بعد حين ، ان احتمال هزيمتهم امام الجيوش الالمانية احتمال قوى ، وانه لابد لهم من الزج بأمريكا فى هذه الحرب ، ان كان لابد لهم ان يخرجوا منها منتصرين . وكانت امريكا يومئذ تعيش فى عزلة تامة ، ويزعم كثير من قادتها ، وساستها ، ان مصير اوروبا لا يهمهم . وانهم يمكن ان يجنبوا بلادهم ويلات حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل . ومن ههنا جاءت أهمية اليهود ، بنفوذهم السياسى والاقتصادى ، والمالى . فقد فكر الحلفاء فى استخدامهم لجر امريكا للحرب ، وقد اوحوا اليهم ان انتصار الحلفاء سيكون ذا فائدة عظيمة لليهودية العالميه .. ووجدت الحركة الصهيونية فى حاجة الحلفاء اليها فرصتها التى كانت تنتظرها فاشترطت كثمن لتعاونها ذلك وطنا قوميا لليهود فى فلسطين ، كما اشترطت الاعتراف بها كمنظمة دولية ، لها حق الاتصال بالخارج ، بأمتياز دبلوماسى مما تستمتع به الحكومات عادة . فكان من جراء الشرط الأول وعد بلفور المشهور ، وكان من جراء الشرط الثانى ان وافق مجلس الوزراء البريطانى على أن تتولى وزارتا الخارجية

والحربية نقل الرسائل والبرقيات الصهيونية الى الخارج بواسطة سفاراتها .. وبالطبع فان الاستعمار البريطانى ، بصرف النظر عن الخدمة التى قدمتها الصهيونية بالتأثير على امريكا وادخالها الحرب مما نتج عنه انتصار الحلفاء،قدكان يدرك قيمة انشاء دولة يهوديةوسط البلاد العربية ، وهى منطقة يتطلع الى ان يكون له بها نفوذ مستديم ، لما لها فى ذاتها من أهمية قصوى ، ولما تؤمن من طريقه الى مستعمرته العظمى يومئذ ــ الهند .

الانتداب وهجرة اليهود

تعهدت بريطانيا اذن للحركة الصهيونية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأعلن ذلك وزير خارجيتها آرثر بلفور فى نوفمبر عام ١٩١٧ . ولقد أعطيت بريطانيا الانتداب على أقليم فلسطين فى عام ١٩١٩ بقرار من القوات المتحالفة المنتصرة . ثم ان عصبة الامم فى عام ١٩٢٣ أقرت انتدابها على فلسطين رسميا ، واقرت وعد بلفور بالوطن القومى لليهود ، وكلفت بريطانيا بالقيام على انشاء هذا الوطن القومى ، وقد جاء هذا التكليف الرسمى من عصبة الامم على النحو التالى : ــ

« ان الانتداب سيكون مسئولا عن وضع الدولة في ظروف سياسية وادارية واقتصادية تساعد على انشاء وطن قومى لليهود في تلك البلاد .. كما انه سيعمل على تطوير منظمات الحكم الذاتى،بالاضافةالى مسئوليته عن حماية الحقوق الدينية والمدنية لجميع السكانفىفلسطين دون مراعاة للاختلافات العنصرية أو الدينية » .

وقد كان من ضمن توصيات وتوجيهات عصبة الامم لبريطانيا وهي دولة الانتداب « ان تيسر هجرة اليهود بشروط مناسبة » وان تشجع استيطان اليهود ببعض ارض فلسطين سواء أكانت « أرض الدولة أو الارض القاحلة التي لا تحتاج اليها الدولة للمنافع العامة »

وفي ابان قطع البريطانيين بوعد بلفور اصرت الصهيونية على ان تدخل امريكا في الالتزام بهذا الوعد ، وسعى زعماء الصهيونية في بريطانيا وفي أمريكا سعيهم حتى اهتم الرئيس الامريكي ودرو ولسون فكون لجنة ارسل بها الى فلسطين لتوافيه بتقرير بعد دراسة الحقائق على الطبيعة ، وقد كان ذلك عام ١٩١٩ ، ولقد تقدمت هذه اللجنة بتقرير تقول فيه « ان مؤتمر السلام ينبغي الا يغمض عينيه عن حقيقة هامة هي ان الشعور المضاد للصهيونية في فلسطين وسوريا شعور عنيف لايجب ان بعض من شأنه أو تأخذه مأخذ السخرية والتهكم.وقدأجمع الضباط البريطانيون الذين استشارهم أعضاء اللجنة على اعتقادهم بأن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا عن طريق القوة المسلحة . »

ومع ذلك فان امريكا قد التزمت للصهيونية ، وباشرت الوفاء بالالتزام بصورة هي ظاهرة كل الظهور في موقفها الحاضر من دولة اسرائيل .

ولقد كان بفلسطين في ذلك الوقت ٨٤٫٠٠٠ يهودي و ٦٥٠٫٠٠٠ عربي ومساحة فلسطين نحو ٨٠٠٠ ميل مربع ، ولكن الهجرة اليهودية في استمرار ، وتحد التشجيع الرسمي . وكلما أزدادت هجرة اليهود كلما ازدادت مخاوف العرب ، وكان رأيهم « ان الصهيونية صنو

للاستعمار الانجليزى ، وان الزعماء الصهاينة المسئولين قد فادوا دائما بفائدة ايجاد وطن قومى يهودى قوى يعتمد عليه الانجليز لحماية طريقهم الى الهند والوقوف في سبيل نمو القومية العربية » .

معارضة وعد بلفور :

وهب فى معارضة وعد بلفور كل سكان فلسطين من غير اليهود ـ العرب وغير العرب ـ المسلمون والمسيحيون ، وكانت المشكلة تتمثل لهم على صعيدين : الصعيد الاقتصادى والصعيد السياسى : فأما من الناحية الاقتصادية فان سكان فلسطين كانوا يشعرون ان هؤلاء اليهود سينافسونهم فى معيشتهم ، وانهم بثرواتهم الضخمة ، ومقدرتهم الاقتصادية المعروفة ، وباتجاههم الى امتلاك الارض من أصحابها باغرائهم بالمال سيصبحون ، عما قريب ، سادة البلاد الفعليين . واما من الناحية السياسية فقد كان الفلسطينيون يشعرون بأن اليهود سيكونون عقبة أمام تحرير البلاد من نير الاستعمار . لانه قد عرف عنهم دائما انهم يعارضون كل اتجاه وطنى لتحرير البلاد التى يعيشون فيها وانهم يفضلون ان يتعاونوا مع الدولة الحاكمة الاجنبية ضد العناصر الوطنية . فكأنهم بذلك يمهدون ليوم يستولون فيه على السلطة منفردين بها عن بقية السكان ، فان لم يجىء ذلك اليوم فلا بأس فى حسبانهم من استمرار الحكم الاجنبى . ولعل هذا العامل السياسى قد كان من أكبر الاسباب التى جمعت على مقاومتهم كل سكان البلاد من مسيحيين ومسلمين . وقد بلغت هذه المقاومة فى عام ١٩٢٣ حدا من

العنف جعل البريطانيين يصرحون فى ذلك العام بأن وعد بلفور لم يقصد به ان تصبح « فلسطين كلها يهودية » وهو لم يقصد به الى استبدال السكان العرب ، أو الثقافة العربية بسكان آخرين أو بثقافة أخرى • وانما هدفه توطين اليهود فى بلاد يعتبرونها وطنا قوميا لهم باعتبار تاريخهم الماضى ، وكان زعماء الصهيونية يوافقون على تصريح بريطانيا هذا ويعلنون قبولهم اياه •

ومع ان هجرة اليهود الى فلسطين كانت متصلة ، ومنظمة تنظيما رسميا من قبل دولة الاحتلال ، الا انها كانت فى نطاق ضيق فى خلال العقد الثالث من القرن العشرين • ثم أخذت في نهايته تزداد أزديادا ملحوظا ، ويرجع السبب فى أزديادها الى ما وقع من اضطهاد لليهود من النازية فى المانيا ، ومن الدول المشايعة للنازية فى أوروبا • ولقد بلغ الامر بهجرة مضطهدى يهود أوروبا الى فلسطين ، في الفترة التى تلت عام ١٩٣٠ ، مبلغا أظهر عجز بريطانيا عن السيطرة على تنظيم الهجرة ، كما هو من واجبها أن تفعل ، وأثار شكوك العرب ودفعهم الى التفكير فى حل عربى لمشكلة فلسطين •

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية ، وقد شعر فيها اليهود يبذلون مجهودا كبيرا من أجل نصرة الحلفاء ، وهم يشعرون ان انتصار الحلفاء الثانى فى الحرب الثانية لابد أن يبلغ بهم ما يرمون اليه من هدف • وكانت العلاقات بين المهاجرين اليهود والمقيمين العرب تزداد سوءا كل حين ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها فى عام ١٩٤٥ بدأ

سوء هذه العلاقات يتصاعد نحو قمة الازمة .. وفى تلك السنة كونت الاقطار العربية المستقلة الجامعة العربيـة (وهى مصر والسـعودية ، واليمن ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، والاردن) .

قرار التقسيم

وعجزت بريطانيا عن السيطرة على الهجـرة وعجزت عن وضع حل يرضى العرب واليهود ، وأصبحت تستعد للتخلى عن الانتداب . وفي ٢ أبريل من عام ١٩٤٧ طالبت بعقد دورة خاصة للجمعية العـامة للامم المتحدة لمناقشة هذه المشكلة الفلسطينية . ولقد كان اعـلان بريطانيا عجزها على لسـان وزير خارجيتهـا المستر آيرنست بيفن ، وذلك حين قال من خطاب له ألقـاه أمام مجلس العمـوم البريطانى « مشكلة فلسطين قضية معقدة كل التعقيد بسبب ما فيها من تناقض فى موضوع حقوق الفـريقين : العـرب واليهود ، بموجب صك الانتـداب » ثم يمضى فى خطابه ذاك الى ان يقول ، « لقد عجـزت بريطانيا عن التوفيق بين السماح لليهود بغزو فلسـطين وبين مراعاة صك الانتداب فى عدم الاضرار بمصالح سـكانها الآخرين . ولقـد أصدرت بريطانيا الكتاب الابيض الذى حدد الهجرة لفلسطين ليوقفها فيما بعد ، وأقر المجلس الموقر هذا الكتاب الذى أثار معارضة اليهود ، وتشدد العرب واصرارهم على الاستقلال الناجز . ومما زاد فى تعقيد القضية ان امريكا قد حشرت نفسها فيها وأخذ الرئيس ترومان يوالى تصريحاته عنها . ولو وقف أمر هذا التدخل الامريكى عند حد ادخال مائة

آلف مهاجر يهودى الى فلسطين لكان فى الامكان معالجتـه ، ولكن الحديث يدور حول المجيء بالملايين ، وليس من العدل المساواة بين مصالح العرب أصحاب البلاد وبين اليهود الطارئين على فلسـطين . الا ان بريطانيا لا تسـتطيع ان تفرض حلا نهائيـا بالقوة ، لانها دولة منتدبة ، ولذا فقد أصبح من واجبها ان ترفع الامر الى الامم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذى تراه » .

لجنة تحقيق

واجتمعت الجمعية العامة فى دورة خاصة كطلب بريطانيا وقررت تأليف لجنة خاصة للتحقيق فى قضية فلسطين تضم ممثلى احدى عشرة دولة من الدول الاعضاء هى ايران ، وبيرو ، والسـويد ، وأراغواى ، وهولندا ، والهند ، وغواتيمالا ، ويوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، واستراليا ، وكندا . وانتقلت هذه اللجنة الى الشرق الاوسط وأجرت اتصالات فى القدس بممثلى الحكومة البريطانية ، والوكالة اليهودية ، وقررت الهيئة العـربية العليـا مقاطعتها ، ولكنها اجتمعت فى بعض العواصم العربية ، برؤسـاء دولها وحكوماتها ، كمـا اجتمعت بالامين العام للجامعة العربية . ثم رجعت الى مقر الامم المتحدة لتضع تقريرها ، الذى قدمته للجمعية العامة في ابان دورتها العادية لعـام ١٩٤٧ ، وهى الدورة الثانية . وقد انقسم أعضاء اللجنـة الى فريقين : ضم احدهما ممثلى كندا ، واستراليا ، وبيرو ، وتشيكوسلوفاكيا ، وغواتيمالا ، والسويد ، وأراغواى ، وقدم مشروعا سمى بمشروع الاغلبية . واما

الفريق الآخر وفيه ممثلو الهند ، وايران ، ويوغوسلافيا ، وهولندا ، فقد قدم مشروعا آخر سمي بمشروع الاقلية . « ويتفق المشروعان اللذان يقضي اولهما بتقسيم فلسطين الى دولتين أحداهما عربية ، والاخرى يهودية . ويقضي ثانيهما بانشاء دولة اتحادية فلسطينية تشمل البلاد كلها ، على قواعد وأسس اهمها وجوب انهاء الانتداب على فلسطين . واعطائها الاستقلال بعد فترة انتقال قصيرة ، على ان ينتهي الانتداب ، والجلاء عن البلاد ، قبل اليوم الاول من آب (أغسطس) عام ١٩٤٨ وعلى الا يتعدى قيام الدولة الاتحادية ، او الدولتين اليوم الاول من تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٨ ، وان تتولى لجنة خماسية تختارها الامم المتحدة من الدول الاعضاء ، ويراعى فى اختيارها التوزيع الجغرافى ، ادارة البلاد بالتعاون مع السلطات المحلية تحت اشراف مجلس الامن الدولى ، وان تقوم اللجنة باقامة حكومة اتحادية مؤقتة ،أو حكومتين مؤقتتين فى الدولتين ، تقوم ، او تقومان باجراء الانتخابات العامة فى غضون شهرين من جلاء قوات الدولة المنتدبة » .

« وتنص القواعد المشتركة فى التقريرين أيضا على الاحتفاظ بالحقوق الراهنة فى الاماكن المقدسة ، والابنية الدينية ، والمواقع الاخرى ، وعلى تأمين حرية المرور والزيارة الى هذه الاماكن المقدسة بالنسبة الى جميع الطوائف ، وعلى اعتماد الوسائل السلمية لاقرار أى حل بالنسبة الى أية مشكلة من المشاكل وعدم اللجوء الى القوة أو التهديد باستعمالها » نورد هذا القول عن كتاب « قضايا فى الامم

المتحدة » لمؤلفه الاستاذ خيرى حماد . ويمضى الاستاذ خيرى حماد فيحدثنا من كتابه هذا. فيقول « ويقع تقرير الاغلبية الذى أقرته الجمعية العامة فى نحو من اربعين صفحة من القطع الكبير ، ويتضمن بعض القواعد العامة واربعة أقسام . يتناول القسم الاول منها الدستور المقبل، وشكل الحكومة فى كل من الدولتين العربية واليهودية، وقد جاء فى عدة أجزاء فرعية منها : انهاء الانتداب، والخطوات التمهيدية للاستقلال، والاماكن المقدسة، والابنية والمواقع الدينية ، والحقوق الدينية ، وحقوق الاقليات ، والرعوية ، والمواثيق الدولية ، والالتزامات المالية ، والاتحاد الاقتصادى ، وحرية المرور ، والزيارة ، وموجودات الحكومة ، والعضوية فى الامم المتحدة . ويتناول القسم الثانى منها الحدود ، وقد نص على ان تشمل المنطقة العربية ، الجليل الغربى ، ولواء نابلس ، والسهل الساحلى الممتد من قرية أسدود حتى حدود مصر ، ولواء الخليل ، وجبل القدس ، وغور الاردن الجنوبى . وتبلغ مساحة هذه المنطقة (١٢) ألف كيلو متر مربع يقطنها «٦٦٨» ألف نسمة منهم «١١» ألف يهودى و (٦٥٠) ألف عربى ويملك اليهود فيها مائة ألف دونم بينما يملك العرب ما تبقى من أراضيها . وتشمل المنطقة اليهودية الجليل الشرقى ، ومرج ابن عامر ، والقسم الاوسط من السهل الساحلى ، ومنطقة النقب . وتبلغ مساحة هذه المنطقة (١٤،٢٠٠) كيلو متر مربع يقطنها « ٩٩١ » الف نسمة منهم « ٤٩٦ » الفا من اليهود و « ٤٩٥ » الفا من العرب ويملك العرب ثلثى مجموعة مساحة هذه المنطقة . وتشمل المنطقة الدولية مدينة القدس .

« ويتناول القسم الثالث مدينة القدس وقد نص على اقامة نظام دولى خاص بها تتولى الامم المتحدة الاشراف عليه عن طريق مجلس وصايتها ، على ان تمتد المنطقة من شمال قرية شعفاط شمالا الى جنوب بيت لحم،وبيت ساحور جنوبا، ومن شرق العيزرية شرقا الى غرب عين كارم ودير ياسين غربا • وتضمن هذا القسم طريقة الحكم فى المنطقة وأهدافه ، واجراءات الامن ، وحرية النقل ، والزيارة ، والرعوية،وحماية الاماكن المقدسة • على ان يستمر هذا النظام بصورة أولية مدة عشر سنوات • تعود بعدها الامم المتحدة الى اعادة النظر فيه • وتناول القسم الرابع قضية الامتيازات ، والحصانات ، وما شابهها •

« اما تقرير الاقلية فيقترح قيام حكومتين : احداهما عربية والاخرى يهودية،تتمتعان بالاستقلال الذاتى ، على ان تتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين ، ويتولى ادارة الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية فيها مجلس اتحادى يتولى انتخاب رئيس الدولة الاتحادية ويضع الدستور الواحد ويقرر الرعوية الفلسطينية الواحدة ويعالج شئون الهجرة الى المنطقة اليهودية فقط •

اللجنة السياسية الخاصة

« وبدأت الجمعية العامة فى الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) مناقشة التقرير بشقيه ، وقررت احالته الى اللجنة السياسية الخاصة التى قررت السماح ، فى مستهل جلساتها،لمندوبين :احدهماعربى والآخر يهودى ، بالكلام ومناقشة التقرير • وقد ألقى ممثل الهيئة

العربية العليا خطابا مطولا،شرح فيه القضية الفلسطينية من أصولها ، وما طرأ عليها من تطورات ، وبين جوانب العدالة فى حق العرب فى بلادهم،وانتهى الى رفض التقسيم ،ورفض الهجرة ، وقيام دولة يهودية فى أى جزء من فلسطين ، وأكد مطالبة العرب بقيام دولة فلسطينية واحدة ، على أسس ديمقراطية سليمة • وتحدث مندوب الوكالة اليهودية فشرح القضية من وجهة النظر الصهيونية ، وأعلن قبوله بمشروع الاكثرية على ان تجرى بعض التعديلات عليه : بضم الجليل الغربى،ومنطقة القدس ، الى حدود الدولة اليهودية • وأعلن استعداد القوات اليهودية المسلحة لملء الفراغ الذى سيحدثه جلاء الانجليز فورا عن فلسطين •

« وتعاقب المتكلمون فى الجلسات التى استمرت عدة أيام • وكان من أولهم الممثل الامريكى الذى تباكى على حالة اليهود وما يعانونه من اضطهاد ، ومن على العرب بمالهم من دول مستقلة اصبحت أعضاء فى الامم المتحدة ، وقال ان حكومته تؤيد مشروع الاكثرية وان كانت تطالب ببعض التعديلات عليه لصالح العرب ليكون اكثر واقعية • وتحدث المندوب السوفياتى ، ولاول مرة يتفق والمندوب الامريكى على اتجاه واحد ، فعرض ما عاناه اليهود من آلام على أيدى النازية ، وأشار الى استحالة الاتفاق والتفاهم بين العرب واليهود ، وانتهى الى القول بان حكومته تؤيد مشروع الاكثرية •

« وتعاقب الوفود على الكلام • وبان ضعف العرب فى المنظمة

الدولية ، لا بالنسبة الى حقهم ، فقد كان هذا الحق صارخا في وضوحه ، وانما بالنسبة الى نفوذهم امام النفوذ الامريكى ، والسوفياتى مجتمعين . لا سيما وان امريكا قد أعلنت جهارا انها ستكافح ، وتناضل لافرار التقسيم ، واقامة الدولة اليهودية » .

وعندما رأى العرب موقفهم هذا الضعيف، وانهم لايقف بجانبهم غير ممثلى الدول الاسلامية، والهند، وهم قليلون ، تقدموا (بمشروع قرار الى اللجنة الخاصة ، يقضى بانشاء حكومة مركزية واحدة تتولى مؤقتا ادارة فلسطين كلها ، على ان يتم الجلاء البريطانى عن البلاد بعد سنة واحدة من قيام هذه الحكومة ، التى تتولى اجراء انتخابات عامة لجمعية تأسيسية تقوم بوضع دستور ديمقراطى للبلاد بكاملها على أساس وحدتها ، واستقلالها . »

ولكن مندوب بريطانيا أصر على القول بأن الجلاء سيتم فى موعده المقرر وأن حكومته لا توافق على استخدام جيوشها بأية صورة من الصور فى تنفيذ أى مشروع . واقترعت اللجنة الخاصة على المشروع العربى المتقدم ذكره ، وتحت اصرار بريطانيا على اتمام الجلاء فى موعده المقرر ، وامام اصرار امريكا على تنفيذ خطة التقسيم ، سقط الاقتراح العربى ، ولم يؤيده غير اثنتى عشرة دولة هى الدول العربية وأفغانستان ، وايران ، وباكستان ، وتركيا ، وكوبا ، وليبريا ، ورفضته (٢٩) دولة فى مقدمتها الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى .

وعندما شرع رئيس اللجنة فى عرض مشروع الاغلبية على اللجنة

السياسية الخاصة دفع المندوبون العرب بعدم صلاحية المنظمة لفرض حل على شعب فلسطين دون مراعاة رغبته ، وطالبوا باحالة القضية على محكمة العدل الدولية لابداء رأيها القانونى فيها • فجرى الاقتراع فى اللجنة على هذا الاقتراح العربى فسقط بالاغلبية • ثم اقترح العرب مجرد استشارة المحكمة فى صلاحية المنظمة لفرض التقسيم دون استفتاء لاهالى فلسطين ، فأقترع على اقتراحهم هذا من جديد فسقط أيضا •

ثم اقترع فى اللجنة على مشروع الاغلبية ففاز وبذلك انتقل الى الجمعية العامة ، ولما كان فوزه هناك يقتضى أغلبية الثلثين فأن امريكا بدأت مناوراتها مع الوفود المختلفة ، محاولة كسب هذه الاغلبية لمشروع التقسيم ، يوم ان يعرض للاقتراع • وأخيرا جاء اليوم الموعود ، وذلك فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ ، حيث التأم شمل الجمعية العامة ، وطرح مشروع التقسيم على الاقتراع ، فقبل بأغلبية (٣٣) صوتا مقابل (١٣) دولة عارضت ، وامتنعت عن التصويت عشر دول • وكان من الدول التى أيدت التقسيم الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وكندا ، واستراليا ، وجنوب افريقيا ، ونيوزيلنده ، وفنزويلا ، واراغواى ، وبوليفيا ، والبرازيل ، واكوادور ، وهايتى ، وغواتيمالا ، وجمهورية الدومينكان ، ونيكاراغوا ، وبناما ، وبيرو ، وبلجيكا ، ولوكسمبرج ، وهولندا ، والسويد ، والنرويج ، والدنمارك ، وليبريا ، والاتحاد السوفيتى ، وروسيا البيضاء ، وتشيكوسلوفاكيا ، واكرانيا ، وبولندا ، وهذه الخمس الاخيرة من دول الكتلة الشرقية ، ثم القلبين •

ولقد لعب نفوذ الولايات المتحدة دورا بارزا فى احراز هذه النتيجة ، حتى لقد علم ان مندوبى بعض الدول التى صوتت الى جانب التقسيم كان يشعر بوخز الضمير لقيامه بعمل يعتقد فى خطئه • فقد نسبوا الى مندوب كندا قوله ، « لقد أيدنا المشروع بقلوب مثقلة بالالم،مفعمة بالشكوك » وهكذا صدر قرار التقسيم وقد تحدثنا عن تفاصيله قبل قليل ، ونورد هنا ديباجته اتماما للفائدة ، واكمالا للصورة : الديباجة تقول : « ان الجمعية العامة للامم المتحدة ، بعد ان عقدت دورة خاصة بناء على طلب من الدولة المنتدبة ، لتأليف لجنة خاصة تتولى ، بناء على تعليماتها ، اعداد العدة لدرس قضية الحكومة المقبلة لفلسطين فى الدورة العادية الثانية •

« وبعد ان شكلت هذه اللجنة الخاصة ، واوعزت اليها بتحرى جميع القضايا والمسائل المتعلقة بمشكلة فلسطين ، واعداد الاقتراحات اللازمة لحلها •

« وبعد ان تلقت ودرست تقرير اللجنة الخاصة الذى تضمن توصيات اجماعية ومشروعا للتقسيم مع اتحاد اقتصادى أقرتهما غالبية أعضاء اللجنة •

« تعتبر ان الوضع الراهن فى فلسطين قد يعرقل السعادة العامة ، ويضر بالعلاقات الودية بين الدول •

« وتأخذ علما بالبيان الصادر عن الدولة المتحدة ، والمتضمن خطتها فى انهاء جلائها عن فلسطين قبل الاول من آب (أغسطس) عام ١٩٤٨ •

« وتوصى المملكة المتحدة ، بوصفها الدولة المنتدبة على

فلسطين كما توصي جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، بتبني مشروع التقسيم مع الاتحادالاقتصادى ، وتنفيذه لتأمين حكومة فلسطين المقبلة على الشكل المذكور :

« وتطلب ..

١ ــ من مجلس الامن ان يتخذ الاجراءات اللازمة المنوه عنها في المشروع للعمل على تنفيذه .

٢ ــ وان يقرر المجلس ما اذا كانت الحالة في فلسطين في الفترة الانتقالية ، اذا اقتضى الامر ، تشكل تهديدا للسلام ، فاذا ما قرر وجود مثل هذا التهديد فعلا ، فان عليه ، للحفاظ على السلام والامن الدوليين ان يكمل تفويض الجمعية العامة ، الممنوح للجنة الامم المتحدة ، بموجب المادتين (٣٩) و (٤١) من الميثاق ، لممارسة الصلاحيات اللازمة لها للقيام بالاعمال الملقاة على عاتقها في فلسطين .

٣ ــ من مجلس الامن ان يعتبر كل محاولة ترمي الى تغيير التسوية التي حققها هذا القرار ، عن طريق القوة ، تهديدا للسلام وخرقا له ، وعملا عدوانيا بموجب المادة ٣٩ من الميثاق .

٤ ــ ابلاغ مجلس الوصاية بالمسئوليات الملقاة على عاتقه بموجب هذا المشروع .

« وتدعو جميع سكان فلسطين الى اتخاذ الخطوات التي يرونها ضرورية من جانبهم لتنفيذ هذه الخطة ، وتناشد جميع الحكومات ،

والشعوب الامتناع عن القيام بأى عمل قد يعرقل ، أو يؤخر تنفيذ هذه التوصيات ، وتخول الامين العام دفع نفقات اعضاء لجنة الامم المتحدة ، وأجور سفرهم ، وفق ما يراه مناسبا فى الاوضاع الراهنة وان يؤمن لها العدد اللازم من الموظفين لتنفيذ الواجبات التى عهدت الجمعية العامة اليهم بتنفيذها » .

هذا عن كتاب « قضايانا فى الامم المتحدة » لمؤلفه الاستاذ خيرى حماد .

واللجنة التى وردت الاشارة اليها قد تضمن القرار تأليفها من بوليفيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والدنمارك ، وبنما ، والفلبين .

ويلاحظ ان هيئة الامم ، تحت حماس امريكا المتطرف لمشروع التقسيم ، قد ذهبت فيه مذهبا مشتطا ، حتى لكأنها تنوى تنفيذه بالقوة ، أو ، على ايسر تقدير ، بكل وسائل الضغط التى تحت يدها .

وما ينبغى ان نظن ان امريكا كانت متطوعة بهذا الحماس ، فأنها فى الحق قد كانت واقعة تحت ضغط شديد من الصهيونية العالمية ومن أصدقائها . ولقد ذكر الرئيس ترومان فى مذكراته التى نشرتها مجلة لايف الامريكية، بعددها الصادر بتاريخ يناير عام ١٩٥٦ ما نصه : « أعتقد ان البيت الابيض لم يتعرض ، فى أية لحظة من اللحظات فى تاريخه الطويل ، لما تعرضت له أنا من ضغط ، ودعاية فى ذلك الحين . ولقد أزعجنى ، وضايقنى ، ذلك الاصرار الذى بدأ من عدد قليل من الزعماء الصهيونيين المتطرفين الذين تحفزهم الدوافع السياسية ، والذين لم يتورعوا عن التهديد السياسى »

وقال الشيخ فلبرايت ، أثناء مناقشة تتعلق بفلسطين ، فى مجلس الشيوخ الامريكى : « ان هذا المشروع يعتبر بمثابة اكراه لامريكا للوقوف الى جانب احد الفريقين فى النزاع العربى الاسرائيلى • ويعود السبب الرئيسى فى تقديم هذا المشروع الى وجود فئات «تضغط» فى الولايات المتحدة ، وهى تحاول ان تقحم النزاع العربى الاسرائيلى فى سياستنا الداخلية •• وفى مثل هذا الوضع الدولى الدقيق الذى يسود العالم اليوم يجد مائة وثمانون مليونا من الامريكيين ان سياسة بلادهم الخارجية واقعة تحت تاثير جماعات غير مسئولة تمثل الاقلية • ولا يمكن للرئيس ان يسير بسياستنا فى الشرق الاوسط في مثل هذه الظروف • ولقد شهدنا فى السنوات الاخيرة نشوء منظمات ، لم تكرس نفسها لامريكا وانما الى الدول والجماعات الاجنبية • وقد تردى سير السياسة الخارجية الامريكية بسبب هذه التطورات ترديا خطيرا • ولا ريب فى ان سياستنا الخارجية اكثر أهمية بالنسبة الى امننا القومى الشامل ، من ان تغدو أداة مسخرة فى أيدى أقليات يقوم رجال الكواليس من أبنائها بالوقوف امام قاعات الكونغرس لحث أعضائه على اتباع اجراءات ذات نفع للمصالح الخاصة، ومؤدية الى نتائج مفجعة للبلاد كلها » هذا ما قاله فلبرايت عن مشروع التقسيم وموقف بلاده منه، وفى الحق ان أقوال المسئولين الامريكيين فى ضغط الصهيونية العالمية على ساستهم ، وتلوينها لسياستهم الخارجية والداخلية كثيرة • وهى فى جملتها تعبر عن نفوذ الصهيونية العالمية ، وعن مبلغ الخطر الذى تتهدد به أمن العالم

أجمع ، وسلامه .

مقاومة التقسيم

لم يمض غير يومين على اتخاذ قرار التقسيم حتى شبت الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين ، وعقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا فى القاهرة في الثامن من ديسمبر عام ١٩٤٧ حضره رؤساء وزارات الدول العربية ، وأصدر بيانا استنكر فيه قرار التقسيم ولم يتخذ قرارا ايجابيا بالمقاومة . ولكن أهل فلسطين من العرب قد دخلوا فى مقاومة مسلحة ، وامام هذه المقاومة أوشكت اللجنة الدولية التى عهد اليها بالاشراف على تنفيذ قرار التقسيم ان تعلن يأسها ، وفشلها فى مهمتها . وعندها سارعت بريطانيا والولايات المتحدة الى دعوة مجلس الامن للانعقاد لبحث الحالة المضطربة فى فلسطين . وحين انعقد المجلس أدلى رئيس اللجنة الدولية امامه بشهادة أكد فيها استحالة العمل وسط العنف القائم يومئذ فى فلسطين واقترح احدى خطتين لمعالجة الحالة : احداهما ارسال جيش دولى لتنفيذ التقسيم بالقوة ، أو ، ثانيتهما ، اهمال مشروع التقسيم اهمالا نهائيا . وهنا بادرت امريكا على لسان مندوبها فى مجلس الامن فقررت أنها لم تعد ترى التقسيم ممكنا وعمليا ، وانها تقترح الآن وضع فلسطين مؤقتا تحت الوصاية الدولية . واما القضية فأنها ترى اعادتها الى الامم المتحدة . وتبعا لذلك فهى تقترح دعوة الفريقين الى هدنة لتمكين الامم المتحدة من معالجة القضية الفلسطينية على اسس جديدة ، وقد كان ذلك من امريكا فى اليوم التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٩٤٨ .

وفى اليوم الخامس من شهر مارس عام ١٩٤٨ قرر مجلس الامن دعوة اعضائه الخمسة الدائمين للتشاور وتقديم توصياتهم لمجلس الامن بكامل هيئته فى ظرف عشرة أيام • وعاد المجلس ، فقرر ، فى اليوم الاول من شهر ابريل ، دعوة الهيئة العربية العليا ، والوكالة اليهودية ، الى ايفاد مندوبين عنهما الى المجلس لتنظيم عقد هدنة بينهما كما طلب من قوات الفريقين ايقاف أعمال العنف فورا •

ثم انصرف المجلس للنظر فى توصية أعضائه الخمسة الدائمين فقرر ، بناء عليها ، دعوة الجمعية العامة الى جلسة استثنائية لاجراء دراسات أخرى فيما يخص مستقبل الحكم فى فلسطين •

وفى اليوم السادس عشر من شهر ابريل انعقد شمل الجمعية العامة بنيويورك فى دورة استثنائية استمرت حتى اليوم الرابع عشر من شهر مايو ، وقد كان يبدو ان امريكا قد انصرفت عن مشروع التقسيم لاستحالة تنفيذه ، واستبداله مؤقتا بفكرة الوصاية الدولية ، وأغلب الظن انها كانت تتظاهر بذلك لتستطيع فرض الهدنة على العرب وتوقف أعمال العنف • وكانت بريطانيا ، وهى دولة الانتداب ، تعين شريكتها امريكا فى هذه المحاولة بنفوذها فى فلسطين ، وبنفوذها على الجامعة العربية • وقد استلم اليهود فى هذه الاثناء المراكز الاستراتيجية ، وتسلحوا ، واستعدوا لفرض وجودهم بقوة السلاح •

وفى السابع عشر من شهر ابريل اتخذ مجلس الامن « قرارا بدعوة جميع المنظمات والاشخاص فى فلسطين الى وقف اعمال العنف

والارهاب والتدمير والحيلولة دون وصول مسلحين و قوات غير نظامية الى البلاد ووقف استيراد الاسلحة ، والتوقف عن أى نشاط سياسى حتى تتم اعادة النظر فى مستقبل البلاد السياسى والتعاون مع السلطات البريطانية المنتدبة في الحفاظ على القانون والنظام وفى تمكينها من أداء الخدمات اللازمة للاهلين فى البلاد » .

وفى اليوم الثالث والعشرين من نفس الشهر أتخذ المجلس قرارا بتأليف لجنة للهدنة بفلسطين تضم قناصل الدول الاعضاء فى المجلس ، على ان يكون مركزها فى القدس ، وقد اعتذرت سوريا ، وكانت يومئذ عضوا بالمجلس ، عن القيام بهذه المهمة . وطلب من هذه اللجنة ان تقدم تقريرا لرئيس المجلس فى غضون اربعة ايام .

وفى اليوم السادس والعشرين من نفس الشهر اتخذت الجمعية العامة قرارا بتكليف مجلس الوصاية أن يتخذ الاجراءات المناسبة ، بالتشاور مع حكومة الانتداب ، والفرقاء المعنيين ، لحماية مدينة القدس ، وسكانها ، ثم يتقدم بتقرير لمجلس الامن ، فى أقرب فرصة ممكنة .

ثم حل اليوم الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ فأنهت فيه بريطانيا انتدابها على فلسطين ، وأعلنت فيه دولة اسرائيل قيامها رسميا ، واختتمت الجمعية العامة دورتها الاستثنائية ، وأعلنت الولايات المتحدة على لسان رئيسها ترومان ، اعترافها بقيام دولة اسرائيل على الجزء الذى يخصها ، حسب قرار التقسيم ، من أرض

فلسطين . وهذه المبادرة بالاعتراف بدولة اسرائيل من جانب الولايات المتحدة هى من الدلائل على ان امريكا لم تكن الا مراوغة حين ادعت انها تفكر فى الاقلاع عن تأييد القرار الذى اتخذ بالتقسيم ، واتجهت نحو الوصاية الدولية على فلسطين مؤقتا . وأغلب الظن ان غرض المراوغة هو فرض الهدنة بين العرب واليهود ، كما قلنا آنفا ، ثم اتاحة الفرصة لعامل الزمن ليعمل فى اعداد اليهود ليقوموا بالدور المطلوب اليهم القيام به فى وجه العنف العربى . وقد كان اليهود منظمين وكانوا مسلحين ، ولكنهم أزدادوا بمساعدة بريطانيا ، وبمساعدة أمريكا، تنظيما وتسليحا ، واستعدوا اليوم يفرضون فيه وجودهم بعد جلاء قوات الانتداب .

ومهما يكن من الامر ، فأن الجمعية العامة لم تختتم دورتها الاستثنائية تلك فى اليوم الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ الا بعد أن أتخذت قرارا يقضى بتأكيد الهدنة ، وبتعيين وسيط للامم المتحدة (أسند أمر اختياره الى لجنة مكونة من الدول الخمس الكبرى فى مجلس الامن) تكون مهمته الاساسية تأمين الخدمات المشتركة فى فلسطين ، وضمان حماية الاماكن المقدسة ، وايجاد وضع سلمى فى البلاد . وقد وقع اختيار اللجنة المذكورة هذه على الكونت فولكه برنادوت رئيس جمعية الصليب الاحمر السويدى ليتولى دور الوسيط .

الحرب بين العرب واليهود

وفى اليوم التالى ، وهو الخامس عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨

دخلت الجيوش العربية الى أرض فلسطين ، ودارت معارك ، ووقع قتال ، وكان العرب من أهل المدن التى احتلها اليهود ، أو التى تعرضت لخطر احتلالهم « قد خرجوا منها ، هائمين على وجوههم ينشدون الامان فى الدول العربية المجاورة ، وقد خلفوا كل شىء وراءهم ، من الهلع والفزع بعد ان رأوا ما حاق بأخوانهم من فظائع الصهيونيين ، وارهابهم فى اماكن كدير ياسين وصلاح الدين وغيرهما » ومن هؤلاء تشكلت جمهرة اللاجئين الذين لا يزالون الى يوم الناس هذا يهيمون على وجوههم فى أرض الله ، ويبلغ عددهم المليون بل يزيدون . ويقطنون الخيام ، فكأنهم يمثلون الدور الذى مثله ، من قبل ، بنو اسرائيل ، في تيه سيناء ، فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ولكنهم بلا من ، ولا سلوى . وانما هم يعيشون على ما تجود به عليهم اريحية دول المنظمة العالمية ، تحت اشراف وكالة الاغاثة الدولية .

على كل حال فان القتال استمر بين الجيوش العربية واليهود ، وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو اتخذ مجلس الامن قرارا بدعوة جميع الدول المعنية الى التوقف عن الاعمال الحربية في ظرف ست وثلاثين ساعة ، ولكن أحدا لم يستجب ، فعاد المجلس ثانية ، واتخذ فى التاسع والعشرين قرارا ثانيا بأعلان الهدنة المؤقتة فى فلسطين ، لمدة اربعة اسابيع « على ان يراعى فى هذه الفترة الحفاظ على الوضع العسكرى الراهن عند اعلانها بالنسبة الى القوات والسلاح . وان يقوم الوسيط الدولى ، بمساعدة مراقبين يعينون لهذه الغاية ، بالاشراف على تطبيق الهدنة واحترام نصوصها ، وهدد المجلس بأتخاذ

الأجراءات التى ينص عليها الفصل السابع فى ميثاق الامم المتحدة » .

فاستجابت اسرائيل والعرب لنداء وأعلنت الهدنة فى اليوم الحادى عشر من شهر يونيو . وبالطبع قد كانت هذه الهدنة فى مصلحة اسرائيل . فانها استطاعت أثناءها ، بعد أن عرفت قوة الجيوش العربية المحدقة بها ، ان تأخذ للامر أهبته فى حالة عودة القتال من جديد ، وليس هناك شك في أنها استطاعت ، بمساعدة أصدقائها ، ن تسد النقص فى سلاحها ، رغم الرقابة المفروضة على دخول الاسلحة

وفى اليوم السابع من يوليو ، وقبل انتهاء الهدنة بيومين أثنين ، اتخذ مجلس الامن قرارا جديدا يطلب فيه من الفرقاء المختصين تمديد الهدنة ، بصورة مبدئية ، الى أى مدى قد يتم الاتفاق عليه بالتشاور مع الوسيط الدولى ، ولكن الدول العربية لم تستجب لهذا القرار ، فاستؤنف القتال فى اليوم التاسع من يوليو عام ١٩٤٨ ولكن الدائرة بدأت تدور على العرب ، وتقدمت اسرائيل ، وأخذت تحتل عددا من المناطق الخارجة عن الرقعة التى كانت مخصصة لها حسب قرار التقسيم .

الهدنة

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليو اجتمع مجلس الامن واصدر قرارا فرض فيه الهدنة بموجب المادة السابعة من الميثاق ، وامر جميع الحكومات والسلطات المعنية ، بوقف العمليات الحربية ، ووقف اطلاق النار فورا . وأعلن المجلس فى قراره ان رفض الاذعان لهذا الامر يعتبر خرقا للسلام ، وسيوجب ردعا فوريا للمعتدى ،

على مقتضى الاجراءات التى نص عليها الميثاق .

وفى نفس الشهر اصدر المجلس قرارا آخر أبلغه للدول المعنية ، وهو ينص على ان كل خرق للهدنة ، من قبل الافراد ، أو الجماعات ، من نظامية ، أو غير نظامية ، سيعتبر خرقا من الدول التى ينتمى اليها هؤلاء الافراد ، أو الجماعات ، أو يعملون من ارضها .

وفى اليوم السابع عشر من شهر سبتمبر ، وفى الجزء التابع لاسرائيل من مدينة القدس ، أطلقت النار على وسيط هيئة الامم المتحدة الكونت برنادوت ، وعلى رئيس المراقبين الفرنسيين العقيد أندريه سيرو فقتلا فى الحال ، واتخذ المجلس فى اليوم التالى قرارا أعرب فيه عن أسفه لهذا الحادث ، وانتدب الدكتور رالف بونش ليقوم بأعمال الوسيط وكان الدكتور رالف بونش من رجال الامانة العامة للامم المتحدة، ولا يزال . وفى النصف الثانى من شهر أكتوبر استؤنف القتال في منطقة النقب على أثر عدوان من جانب اسرائيل ، واستمر الى فترة ثم توقف فى شهر ديسمبر بعد عدة قرارات اتخذها مجلس الامن دعا فيها اسرائيل ومصر الى اصدار الامر بوقف اطلاق النار ، والتوصل الى اتفاق . وفى هذا الوقت كانت اسرائيل قد احتلت قسما كبيرا من الاراضى العربية التى أفردها مشروع التقسيم الاصلى للعرب مثل الجليل الغربى والنقب ، وتمت الهدنة والامر على ما هو عليه ، وقد سوغت اسرائيل هذه الارض العربية . فقد جرت مفاوضات الهدنة بين مصر واسرائيل فى رودس وقد تم توقيع شروطها بينهما فى الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٤٩ . ثم فى راس النافورة ،

وفى الثالث والعشرين من شهر مارس من تلك السنة ، تم التوقيع على شروط الهدنة بين اسرائيل ولبنان ، ثم الاردن مع اسرائيل فى رودس في اليوم الثالث من ابريل ، وقد تمكنت اسرائيل ، بموجب اتفاق هذه الهدنة مع الاردن ، من الحصول على نحو من اربعمائة كيلو متر مربع من أخصب الاراضى العربية ، وأجودها ، وتضم فوق ذلك بعض المواقع الاستراتيجية التى كانت تهدد كيان اسرائيل • ثم فى العشرين من يونيو تم التوقيع على شروط الهدنة بين سوريا واسرائيل ، وذلك على الحدود بينهما • ثم ان مصر تسلمت قطاع غزه ، وتحركت الاردن فى فلسطين الشرقية ، حتى وصلت الى القدس ، وكانت اسرائيل تحتفظ بجزء من هذا الاقليم • ومن يومئذ رسخت الهدنة الا قليلا •

مشكلة اللاجئين

وبعد ذلك عادت قضية فلسطين الى الظهور من جديد فى جدول أعمال الدورة الثالثة للامم المتحدة التى احالتها الى لجنتها السياسية الخاصة • وكانت قضية اللاجئين هى محور الاهتمام هذه المرة • وبوصول القضية الى هذه المرحلة أصبح قيام دولة اسرائيل أمرا واقعا ، وأصبحت القضية الفلسطينية ، فى اطارها الاصلى ، قضية مجمدة فى المنظمة العالمية • وقد ظهر ذلك بوضوح فى الاعوام التى تلت هذه المرحلة ، حيث لم تعد قضية فلسطين متمثلة فى شىء غير قضية اللاجئين • ومهما يكن من شىء فان الجمعية العامة في اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر قد اتخذت قرارا بتأسيس وكالة دولية

لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، وتعيين مدير عام لهـا ، وانشـاء صندوق خاص بها لجمع التبرعات لاعمـال الاغاثة • وكان هـذا القـرار من الجمعية العـامة اسـتجابة لتوصية للكونت برنادوت تركها فى آخـر تقرير له أعده قبيـل وفاته ، وكانت تتعاون ، مع هذه الوكالة ، فى أعمال أغاثة نحو نصف مليـون لاجىء ، منظمة الصحة الدوليـة ، ومنظمة الزراعة الدولية ، ومنظمة اللاجئين الدوليـة ، وصـندوق الطوارىء الدولى للاطفال • بالاضافة الى غير هذه من المنظمات والوكالات الدولية ، كل يسهم بنصيبه ، وفى ميـدانه ، من تقديم المؤن ، والخبرة الفنية ، والخدمات الاخرى •

لجنة التوفيق الدولية :

وفى اليـوم الحادى عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨ اتخـذت الجمعية العامة قرارا يعتبر الثانى فى الاهمية بعد قرار التقسيم الاصلى ، الذى أسلفنا الحـديث عنه فى شىء من التفصيل ، وأهمية هذا القـرار تجىء من كونه تنـاول مواضيع فى مقـدمتها قضـية عودة اللاجئين ، وتعويضهم ، وتأليف لجنة التوفيق الفلسطينية وصلاحياتها • وقد تضمن هذا القرار ، بعد الديباجة ، خمس عشرة مادة •• ونحن نرجـع فى تلخيصها الى كتـاب « قضايانا فى الامم المتحدة » لمؤلفه خيرى حماد : يقول الاسـتاذ خيرى حمـاد من صفحات ١٧٧ ، ١٧٨ و ١٧٩ : ــ

« المادة الثانية : تقرر الجمعية العامة تأليف لجنة دولية للتوفيق من ثلاثة أعضاء تقوم بالمهام التالية : ــ

١ ــ تتـولى وفق ما تراه ضروريا بالنسبة الى الظروف الراهنة

المهام التى أنيطت بوسيط الامم المتحدة بموجب القرار ١٨٦ (2S) الصادر فى ١٤ آيار « مايو » ١٩٤٨

ب ــ تقوم بتنفيذ جميع المهام المعينة والتوجيهات التى قد تصدر اليها من الجمعية العامة او مجلس الامن .

ج ــ تتولى بطلب من مجلس الامن أيا من الواجبات المسندة حاليا الى وسيط الامم المتحدة ، او الى لجنة مراقبة الهدنة، بموجب قرارات المجلس السابقة . وفى حالة انتقال جميع مهام الوسيط الدولى اليها يلغى هذا المنصب . (وقد نصت المادة الثالثة على ان يقوم الاعضاء الدائمون الخمسة باختيار أعضاء لجنة التوفيق ، فتم اختيارهم ليمثلوا فرنسا وتركيا والولايات المتحدة فى نفس اليوم)

المادة الخامسة ــ تطلب من جميع الحكومات والسلطات المعنية (بعد ان طلبت المادة الرابعة من اللجنة ان تبدأ اتصالاتها فورا بالفرقاء المعنيين) ان توسع من مجال المفاوضات التى نص عليها قرار مجلس الامن فى السادس عشر من تشرين الثانى (نوفمبر) للوصول الى اتفاق ، عن طريق مفاوضات تجرى ، اما بواسطة لجنة التوفيق ، أو مباشرة ، مستهدفا التسوية النهائية لجميع القضايا المعلقة بينها .

المادة السابعة : تقرر وجوب حماية جميع الاماكن المقدسة وبينها الناصرة ، والابنية والمواقع الدينية فى فلسطين ، وتؤمن لها حرية المرور طبقا للحقوق الراهنة ، والاعراف التاريخية ، وتكون الترتيبات المحققة لهذه الغاية تحت اشراف الامم المتحدة الفعال ، وتطلب الى

اللجنة ان تقدم الى الدورة العادية الرابعة للجمعية العامة اقتراحاتها التفصيلية لاقامة نظام دولى دائم لمنطقة القدس ، على ان تتضمن هذه الاقتراحات التوصيات المتعلقة بالاماكن المقدسة فى تلك المنطقة ، اما بالنسبة الى الاماكن المقدسة فيما تبقى من فلسطين ، فتطلب اللجنة الى السلطات السياسية فى المناطق المعينة لتقديم الضمانات الرسمية اللازمة لحماية الاماكن المقدسة والمرور اليها ، على ان تقدم هذه التعهدات الى الجمعية العامة للمصادقة عليها .

(ونصت المادة الثامنة على تحديد منطقة القدس حسب قرار التقسيم وعلى وضعها تحت اشراف الهيئة الدولية مباشرة ، كما نصت المادة التاسعة على السماح بحرية المرور لجميع سكان فلسطين الى الاماكن المقدسة فى الفترة التى ستنقضى قبل الوصول الى الاتفاقات النهائية ، ونصت المادة العاشرة على تسهيل التطور الاقتصادى للمنطقة واتخاذ الاجراءات لاستخدام الموانىء ، والمطارات ، ووسائل النقل والمواصلات) .

المادة الحادية عشرة ـ تقرر الجمعية العامة ان من الواجب السماح للاجئين الراغبين فى العودة الى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم بهذه العودة فى أقرب موعد عملى ، وان يدفع التعويض عن الاملاك بالنسبة الى أولئك الذين يختارون عدم العودة ، وعما لحق بالممتلكات من ضياع او ضرر ، طبقا لمبادىء القانون الدولى ومبادىء العدالة او اصلاحها من قبل الحكومات والسلطات المسئولة .

وتوعز الى لجنة التوفيق بتسهيل العودة والاستيطان واعاده الكيان الاقتصادى والاجتماعى بالنسبة الى اللاجئين ودفع التعويضات ، والحفاظ على امتن الصلات مع مدير وكالة الاغاثة ، وعن طريقه مع أجهزة الامم المتحدة المناسبة ووكالاتها • (وتنص المادة الثانية عشرة على تخويل لجنة التوفيق الدولية صلاحية تعيين الهيئات الفرعية وتوظيف الخبراء الفنيين الذين يعملون تحت اشرافها لتمكينها من أداء واجباتها) •

المادة الرابعة عشرة ــ تدعو جميع الحكومات والسلطات المعنية الى التعاون مع لجنة التوفيق واتخاذ جميع الخطوات اللازمة للمساعدة فى تنفيذ هذا القرار » •

ولم ينفذ من هذا القرار شيء ، كما لم ينفذ من قرار التقسيم شيء ، وانما كان فرصة سانحة لنقل قضية فلسطين ، كما آ لمفنا بذلك القول ، من اطارها الاصيل الى ان تظهر وكأنها قضية لاجئين • وبذلك رسخت أقدام اسرائيل • وقداتخذت الجمعية العامة فى اليوم الحادى عشر من شهر مايو عام ١٩٤٩ قرارا يقضى بقبول اسرائيل فى عضوية الامم المتحدة (وينص القرار فى ديباجته على ان اسرائيل قد تعهدت باحترام التزاماتها تجاه ميثاق الامم المتحدة منذ قيامها أى فى الرابع عشر من آيار (مايو) عام ١٩٤٨ كما ينص على التذكير بقرارى ٢٩ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٤٧ « قرار التقسيم » والحادى عشر من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٨ (قرار اعادة اللاجئين) وهكذا أصبحت اسرائيل عضوا فى النادى الدولى •

الفصـــل السادس

ترسيخ قواعد اسرائيل

في ليلة الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ أعلنت دولة اسرائيل قيامها فى الجـزء الذى خصصه لهاقرار التقسيم من ارض فلسـطين ، ولم يمض على هذا الاعـــلان الادقائق قلائل حتى ابتدرت الولايات المتحـدة الاعتراف بها ، وتابعها فىذلك معظم الـدول ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، ومنيومئذ أصبح كل وقت يمر ، وكل عمل يعمل ، سـواء كان من جانب المقاومة العـــربية ، أو من جانب المساعدة الغربية ، يساعد فى ترسيخقواعد دولة اسرائيـــل فى ارض فلسطين ..

كل اشتباك تم بين العـرب واسرائيل لا يكاد يبدأ حتى يتوقف، ويتوقف بتدخـل من مجلس الامنيصادف ترددا من العرب ، وضعفا ، وميلا الى الهدنة . وكل اشـتباكيتوقف يقوى اسرائيـل . فلكأنه يكون لها بمثابة المبيد الذى يعطىفى مقادير أقل من الجرعة القاتلة فهو يقوى ولا يقتل ، ويعطى منـاعة ،فوق ذلك .. وكل هدنة تعقب أى اشتباك تستثمرها اسرائيل فى زيادةالتدريب ، وزيادة التسليح ، وزيادة استدرار العطف الانسانى العـام ،ويبددها العرب في التنابز بالالقاب ، وفى توزيع الاتهامات بينهم ، ثم انبقى وقت سـعى بعض عقـلائهم فاقترح ايقاف الشتائم ، من أجـلضم الصف العـربى ... فاذا تم

اشتباك جديد بخرق الهدنة من جانب اسرائيل ، وهو أمر كثيرا ما يحدث ، او من جانب العرب ، تقدمت اسرائيل فى ارض جديدة من أرض العرب . وعندما يتوقف القتال ، بعد زمن قصير فى العادة ، تكون اسرائيل قد وقفت فوق الارض الجديدة التى اكتسبتها فى آخر جوله .. وهذه صورة تطردولا تتخلف ، حتى بلغت مداها فى الحرب المشئومة الاخيرة .. وحتى أصبح العرب يتحدثون طوال وقتهم عن ازالة آثار العدوان ، بجلاء قوات اسرائيل عن أرض العرب ، وقد أصبح الآن بينهم وبين قضية فلسطين ، في اطارها الحقيقى مرحلتان : مرحلة ازالة آثار العدوان ، ثم مرحلة اللاجئين ، الذين ظلوا ، لمدة طويلة ، هم المظهر الوحيد الذى يطالع العالم من قضية فلسطين ، كما أسلفنا القول فى ذلك ..

أما قضية فلسطين المتمثلة فى وجود اسرائيل فى ارض فلسطين ، كما كانت فى اول عهدها ، فذلك أمر قد غاب حتى عن أذهان العرب حين تبدهم الحقائق فتخرجهم عن احلام اليقظة .. والدليل على هذا القول يلتمس فى ان العرب اليوم ينتظرون الحل السياسى من مجلس الامن تارة ، ومن الجمعية العامة تارة آخرى ، وفى الجمعية العامة فان دولة اسرائيل عضو ، مثلها فى ذلك مثل أى واحدة من الدول العربية ، وقد ختمنا الفصل الخامس من هذا الكتاب بالقرار الذى اتخذته الجمعية العامة بقبول اسرائيل فى العضوية ، بعد عام واحد من قيامها ، وفي ذلك القرار تذكير « بقرار التقسيم » و « قرار اعادة اللاجئين » .. وفى لحق ان

كل قرارات مجلس الامن منذ ذلك اليوم الذى اتخذ فيه قرار التقسيم كانت ترمى الى ترسيخ قواعد دولةاسرائيل .. ففى اليوم الحادى عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٤٩ ، أى بعد ثلاثة أشهر من قرار قبول اسرائيل فى هيئة الامم ، أتخذ المجلس قرارا يقضى « بحث الفرقاء المعنيين على التفاوض لتحقيق تسوية نهائية للصلح ، اما مباشرة ، أو عن طريق لجنة التوفيق » . فالحديث عن المفاوضة المباشرة التى تتحدث عنها اسرائيل فى هذه الايام ليس جديدا وانما هو شطر من قرار صدر منذ ما يقرب من العشرين عاما .

ثم أصدر مجلس الامن قرارا فى اليوم الثامن من ديسمبر عام ١٩٤٩ ، وهو ينص على « اقامة وكالة للامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، مع ايجادمجلس استشارى لها ، يتولى تقديم المشورة الى المدير العام للوكالة . ونص القرار على ان مهمة الوكالة القيام بأعمال اغاثة اللاجئين واعداد المشاريع لتشغيلهم بالتعاون مع الحكومات المحلية ، كما طلب من المدير العام تقديم تقارير سنوية الى الجمعية العامة » فكأن هذاالقرار يرمى الى امتصاص اللاجئين فى المواطن التى يكونون بها بعدان ظهر واضحا العجز عن اعادتهم الى وطنهم وتعويضهم عن ممتلكاتهم مع ان قرارا قد اتخذ بذلك . وفى الاتجاه الى تشغيل اللاجئين « بالتعاون مع الحكومات المحلية » بالطبع مساعدة لاسرائيل التى أصبحت ترفض الاذعان لقرار الاعادة هذا . وتربط بين الاعادة والحل النهائى المشكلة ..

يحدثنا السيد خيرى حماد من كتابه « قضايانا فى الامم المتحدة » عن هذا الامر فيقول « تألفت لجنة التوفيق الدولية منذ عام ١٩٤٨ ، وقد لجأت منذ انشائها الى كل ما وسعها من سبل ، وان كنت أشك فى صدقها ، لتحقيق قرارات الامم المتحدة ، وقد بدأت عقد جلساتها فى آذار (مارس) عام ١٩٤٩ فاستمعت الى ممثلى اللاجئين والى مندوبى الدول العربية ، ثم سافرت الى تل أبيب حيث اجتمعت الى السلطات الاسرائيلية ، وانتقلت بعد ذلك الى لوزان حيث طلبت الى الفرقاء المعنيين ايفاد ممثليهم اليها للشروع فى المفاوضات • وتم التوقيع فى ١٢ آيار (مايو) عام ١٩٤٩ على « بروتوكول لوزان » الذى اتخذ من قرار التقسيم قاعدة للمباحثات ، وبين ان غرضه الوصول ، فى أسرع وقت ممكن ، الى الاهداف التى حددها قرار الحادى عشر من كانون الاول عام ١٩٤٨ بالنسبة الى اللاجئين واحترام حقوقهم والحفاظ على ممتلكاتهم •

وقد وقعت اسرائيل على هذا البروتوكول ولكنها ما لبثت ان تنكرت لتوقيعها ورفضت اعادة اللاجئين فمنى المؤتمر بالفشل •

« وعادت اللجنة الى الاجتماع فى نيويورك فى صيف العام نفسه ، واتصلت بالوفود العربية ووفد اسرائيل ، ولكن المحادثات منيت بالفشل أيضا ، بسبب اصرار اسرائيل على موقفها من عودة اللاجئين •

« وانتقلت اللجنة الى جنيف ، حيث دعت الفرقاء المعنيين الى

الاجتماع بها من جديد ، واستمرت المحادثات طيلة صيف عام ١٩٥٠ دون ان تسفر عن نتيجة .

وارتحلت الى ليك سكسس فى خريف العام نفسه ، واتصلت بالوفود العربية ووفد اسرائيل ، ولكن المحادثات لم تكلل بالنجاح ، بسبب اصرار اسرائيل على موقفها .

« وقامت بمحاولتها الاخيرة فى باريس ، فعقدت اجتماعات فى شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٥١ استمرت اكثر من شهرين ولكن دون جدوى ، بسبب تعنت اسرائيل ، فرفعت فى نهاية العام نفسه تقريرا الى الجمعية العامة هو العاشر من نوعه ، وأعربت فيه عن اعتقادها بان الفريقين لا يرغبان في تثبيت دعائم الاستقرار فى فلسطين عن طريق تنفيذ مقررات الجمعية العامة تنفيذا كاملا ، وأعربت عن تعذر مضيها فى عملها . وأكدت فى ختام تقريرها انها لم تستطع احراز أى تقدم فى أداء المهمة التى عهدت الجمعية العامة اليها بالقيام بها » .

ويحدثنا في ذلك المستر هارولد كروسلاندر فى كتابه « الامم المتحدة » ترجمة الاستاذ عبد الفتاح المنياوى فى الصفحة ٢٤٠ فيقول « وقد ظلت الامم المتحدة ، عاجزة عن الجمع بين الطرفين فى سبيل الوصول الى اتفاق دائم بينهما . وكانت اسرائيل تعبر عن رغبتها فى ان تتفاوض في سبيل الوصول الى اتفاقية نهائية تقر السلم ، ولكن الدول العربية ظلت تنكر وضع دولة اسرائيل من الناحية القانونية ، كما كانت تطالب دائما بعودة اللاجئين الى بلادهم وبتعويضهم كشرط

أساسى قبل الوصول الى أى اتفاق. ولكن اسرائيل من جانبها ظلت تعارض دائما فى امكان السماح بعودة العرب الى وطنهم ، عودة شاملة على أساس أن اجراء كهذا سوف يهدد كيانها وامنها وسلامتها ، على الرغم من انها فى الوقت نفسه كانت تشجع حركة هجرة اليهود على الدوام من أوروبا وامريكا والشرق الاوسط »

ارجو ان يتأمل القارىء عبارات « وكانت اسرائيل تعبر عن رغبتها فى ان تتفاوض فى سبيل الوصول الى اتفاقية نهائية تقر السلم ، ولكن الدول العربية ظلت تنكر وضع دولة اسرائيل من الناحية القانونية ، كما كانت تطالب دائما بعودة اللاجئين الى بلادهم وبتعويضهم كشرط أساسى قبل الوصول الى أى اتفاق . ولكن اسرائيل من جانبها ظلت تعارض دائما في امكان السماح بعودة العرب الى وطنهم ، عودة شاملة على أساس ان اجراء كهذا سوف يهدد كيانها وامنها وسلامتها » .

فكأن اسرائيل تدعو الى التفاوض ، وهو لغة العصر والعرب يرفضونه ، واسرائيل تدعو الى السلم وهو لغة العصر وحلمه ، والعرب يرفضونه . حجتهم فى الرفض ؟ انكارهم « وضع دولة اسرائيل من الناحية القانونية » فأى قانون يعنون ؟ أهو القانون الدولى الذى تقوم عليه دول عالم اليوم ، أم هل هو قانون آخر تناهضه جميع هذه الدول ؟ فان كانت الاولى فان جميع دول عالم اليوم ، حتى أصدقاء العرب ، ليسوا ضد بقاء اسرائيل كدولة ، وهم جميعا يؤيدون ، ويؤكدون ، « حق كل دولة فى الحياة بسلام ، وامن ، واحترام سيادتها ،ووحدة أراضيها »

ولا يستثنون من ذلك دولة اسرائيل . وان كانت الثانية فان تطبيق هذا القانون الذى يعطيهم حق محو دولة اسرائيل من الوجود فى ارض فلسطين يتطلب وضع القوة بازاء دول العالم لا بازاء اسرائيل وحدها . والعرب عاجزون عن ابداء هذه القوة ، بدليل أنهم انهزموا ثلاث مرات ، فى ثلاثة حروب ، وبدليل انهم اليوم يسعون الى الحل السياسى بين مجلس الامن، والجمعية العامة .. فهم اذن بموقفهم هذا لا يزيدون على ان يظهروا بين دول العالم بمظهر ، الجهل ، وعدم المعقولية ، وقلة التفكير ، مما يزيد فى ترسيخ اقدام اسرائيل .. وقد فعل ..

ثم هم مع موقفهم هذا يطالبون « بعودة اللاجئين وبتعويضهم ، كشرط أساسى قبل الوصول الى أى اتفاق » وترفض اسرائيل اعادة اللاجئين الى بلادهم قبل تسوية السلم بدعوى انهم قد يكونون « طابورا خامسا » يعمل على تهديد سلامها من الداخل ، ما دامت البلاد العربية فى حالة حرب معها .. وهكذا تظهر اسرائيل بمظهر التعقل، وتقول كلاما يفهمه الناس . وينفرد العرب بموقف الجهالة والبعد عن المعقول .. وهم بذلك يزيدون من ترسيخ أقدام دولة اسرائيل

وفى مؤتمر القمة الذى جمع زعماء العرب بالخرطوم ، فى اوائل شهر سبتمبر من هذا العام ، اتخذ قرار يقول « ثالثا ، اتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم فى العمل السياسى ، على الصعيد الدولى ، والدبلوماسى ، لازالة آثار العدوان ، وتأمين انسحاب

القوات الاسرائيلية المعتدية من الاراضى العربية المحتلة ، بعد عدوان ٥ يونيو ، وذلك فى نطاق المبادىء الاساسية التى تلتزم بها الدول العربية ، وهى : عدم الصلح مع اسرائيل ، أو الاعتراف بها ، وعدم التفاوض معها . والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه » .

وهذا القرار وحده يكفى لدمغ الزعامات العربية بالجهل بصورة لا رجعة فيها .. فهم يتحدثون عن الحل السياسى والدبلوماسى على الصعيد الدولى ، ويعلنون ، فى نفس الوقت ، عدم الصلح مع اسرائيل . فكأنهم يريدون ان يقولوا لدول العالم فى المنظمة العالمية : نريد منكم أن تساندونا فى مطالبة اسرائيل لتجلو عن ارضنا ، التى احتلتها فى حرب ٥ يونيو ، وترجع الى مواقعها قبل تلك الحرب ، ثم تنتظرنا هناك ريثما نجمع قواتنا بالصورة الكافية ، التى تمكننا من أن نرمى بها فى البحر .

بمثل هذا التفكير عجز العرب عن ان يصلوا الى حل عسكرى ، وعن ان يصلوا الى حل دبلوماسى .. واسوأ من ذلك .. ظهروا فى نظر العالم بمظهر الداعى الى الحرب ، ومكنوا لاسرائيل من ان تظهر بمظهر الداعى الى السلام ، هذا مع انها تحسن الحرب اكثر مما يحسنونها ، وقد استفادت منها دائما ، وخسروا فيها دائما .

وهذا التفكير ، أو قل عدم التفكير ، من جانب العرب زاد فى ترسيخ أقدام دولة اسرائيل ، أكثر من أى عمل آخر ، قامت به اسرائيل لنفسها ، أو قام به لها أصدقاؤها فى أنحاء العالم .

دولة اسرائيل قديمة

فاذا كانت جميع العوامل تعمل لترسيخ قواعد اسرائيل ، حتى العرب ، كما بينا آنفا ، فانما ذلك لان دولة اسرائيل قديمة • وقيامها يوم ١٤ مايو من عام ١٩٤٨ لم يكن يؤرخ بدايتها ، وانما يؤرخ عودتها ، فى صورة حديثة ، فى العهد الحديث •• وهى عودة سخرت الاستعمار لخدمتها ، ولم يسخرها الاستعمار ، الا حيث التقت مصالحها بمصالحه • ولقد عملت على قيامها عصبة الامم الماضية ، على مستوى ما •• وعملت على قيامها هيئة الامم الحاضرة على مستوى امنها ورسخها •• ووعد بلفور لم يعطها حقها فى الظهور وانما نظم حقها فى ذلك الظهور •

والحركة الصهيونية ، المتمثلة فى دولة اسرائيل ، لم تنشأ فى أواخر القرن التاسع عشر ، وانما اتخذت لها شكلا تنظيميا ، حديثا ، فى ذلك الوقت • ولقد تفرق اليهود ، لآخر مرة فى عام ١٣٤ م ، في وجه الارض ، وانتهوا ، كأمة ذات سيادة ، في ارض فلسطين • ولكنهم عادوا الآن لان دولة اسرائيل ظلت قائمة فى قلوبهم ، وعقولهم ، طوال هذا المدى الذى ينيف على الثمانية عشر قرنا • ولقد تعرض اليهود للتشريد ، والسبى ، والاضطهاد ، مدى يقرب من اربعة آلاف سنة فكانوا دائما يعتصمون بعنصريتهم ، وبدينهم ويحلمون بالعودة الى ارض المعاد ، وكانوا ، كلما نقضت سلطة دولتهم فى أرض فلسطين ، يسعون الى العودة ، والى اعادة انشاء تلك الدولة • ولقد استقرأنا هذا التاريخ بصورة

موجزة ولكنها ، فى حد ذاتها، كافية تعطى صورة واضحة عن هذه المثابرة ، وهذا الاصرار ، وهذه المقومة العجيبه من هذا الشعب العجيب .

ولقد أوردنا من المزامير هذه الابيات : —

« هناك ، على انهار بابل جلسنا ، وبكينا عندما تذكرناك يا صهيون .

وعلى أشجار الصفصاف علقنا أعوادنا ، بعد ان طلب منا الذين سبونا ان نغنى لهم أغنية من أغانى صهيون .

كيف نغنى أغنية الرب فى ارض غريبة ؟

شلت يمينى ان نسيتك يا أورشليم .

ليلتصق لسانى بحلقى ان لم أذكرك يا اورشليم ، وان لم افضلك على أعظم أفراحى . »

فهم يسمون القدس صهيون ، ويسمونها الارض الموعودة ، ومنها كلمة « الصهيونية » وهى تعنى نداء الماضى للعودة الى القدس.

فان كان هذا كله لايعنى عندنا نحن العرب شيئا ، وان كانت دولة اسرائيل التى قامت فى أرض فلسطين منذ عشرين سنة لا يطيب لنا الا ان نسميها « دولة العصابات الصهيونية » أو « دولة شذاذ الافاق » أو « دويلة اسرائيل » أو « اسرائيل المزعومة » الى آخر هذه الاسماء التى لايحسن حملة الاقلام، ورجال الاعلام عندنا اكثر منها ، فأن هذا أمر مؤسف غاية الاسف . وهو لم يضر دولة اسرائيل ، وانما نفعها ، وثبت أركانها ، واضر بنا نحن العرب، أبلغ الضرر .

الاعتراف باسرائيل من مصلحة العرب

كان ، ولا يزال ، اعتراف العرب باسرائيل ، بالنسبة لاسرائيل أعز امانيها ، لانه يوفر عليها حالة الخوف ، والتوتر ، والقلق ، التى ارقت لياليها ، وشغلت أيامها ، كما يوفر عليها الجهد والمال ، وهى فى سبيل هذا الاعتراف يمكن ان تساوم الى حدود بعيدة لا تقف عند حد اعادة اللاجئين الى ديارهم ، وتعويضهم عن ممتلكاتهم ، ولا عند حد الجلاء عن الارض العربية التى احتلتها فى ٥ يونيو ، وانما تذهب الى الرجوع الى الحدود التى بينها قرار التقسيم الاصلى الذى اتخذته الامم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ • وهى حدود قد تخطتها اسرائيل ، وتوسعت عليها عقب كل معركة من المعارك التى نشبت بينها وبين العرب منذ ١٥ مايو عام ١٩٤٨ • ولكن العرب يرفضون هذا الاعتراف بدولة اسرائيل،وهم ، ان اردت الدقة ، لا يرفضونه الا شكلا ،و لا يرفضونه الا قولا •• ولكنهم ، مضمونا ، وعملا ، لا يرفضونه • وهذا من أشد الامور مدعاة للاسف، وهو فى نفس الوقت من أدل الدلائل على جهل القيادات العربية ، وقلة حنكتها ، ذلك بأن اسرائيل فى فترة الاصرار على عدم الاعتراف بها قد تقوت ولا تزال تتقوى ، عسكريا ، وسياسيا ، ودبلوماسيا ، واقتصاديا، وبشريا • ثم هى ستنال الاعتراف الكامل بها بعد ان تفرضه وبعد ان يكون العرب كما هو واضح الآن ، قد قدموه على أقساط ، وبعد ان يكون على ذلك قد فقد قيمة المساومة التى كان ولا يزال يحظى

بها .. فكأن اسرائيل ستحرز اعتراف العرب بها بدون ان يقبض العرب من اسرائيل ثمن هذا الاعتراف . ورفض العرب الاعتراف باسرائيل يقوم على كبرياء زائف !! كيف يجلسون ليتفاوضوا ، على مائدة واحدة ، مع من أغتصب أرضهم ؟؟

هل سمعتم آخر الاخبار ؟ اذن فاسمعوا !! صرح الملك حسين في واشنطون انه متفق مع الرئيس جمال عبد الناصر على ان العرب مستعدون لينهوا حالة الحرب مع اسرائيل ، وان يعترفوا لها بحقها فى المرور البرىء بكل من خليج العقبة ، وقناة السويس ، ومن الدلائل على صدق ما نسب للملك حسين كونه يستقيم مع ما صرح به ، قبل حين ، الزعيم العمالى البريطانى السير دنقل فوت ونشرته صحيفة الاوبزيرفر اللندنية ، ونشرت ترجمته صحيفة الايام بعددها الصادر يوم الثلاثاء ١٧/١٠/١٩٦٧ وكان تصريح السير دنقل فوت عبارة عن مقال بعنوان (ناصر قال لى) وقد جاء فيه قوله : « ان الرئيس عبد الناصر مستعد للشروع فى محادثات بين مصر واسرائيل تحت رياسة الامم المتحدة حتى قبل انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء .. وهذا ما يمكن ان يجرى ـ حسب اقتراح الرئيس ناصر ـ ضمن هيكل اتفاقية الهدنة ١٩٤٩ .

« وهو ايضا مستعد لقبول نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل .. ولكنه يصر على انه ما من تسوية ـ بما فى ذلك اعادة فتح قناة السويس ـ يمكن ان تتم طالما كانت القوات الاسرائيلية باقية على الاراضى المصرية .

« وهو أيضـــا يربط مرور السفن الاسرائيلية بقنـاة السويس بمشكلة لاجئى عرب فلسطين • طبقا لقرارات الامم المتحـدة التى تدعو لعودتهم أو تعويضهم» (لعلها عودتهم وتعويضهم) هـذا ما نسب قوله للسيد جمال، وهو يؤيد صحة ما نسب للملك حسين قوله فى واشنطون •• فهـل بقى شىء من الاعتراف بدولة اسرائيل غير شجاعة المواجهة؟؟ وعن هـذا الاعتراف يزيدنا علمـا ما نسب للسيد محمد الزيات ، مدير الاعلام المصرية ، فقد زعموا انه قال ان اتفاقيـة الهـدنة ١٩٤٩ بين اسرائيـل ، ومصر ، وسـوريا ، ولبنـان ، والاردن ، تعطى دولة اسرائيل اعترافا عمليا •

لمـاذا لا يواجه العرب مشكلتهم بشجاعة ؟

لمـاذا الواسطة ؟ لمـاذا لانواجه مشاكلنا بشجاعة الرجال ؟ فان الواسطة قد اضرت بنا أبلغ الضرر من قبـل ، وأظهرتنا بمظهر القصر الذين يتحـدث عنهم أوصـياء •• وأوصياء مغرضـون فى ذلك •• فعندما حصلت هذه الهزيمة المنكرة تحـدث باسم العـرب الاتحاد السوفيتى على نحو ما سبقت اليه الاشارة فى صـدر هذا الكتاب ، وتقـدم المسيو الكسى كوسيغين فى خطاب ألقـاه فى الدورة الطارئة ، الخاصة ، للجمعية العـامة ، لمنظمة الامم المتحـدة ، بمطالب لخصها فى أربع نقط ، واقترح فيها على الامم المتحدة أن :

« أولا ــ تشجب بحزم أعمال اسرائيـل العدوانية ، والاحتلال المسـتمر من جانب هذه الاخيرة لقسم من اراضى الجمهورية العربية

المتحدة ، وسورية ، والاردن ، الامر الذى يشكل عملا يعتبر عدوانا .

ثانيا ـ تطالب بان تسحب اسرائيل فورا ، وبدون اى شرط ، جميع قواتها من اراضى الدول المذكورة الى مواقعها خلف الخطوط التى حددتها الاتفاقيات العامة للهدنة ، وان تحترم وضع المناطق المجردة من السلاح ، كما تنص على ذلك اتفاقيات الهدنة هذه .

ثالثا ـ تطالب ايضا بأن تعوض اسرائيل بصورة كاملة، وفى اقصر وقت ، عن كل الاضرار التى لحقت بالجمهورية العربية المتحدة ، وسورية ، والاردن ، وبمواطنى هذه الدول ، من جراء عدوانها . وان تعيد اليها كامل الممتلكات ، والقيم المادية الاخرى ، التى اغتصبتها .

رابعا ـ تدعو مجلس الامن الى ان يتخذ من جانبه التدابير الفعالة والعاجلة لتصفية كافة نتائج العدوان الذى ارتكبته اسرائيل » .

فهذه المطالب هى من الشطط ، والمبالغة ، بحيث يستحيل ان يقع عليها الاجماع المطلوب ، وحتى لو أيدها العدد الكافى من الدول ، فان تنفيذها يصبح امتحانا عسيرا على الامم المتحدة .. والاتحاد السوفيتى لابد يعلم ، حق العلم ، هذا وذاك ، ولكنه قدمها، لا لتكون حلا ، ولكن لتكون مصدر احراج لما يسميه « الامبريالية » ، وقدمها لتعلق العرب بنقط تجعل التسوية امرا متعذرا ، أو على أيسر تقدير ، امرا يستغرق وقتا طويلا .. ويخطىء ، أشنع الخطأ ، من يظن ان الاتحاد السوفيتى ـ يريد للمشاكل التى تواجه الدول الغربية ان تسوى ـ مشكلة فيتنام ، أو مشكلة الشرق الاوسط ، لان عدم

التسوية يظهر عجز الدول الغربية ، ولانه يزيد من كراهية الرأى العام العالمى لها ، ولانه يجعل الشعوب المنكوبة ، والشعوب عامة ، فى حالة قلق تلتمس بوارق الطمأنينة فى لافق، والاتحاد السوفيتى كلف دائما بأن يرفع راياته هو ، ترفرف فى الافق البعيد ، تمنى هذه الشعوب بالصداقة ، والرخاء ، والسلام ..

فقد وردت الاخبار ان المسيو ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى ، افتتح احتفالات اليوبيل الذهبى للثورة بخطاب استعرض فيه السياسة الخارجية والداخلية للاتحاد السوفيتى ، وأمام ستة آلاف شخص ، يمثلون وفود خمس وتسعين دولة ، اجتمعوا فى قاعة المؤتمرات بقصر الكرملين ، قال بريجنيف : « ان ميزان القوى فى العالم قد تغير بصورة جذرية لصالح الطبقة العاملة ، وجميع قوى التقدم والديمقراطية والاشتراكية » وهو بالطبع يعنى بهذه العبارات الدول الشيوعية ، والاتحاد السوفيتى بصورة خاصة .. و « ميزان القوى فى العالم » هو ما تحدثنا عنه فى صدر هذا الكتاب وقلنا انه كل ما يهم الكتلة الشرقية ، والكتلة الغربية ـ لا مصالح الدول الصغيرة ـ وقد تحدث بريجنيف عن السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى فقال ، « ان المهمة الرئيسية للسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى هى احباط مؤامرات الامبريالية ضد الاشتراكية،وأضاف ان علاقاتنا بجميع الدول تتبع المبدأ الديمقراطى ، وهو الاعتراف بممارسة المساواة بين جميع الدول ، كبيرها وصغيرها » .

فمثل هـذا التضليل ، ومثل هـذا الكـذب الصراح لايمكن للشـعوب ان تهضمه فى حالاتهـا الطبيعيـة • ولـكن في الحالات العصيبة التى تسود جو الازمات ، والهزائم ، والخوف الذى يصحب موقفا كالموقف القائم الآن فى الشرق الاوسط فان تضليل الشعوب يصبح من أيسر الاشياء ••

وعن الشرق الاوسط مادا قال بريجنيف ؟ « ان أعمـال وتصرفات الولايات المتحدة،وبريطانيا ، والمانيا الغربية ، التى شجعت عملاءها من حكام اسرائيل على العدوان ضـد الدول العربية قد كشفت مرة أخرى عن طبيعة النهب التى تميز السياسة الامبريالية ، وقال ان الفرصـة قد سنحت مرة أخرى للشعوب العربية لتدرك بنفسها ان الاتحاد السوفيتى، والدول الاشتراكية الاخـرى هم أصدقاؤهم الحقيقيون ،وانهم حصن يمكن الركون اليـه لصـون استقلالهم » فيالهـا من لحظة « سيكلوجية » لبريجنيف ليعرض للعرب حصنا « يمكن الركون اليه لصون اسـتقلالهم » على حـد عبارته • ثم تطرق للجيش السوفيتى ليطمئنهم على متانة حصنهم فقـال « انه جيش قوى وهائل وهو قوة لا تقهر اذ انه مزود بأحدث وأحسن الاسلحة فى العالم • » وبالطبع فان بريجنيف يعلم ان سـياستهم فى تورط العرب فى الهزيمة العسكرية، وفى الهـزيمة الدبلوماسـية ، قدنجحت نجاحا لم يدع للعرب بديلا عن « الحصن الشيوعى » وهـذا السيد اسماعيل الازهرى يحدثكم فيما أوردت الايام من خطاب ألقاه فى الاحتفال الذى أقيم ، بمناسبة الذكرى الخمسـين لثورة أكتوبر ،فى دار الثقافة السوفيتية بالخرطوم ،

فبعد ان أشاد بالثورة السوفيتية ، وقائدها لينين ، وبانجازات الاتحاد السوفيتي في مجالات العلم ، والصناعة ، الخ الخ ، وهاجم المعونات الامريكية ، وقال انهم يقدمون لنا الآلات القديمة ، وأثنى على المعونات السوفيتية ، وبعدان انتقد موقف السوفيت من الحرب العربية الاخيرة قال « انمواقفهم الاخرى غطت على ذلك » وعن اغراق الباخرة الاسرائيلية « ايلات » قال « ان ذلك يعكس صدق نية السوفيت لانهم مدوا العرب بأسلحة عظيمة » ثم أشاد بوجود قطع من الاسطول السوفيتي في الموانى المصرية وقال « ان وجودها صمام أمان » وعبارة « صمام أمان » من أزهرى تقابل عبارة « حصن يمكن الركون اليه » من بريجنيف .

الروس يضللون العرب

ان الروس لا يقولون ما يعلمون . أو ما يجب ان يعلموه . فحين طالب الكسى كوسيغين ، نيابة عن العرب ، في المنظمة العالمية بأدانة العدوان الاسرائيلى كان يعلم ان خرق العرب لهدنة ١٩٤٩ « التى أشار اليها السيد جمال عبد الناصر في حديثه مع السيد دنقل فوت اشارة اعتراف » ذلك الخرق الذى تمثل في السماح لفدائيى منظمة التحرير الفلسطينية ان يتسللوا من أرض سورية عبر حدود اسرائيل كان يشكل حالة عدوان من العرب على اسرائيل .. وكان يمكنه ان ينصح أصدقاءه العرب في ذلك ، ولكنه لم يفعل .

وكوسيغين ، الذى يطالب بأدانة العدوان الاسرائيلى على العرب ،

كان يعلم ان مباشرة السيد جمال عبد الناصر لقفل خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية بعد ان ظلت تمخر فيه عشر سنوات ، بشكل عملا ستعتبره اسرائيل عدوانيا ، وستجد فى اعتبارها هذا عطف الرأى العام العالمى ، اكثر مما تلقاه مصر .. وكان يمكنه ان ينصح أصدقاءه العرب فى ذلك ، ولكنه لم يفعل ..

وكوسيغين ، والزعماء السوفيت ، الذين معه ، والذين سبقوه ، كانوا يعلمون ان سياسة العرب المعلنة هى رمى دولة اسرائيل فى البحر ، وهؤلاء الزعماء السوفيت هم من اول من ناصر خطة تقسيم أرض فلسطين ، وهم من اول من اعترف بدولة اسرائيل . وظلوا يبادلونها التمثيل الدبلوماسى ، وظلوا ، ولا يزالون يعترفون لها بحق البقاء . ولكنهم ظلوا كذلك يوافقون العرب على سياستهم هذه ، وظلت صحفهم تشجع العرب وتحرضهم على المضى فيما تسميه ، مكررا « تأمين سيادتهم على أراضيهم » .

فى هذه الايام طلبت مصر ، على لسان مندوبها الدائم فى الامم المتحدة ، السيد محمد عوض القونى ، من رئيس مجلس الامن ، وهو في هذه الدورة مندوب مالى السيد محمود كانتى ، ان يعقد جلسة خاصة مستعجلة لدراسة الموقف الخطير فى الشرق الاوسط .. وأمام المجلس ، فى جلسته هذه الخاصة ، التى عقدها فى الخامسة والنصف من بعد ظهر الخميس ١٩٦٧/١١/٩ ، مشروعان وهما المشروع الامريكى ، والمشروع الذى قدمته الدول الافرو آسيوية ، وهى الهند ، ومالى ، ونيجريا .. وهذا المشروع الاخير « يؤكد حق

كل دولة فى الحياة بسلام ، وأمن ، واحترام لسيادتها،ووحدة اراضيها، واستقلالها السياسى ، ويدعو لانهاءحالة الحرب ، كما يطالب بتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ،ويطالب بسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتهاأثناء القتال الذى بدأ فى الخامس من شهر يونيو الماضى ، كمايطالب أيضا بارسال مبعوث خاص للامم المتحدة بغية تنسيق الجهود لتنفيذ المشروع المقترح • على ان يقدم تقريرا لمجلس الامن خلال ٣٠ يوما » •

واما المشروع الامريكى فيطالب بتسوية كاملة للازمة على أساس فرض الصلح بين العرب واسرائيل ،ويعتمد على المبادىء الخمسة التى أعلنها الرئيس جونسون فى خطاب له ألقاه قبل انعقاد الجمعية العامة ، فى أعقاب العدوان ، وكان جونسون قد أوضح ان مقترحاته للسلام فى الشرق الاوسط هى : ضرورة الاعتراف بأن لكل دولة حقا سياسيا فى العيش بسلام ، وحقا قانونيا في المرور البرىء فى جميع الممرات المائية • وقال ان مسئولية الحرب فى الشرق الاوسط تقع على عاتق العمل الخطير ، التعسفى ، الذى يتسم بالحماقة ، والذى يبدو فى اغلاق خليج العقبة •• ودعا جونسون لوضع حد لسباق التسلح بين الدول العربية واسرائيل ، وقال ان اقرار السلام يستدعى حل مشكلة اللاجئين ، وان على الدول المعنية أن تصل لاتفاق مباشر فى هذا الصدد •• وعنده انه لدى الوصول الى هذا الاتفاق تجلو القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية التى احتلتها •• وجاء ، على اقتراحه بأن تصل الدول المعنية لاتفاق مباشر ،تمسك اسرائيل بالاعتراف ،

والمفاوضات المباشرة بينهما وبين العرب .. كما جاء ، من رأيه فى مسئولية الحرب ، رفض الولايات المتحدة لنقطة الاتحاد السوفيتى الاولى التى تدعو الجمعية العامة لادانة اسرائيل بالعدوان على الدول العربية .. وجرى فى هذا المضمار ايضا الاقتراح الثانى الذى تقدمت به دول الحياد ، اذ خلا من المطالبة بأدانة اسرائيل بالعدوان ، بعد ان كان مشروع هذه الدول الاول يقوم على اربع نقاط أولها أدانة العدوان .. وهذا المشروع الامريكى يتفق مع مشروع الدول الافرو آسيوية على ضرورة ارسال مبعوث عن الامم المتحدة . ويختلف معه فى تحديد مهمة هذا المبعوث ، ويجىء هذا الاختلاف من اختلاف المشروعين نفسيهما .

وتقول الاخبار ان المشروع الامريكى ، ولا المشروع الافرو آسيوى ، ينتظر له ان يحظى بتسعة الاصوات اللازمة لنجاحه فى مجلس الامن الذى يضم خمس عشرة دولة . وذلك لان الولايات المتحدة وحلفاءها يعارضون المشروع الافرو آسيوى لانه يعطى الاولوية لانسحاب القوات الاسرائيلية ، ويترك أمر التسوية الكاملة للمستقبل ، وهم يريدونها أولا .. وشرطا مقدما على الانسحاب .. ومن الجهة الاخرى فان الاتحاد السوفيتى ، وحلفاءه ، يعارضون المشروع الامريكى لانه يعطى الاولوية لتسوية دائمة في المنطقة ، فيربط انسحاب القوات « المعتدية » بالصلح بين العرب واسرائيل .

وهذا الموقف الذى يقفه الاتحاد السوفيتى هو الموقف الذى يروق العرب ، وللعرب بعض العذر فى ذلك . فانهم قد ظنوا ان فى هذه

المغالطة ، وهذه المماحكة ، تضميد الجراح كرامة وجدت نفسها تعترف عمليا باسرائيـــل ، بعـد ان بنت سمعتها على عدم الاعتراف .. فلم يبق الا ان تعالط وتماحك .. هذا امر قد نفهمه للعـرب ، وان أسفنا له .. ولكن ما عـــذر الاتحـاد السوفيتي حين يقف هـذا الموقف وهو يعترف بدولة اسرائيل ، وقد اســـهم فى مشروع تقسيم ارض فلسطين بغرض اقامة دولة اسرائيل ؟ هل تريدون ان تعرفوا دافع الاتحاد السـوفيتي لهذا الموقف ؟؟ اذن فاسمعوا !! ان الاتحاد السوفيتي لا يريد لمشكلة الشرق الاوســـط ان تسوى !! لمـاذا ؟ لان عـدم تسويتها يشيع جو الخوف والحيرة والقلق ، وهو جو يناسب التخطيط الشيوعي لسوق الشعوب العربية ، والحكومات العـربية ، الى حظيرة الشيوعية ، ولان حالة الحرب تزيد من عداوة الشـعوب العـــربية ، والحكـــومات العـــربية للدول الغـــربية وبوجه خاص للولايات المتحـــــدة ، ولان الحـــــرب تستنزف من طاقة أمريكا ، خصوصا اذا ما أضيفت الى الحـرب القائمة الآن فى فيتنام ، والتى لا يريد لهـا الاتحاد السوفيتي أيضا ان تسوى ـ ويمكن ان يقـال ان الحـــروب الاقليمية ، على مستوى حـــرب فيتنام ، وحرب الشرق الاوسط ، تعطى الاتحاد السـوفيتي فرصـة تجربة أسلحته الجديدة بصورة ملفتة ودعائية ، فقد حققت صـــواريخ (كومار) الســـوفيتية ، التى استعملت فى اغـــراق المدمرة الاسرائيليـــة « ايلات » سـمعة عسكرية ذات أثر دبلوماسي كبير ، وهذا الاثر الدبلوماسي هو ما يهم

الروس ، فى المكان الاول ، لانه يحقق اخلال توازن القوى لمصلحتهم هم ضد الكتلة الغربية ، وقد فعل !! فقد اوردنا لك خطاب بريجنيف بمناسبة العيد الذهبى للثورة الشيوعية حيث قال فيه « ان ميزان القوى في العالم قد تغير بصورة جذرية لصالح الطبقة العاملة » وهو، بالطبع ، يقصد ان يقول لصالح الدول الشيوعية .. وهو أمر معلوم ، وهو أيضا امر لا يسر عاقلا، مهتما بمصير الانسان على هذا الكوكب .

الامم المتحدة ومشكلة الشرق الاوسط

ان الامم المتحدة ، رغم كل ما تتسم به من عجز ، هى أمل الانسانية الوحيد فى ايجاد حلول للمشاكل عن طريق التفاوض ، بدلا عن السلاح ، وهى جهاز يمثل خلاصة المجهود البشرى ، على مدى القرون ، فى تجنب الحروب .. وللدول الصغيرة ، بخاصة ، فرصة فيها يجب ان تحرص عليها ، وان تتمسك بها بكل ثمن .. وتعمل على ان يتطور هذا الجهاز فى طريق الكفاية حتى يصبح ذا سلطة تنفيذية — سلطة تتخذ القرارات ،وتملك القدرة على تنفيذ هذه القرارات — ولكن ، مع الاسف ،فان الاتحاد السوفيتى ، جريا وراء سياسته التى يبيتها للعالم ، قداستطاع ان يضلل العرب حتى تمسكوا بمطالب ، فى مشكلة الشرق الاوسط ، عرضت هذا الجهاز العظيم لسوء القالة ، ولا تزال تعرضه لسوء المنقلب .. ألم ينسب

لوزير خارجية السـودان ، وهو يتحـدث ، يومئذ ، باسم الدول العربية انه قال « ان الدول العربية ستعيد النظر فى عضويتها فى الامم المتحدة ؟؟ »

ان الاتحاد السوفيتى ، كما أسلفنا الى ذلك القول ، قد أتخذ ، فى الجمعية العـامة ، مع أغلبيـة أعضائها ، قرار تقسيم ارض فلسطين ، بغرض اقامة دولة اسرائيل ، وهو يعترف لهذه الدولة بحق البقـاء ، ولكنه فى الوقت الحاضر ، قد بدا له ، ولمصلحة سياسـته المبيتة ، ان يؤيد العرب فى موقفهم الذى يعارض حق اسرائيـل فى البقاء .. فهو يعارض الاقتراح الامـريكى لحل هذه المشـكلة ، لماذا ؟؟ « لانه يعطى الاولوية لتسـوية دائمة في المنطقة ويربط بين انسحاب القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية وبين الصلح بين العرب واسرائيل » فهل سمع الناس مثل هـذا المنطق من مسـئول ؟؟ أليس ميثـاق الامم المتحدة يتطلب مثل هذه التسوية ، ان كنا نفكر بأمانة وبغير غرض ؟؟

ان العرب قد سقطوا فى الفخ الذى نصبته لهم الشيوعية الدولية ، وهم يتورطون كل صبح جديد معها فى رباط جـديد ، ومع ان أباطيل الشيوعية الدوليـة ظاهرة ، الا ان العداوة التى احتملها العرب للدول الاستعمارية ، وعجزهم عن النهوض بهذه العـداوة ، قد حجبت عنهم الرؤية ..

جاء فى حـديث نشرته مجلة « الجديد » البيروتية فى عدد لهـا بتاريـخ ١٠ نوفمبر قولها « لخص أحـد المطلعين العارفين الموقف من

الحـــرب أو السلم على الصورة التاليـة : (ان امريكا تدفع مصر للانتحـار .. وهى تريد منهـا اما انتحارا عسكريا عاجلا فى الجبهة ، أو انتحارا سياسيا عن طريق فرض الصلح ، وان سياسة مصر هى عدم الوصول الى حافة الانتحار) » .. ثم تمضى المجلة فتقول « من ناحية ثانية فان استعدادات مصر العسكرية قائمة على قـدم وسـاق ، وان التعليمات الرسمية للعسكريين هى الحرب ، الحرب ، الحـرب فى أية لحظة . وهناك قنـاعة فى بعض الاوساط المصرية ان جبهة السويس ستكون الجبهة الوحيـدة القادرة على القتال أو أنها ستتحمل العبء الاكبر ـ كما كانت الحال في حرب حزيران ـ وان أشهر اختصاصيى حروب الدفاع ، والتكتيك الحربى السريع ، فى الاتحاد السـوفيتى يضعون ثقلهـم كله لمسـاعدة ، ومؤازرة العسكريين المصريين » .

لعمر الحق ، ان الدول الصغيرة يجب ان تأخذ حذرها من امريكا ولكن ما يجب ان يصيبها الذعـر بهذه الصورة التى وردت فى عبارة من وصفته المجلة بالاطلاع والمعرفة .. فلا امريكا ، ولا أى دولة أخرى من الدول المسئولة ، تريد لمصر ان تنتحر عسكريا ، أو سياسيا ، ولكن مصر هى التى ، بسـوء تفكيرها ، وجهلها السياسى ، سـعت الى الانتحار العسـكرى ، والانتحار السياسى ، ولا تزال تسعى ، وهى تسـعى سـعيا حثيثا لا تملك ان تسـتمع ، معه ، نصيحة الناصح الامين .

ان تضليل الاتحاد السوفيتى لزعيم مصر قد بلغ اليوم مبلغا يدعو لاشد الاسى .. فان السيد جمال عبد الناصر الآن يمكن للخبراء الروس من الجيش المصرى ، كما تخبرنا مجلة « الجديد » فى حديثها الذى أوردنا لك منه نبذة ـ اقرأ مرة أخرى « وان أشهر اختصاصيى حروب الدفاع ، والتكتيك الحربى السريع ، فى الاتحاد السوفيتى يضعون ثقلهم كله لمساعدة ومؤازرة العسكريين المصريين » .

هناك من المراقبين السياسيين من يقول ان الاعلام فى مصر فى يد الشيوعيين ، والجيش فى يد عبد الناصر ، وها قد بدأ الجيش يكون فى يد الشيوعيين ، بحجة خبرة الخبراء السوفيت التى لا غنى عنها .. وبحجة أبعاد الضباط الذين ينتمون الى عوائل رأسمالية ، واقطاعية ، لانهم ، في تعليل من ينصحون السيد جمال عبد الناصر ، ويشيرون عليه ، قد كانوا سبب الهزيمة العسكرية المشئومة .. ويبلغ عدد الضباط المبعدين ، فى تقدير بعض العارفين، مايزيد على الالف، وهم فى رتبة لواء وما فوق . « وتقدم ، على ذلك، ضباط الصف الثانى ، أى العمدة وما تحت الى الصفوف الامامية ، وغالبيتهم من الذين تدربوا فى الاتحاد السوفيتى » .

والاتحاد السوفيتى الذى يسعى الى تمكين قبضته على الشعوب العربية بتضليل سياستها نحو الكتلة الغربية ، مستعينا على

ذلك بجهل الزعماء العرب ، وبغرور الدكتاتورية العربية ، سيحاول ان يجر مصر،ومن ورائها الدول العربية، الى مواجهة رابعة ، تتم فيها هزيمة العرب النهائية ، على أيدى الكتلة الغـــربية وينتهى بهم المطاف الى القطيعة التامة مع الكتلة الغـربية والاســتقرار التام فى خيام الكتلة الشرقية ... وهذا هو السر الذى يقبع وراء معارضةالاتحاد السوفيتى للمشروع الامريكى الذى « يعطى الاولوية لتسوية دائمة فى المنطقة .. ويربط بين انســـحاب القـــوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية وبين الصلح بين العرب واسرائيل »

الفصـــل السابع

شجاعة المواجهة

يجب ان نكون واضحين ، فأن الشيوعية الدولية ليست صديقة لاحـــد .. بل انها ، لفرط جهلها ، عدوة حتى لنفسها ويجب ان يكون واضحا ان الشيوعية الدولية ، التى تتخذ فلسفتها من الماركسية اللينينية، هى أمر غير الاشتراكية العلمية ــ وان كان كارل ماركس يســـميها « الاشتراكية العلمية » وان عرفت فى التاريخ بهذا الاسم ــ لان صفة « العلميـــة » يجب الا يفوز بها الا المجهـــود البشرى الذى يقوم على الحقائق الثوابت ، التى تقف بنـــا على عتبة المجهـــول ، وتترك لنـــا الفرصة ، باستمرار ، لنمدد خطوط مجهـــودنا هـــذا الى الامام ، فى المجهـــول ، كلما أصبحت مواطىء أقدامنا فيه معلومة لدينا . ونحن يجب ان نعلم ، كل يوم جـــديد ، أمرا جديدا ، من هـــذا المجهول ..

وهكذا يكون عملنـــا العلمى تطورا مستمرا ، وتجددا مستمرا ، وانطلاقا مستمرا من منطقة المحدود الى منطقة المطلق • •ولم تسـم الماركسية « علمية » بهذا المعنى ، وانما سميت علميـة فى مقابلة الاشتراكية « المثالية » أو اليوتوبية الغامضة ، التى كانت سائدة قبل ذلك التاريخ •• فان كارل ماركس قد عالج تطور التاريخ الاقتصادى بأسلوب سلس ، واضح ، لم يلجأ فيه الى الغموض ، أو المثل العليا ، وخاصة تاريخ الحضارة الصناعية ، لناجمة عن الالات الجبارة ووضع استنتاجات ذكية ، وبعيدة المدى ، عن التطور والتاريخ والتنازع بين الطبقات فى المجتمع الانسانى •• ولكن سلسلة تفكيره فى التطور تفقد حلقة هامة ، عجز هو عن ادراكها • فلم يعترف بالعجز ، فيترك ، بذلك ، السبيل مفتوحة لمن عساه يتمم ما نقص ، وانما أتخذ من عجزه هذا فضيلة فانكر وجود تلك الحلقة المفقودة •• وبذلك ضل وأضل كثيرا ••

وعن هذه الحلقة المفقودة في التفكير الماركسى وردت اشارة فى كتيب الحزب الجمهورى « التحدى الذى يواجه العرب » وذلك حيث قال « والحديث عن الماركسية كدين مستغرب بالطبع ، والسبب فى الاستغراب ان الناس ألفوا الماركسية كفكرة اشتراكية فقط ، وما ذاك الا لان ماركس أعطى الاهتمام الاول ، فى فلسفته ، للاقتصاد ، واختفى أصل الفلسفة ، الا عن الذين يبحثون ، ولهؤلاء تظهر الماركسية كفلسفة للانسان والكون •• وههنا يظهر خطلها

وقصورها ، « فالمادية الديلكتيكية » وهى فلسفتها ، تقول « ان حركة الفكر هى انعكاس للحركة الواقعية منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه » « والحركة الواقعية » عندهم هى حركة العناصر ، بما فى ذلك الصراع الطبقى ، وهى حركة حتمية ميكانيكية وحتميتها تلقائية فيها .. فهم لايعترفون ان هذه الحتمية تنبعث عن ارادة محيطة ، فى عقل كلى ، هو الذى يخلق الطبقية ، والتاريخ ، ويصنعهما .. وههنا يجىء انقصام السلسلة « وانقطاع الدورة » .

واشتراكية كارل ماركس التى يسميها علمية تقوم على أسس خمسة وهى : —

١ — مجرى التاريخ تتحكم فيه القوى الاقتصادية .

٢ — التاريخ ما هو الا سجل لحرب الطبقات .

٣ — الحكومة ما هى الا اداة تستخدمها طبقة فى اضطهاد طبقة أخرى .

٤ — العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أى تغيير أساسى فى المجتمع .

وقد أضاف لينين الاساس الخامس وهو :

٥ — يجب مراعاة الدقة فى تدريب كبار المخططين ، والمنفذين للثورة الشيوعية ، فى الوطن ، وفي الخارج ، على السواء ، ليكونوا ثوريين محترفين متفرغين . وانما أضاف لينين هذا الاساس الخامس من أسس ما أسموه « الاشتراكية العلمية » لانه كان مقتنعا بأن

العمال تنقصهم القدرة على التفكير، والتخطيط .. ولهذا يجب عليهم ان يخضعوا لزعامة فئة قليلة مختارة ، وهى الحزب الشيوعى.. فتجدهم يتحدثون عن دكتاتورية العمال ، والمزارعين ، والمثقفين الوطنيين .

وقد كتب كارل ماركس فى كتابه « رأس المال » يقول « ان العنف هو المولد لكل مجتمع قديم يتمخض بمجتمع جديد » .

وكارل ماركس فى هذه الملاحظه ، وفى سابقاتها، يرصد التاريخ، ويكاد يحسب ما هو ظاهرة مرحلية فى تطور المجتمع البشرى ، لازمة أبدية من لوازم هذا المجتمع « هى على كل حال عنده لا تنتهى الا بأنتهاء الصراع الطبقى وذلك بأن تصفى بالعنف ، طبقة واحدة بقية الطبقات .. وهذه الطبقة هى طبقة البروليتاريا ، التى يجب ان يكون النشاط العملى لحزبها (مؤسسا لا على الرغبات المحدودة « لنخبة من الافراد » ولا على مقتضيات « العقل » و « الاخلاقية الكلية » .. الخ .. بل على قوانين التطور الاجتماعى ، وعلى دراسة هذه القوانين) . وبذلك ، عندهم ، تصبح الاشتراكية علمية . ونحن نتساءل هل يفهمون حقا قوانين التطور الاجتماعى ؟

اسمعوا ماركس يقول : « ليس ادراك الناس هو الذى يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، ان معيشتهم الاجتماعية هى التى تحدد ادراكهم » فهل من يقول مثل هذا القول يمكن ان يفهم قوانين التطور الاجتماعى ؟ ان قوانين التطور الاجتماعى تحكيها

هذه الآية « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » وملاقاة الله ليست بقطع المسافات اليه ، ولكن بتقريب صفات الانسان من صفاته ، وذلك بترقى الانسان فى سلم التطور من الحرية المحدودة الى الحرية المطلقة ، وهذا يقتضى تنظيم مجتمعه على أسس الديمقراطية الاقتصادية ، والديمقراطية السياسية .. والديمقراطية الاقتصادية هى ما تسمى « بالاشتراكية العلمية » وشرط لازم لها ان تكون صنوا للديمقراطية السياسية فلكأنهما جناحان بهما معا ينهض المجتمع كما ينهض الطائر مستقلا فى الجو .. ونحن لن نذهب فى تفصيل ذلك هنا ، وانما موعدنا مع القارىء بهذا التفصيل صدور كتابنا « الاسلام ديمقراطى اشتراكى » ولكننا نحب هنا ان نكشف بعض الشىء عن جهل الماركسية التى عليها تقوم الشيوعية الدولية ، ويحاول الشيوعيون ان يوهموا الناس ان الاشتراكية العلمية لا سبيل اليها الا عن طريق الماركسية ـ اللينينية .. وقد انطلى هذا التضليل الشيوعى على العرب ، وعلى غير العرب من الشعوب .

والآن فان العرب ، باسم صداقة الاتحاد السوفيتى ، وتوهم عداوة الولايات المتحدة ، والمبالغة في تصوير هذه العداوة ، قد جعلوا قضية فلسطين فرصة نادرة للشيوعية الدولية لتباشر المؤامرة المبيتة لاغتيال حرية البشرية على هذا الكوكب .. وقد وجب ، منذ اليوم ، على العرب ان يواجهوا قضيتهم بأنفسهم ، وان يتجهوا بها الى الحل السياسى ، وان يقطعوا الطريق على التضليل الشيوعى

للبشرية فلا يأتى عن طريقهم هم • ومن مواجهتهم لقضيتهم ان يعترفوا باسرائيل وان يأخذوا الرأى العام العالمى الى جانبهم بالدخول فى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل لتحقيق القرارين اللذين اتخذتهما الامم المتحدة احدهما في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ وهو (قرار التقسيم) والثانى فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ وهو (قرار اعادة اللاجئين) •

المفاوضات المباشرة

كما قلنا ، فان اعتراف العرب باسرائيل واقعيا ، وعمليا حاصل ، وكل المشاريع التى تقدم فى المنظمة العالمية الآن ترمى الى تسجيل هذا الاعتراف • لا يختلف فى ذلك أصدقاء العرب ، أو أصدقاء اسرائيل • ولعل كل ما هناك من اختلاف بين الفريقين هو هل يكون الجلاء قبل تسجيل هذا الاعتراف أم بعده ؟؟ وهناك اصرار اسرائيل على التفاوض المباشر • وامام هذا الاصرار فان اسرائيل ستكون مستعدة لتنازل كبير ، قد لايكون ممكنا بغير قوة المساومة التى يحملها هذا الاعتراف من جانب العرب ، ومن مصلحة القضية العربية الا تضيع قوة المساومة هذه بتمسك العرب بعدم الاعتراف اللفظى ، مع ان الاعتراف عمليا واقع ، ومع الزمن ، فان اسرائيل ستحصل على هذا الاعتراف ، بدون ان تدفع عليه ثمنا كافيا للعرب •

ثم انه يجب ان يكون واضحا فان اى حل سياسى لا يمكن ان يفرض على العرب ، كما هو لايمكن ان يفرض على اسرائيل ، بقوة

السلاح ، وذلك لاسباب عديدة ،منها ان السلاح لم يعد يحل المشاكل بين الامم ، ومنها ان المنظمة الدولية، الى الآن ، لا تملك سلطة تنفذ بها قراراتها • فلم يبق الا ان تكون الحلول السياسية قائمة على الموافقة المتبادلة ، والتراضى بين الفريقين المتنازعين ، ومن أجل ذلك ، فان التفاوض المباشر هو أسلم السبل ،وأقربها الى التراضى •

ونحن نعلم صعوبة الاعتراف على الزعماء العرب ، ولكننا لا نحترمها ، ذلك بأنها صعوبة تقوم على الكبرياء الزائف ، وعلى المظهر الفارغ ، وهى تستهدف خداع الشعوب العربية ، ذلك بان الزعماء قد ظلوا يحدثونها ، على طول المدى، عن رمى دولة اسرائيل فى البحر •• وحتى فى مؤتمر الخرطوم الذى ألتقى فيه هؤلاء الزعماء مؤخرا لم ينسوا ، تمشيا مع الاوهام القديمة ، المزمنة ، والمعلنة على الشعوب ، ان يعلنوا ، من جديد ، انهم سيعملون على تحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتها فى الحرب الاخيرة « وذلك في نطاق المبادىء الاساسية التى تلتزم بها الدول العربية وهى : عدم الصلح مع اسرائيل ، او الاعتراف بها • وعدم التفاوض معها » •

وقد قلنا ان هذا الاعتراف عمليا قد حصل ، فهل ما يهم الشعوب العربية هومظهر الاعتراف، أم جوهره ؟؟ ان الزعماء العرب هم اليوم أسارى التضليل الذى ظلوا ، ولا يزالون ، يمارسونه مع شعوبهم •• فهم ، « عمليا » ، يعترفون بدولة اسرائيل ، لان الاعتراف ضرورى لاحراز الحل السياسى الذى لا يجدون عنه

منصرفا ، ولكنهم ، « قوليـا » ، يرفضون هذا الاعتراف ليظل المظهر محفوظا امام الشعوب ، ريثما يعمل الزمن عمله فى ذاكرتها .

ومن سوء طالع الشعوب العربية ، فى الوقت الحاضر ، ان الزعماء، وحملة الاقلام ، ورجال الاعلام فيها ، موكلون بتضليلها عن قصد ، وعن غير قصد .. وهذا الصحفى الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل، الذى يعتبر ناطقا باسم السيد جمال عبد الناصر ، يكتب فى جريدة الاهرام فيقول« وحساب الاسبوعين الاخيرين على أى حال ، يظهر ان الفجوة ما بين المحاولة والهدف واسعة ، بل انها تزداد اتساعا مع كل يوم ، وبالتالى فان المشكلة تبتعد كما يبدو عن امكانية الحل السياسى وقدرته ! .

« وحتى لو افترضنا جدلا اننا استطعنا أو استطاع أصدقاؤنا بعمل شامل ومركز اقناع الجمعية العامة للامم المتحدة ـ بعد ان استحال التقدم تماما فى مجلس الامن ـ باصدار مشروع قرار يمكن ان يكون بالنسبة لنا أساسا مقبولا للحل .. فان مثل هذا المشروع سوف يظل مجرد مشروع ـ حبرا على ورق ـ ما لم تقبله اسرائيل برضاها ، أو مفروضا عليها .

« ولن تقبل اسرائيل برضاها شيئا يرضى به العرب .. وهذه بدهية ! .

« والبدهية الاخرى المكملة لها ـ وبها وليس بغيرها تتم الحلقة وتستحكم ـ هى ان الولايات المتحدة الامريكية بالذات وبغير

بديل هى القوة التى تستطيع ان تفرض على اسرائيل شيئا لا تقبله اسرائيل برضاها .

« أى ان الولايات المتحدة الامريكية هى التى تملك فرصة الحل السياسى المعقول ـ أو الذى يمكن ان يكون معقولا ـ للازمة كما انه فى يدها ان تحول مشروع القرار الى مفتاح لباب الحل السياسى .

« وذلك امر لايلوح حتى الآن ان الولايات المتحدة الامريكية على استعداد له ، كما انه ليست هناك أية دلائل تومىء الى استعدادها له فى المستقبل المرئى .

« بل ان جميع الشواهد تشير الى العكس .

« ١ ـ تراجعت الولايات المتحدة عن خطوط مشروع القرار الذى كانت هى نفسها قد طرحته للبحث فى نهاية الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للامم المتحدة والذى كان مضمونه أساسا ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى مواقع ما قبل ٥ يونيو فى مقابل انهاء حالة الحرب كما انها تراجعت عن الخطوط العامة التى أعلنها الرئيس لندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية نفسه ، وكان أبرز ما فيها انه لا يستطيع أى طرف من أطراف النزاع فى الشرق الاوسط ان يحقق أية مكاسب أقليمية نتيجة للحرب المسلحة . كما انها تراجعت عن الفهم العام الذى كانت تدرك به ـ حسب ما جاء فى تصريحات وزير خارجيتها دين رسك ـ انه من المستحيل على العرب ان يقبلوا

التفاوض مع اسرائيل •

« تراجعت الولايات المتحدة الامريكية عن هذه المواقف كلها ، وكانت هى التى اختارتها لنفسها قبل شهور قليلة واسابيع واصبح موقفها الآن هو موقف اسرائيل لا يختلف فى كثير أو قليل : ــ

« * على العرب ان يقبلوا التفاوض مع اسرائيل •

« * على العرب ان يقبلوا ضم أجزاء من أوطانهم التى تعرضت لمؤامرة يونيو ١٩٦٧ لكى تضاف الى الارض المغتصبة فى مؤامرة مايو ١٩٤٨ •

« * على العرب ان يفتحوا قناة السويس للملاحة الاسرائيلية •

« * وعلى العرب ان ينتظروا بمشكلة اللاجئين الى ان يمن عليهم الاحسان الامريكى ــ أو الاسرائيلى ــ بالجود والعطاء • »

هذا ما قاله فى الاهرام يوم ١٩٦٧/١١/٣ الاستاذ محمد حسنين هيكل ، الذى هو من أولى حملة الاقلام الذين ينتظر منهم الصدق ، والدقة ، سواء نظرت اليه من حيث انه الناطق باسم السيد جمال عبد الناصر ، أو من حيث انه من ألمع ، وأقدر الصحفيين العرب المعاصرين •

ونحن لكى نظهر لك عدم الدقه ، وعدم الامانة ، فى اقوال الاستاذ هيكل لابد ان نعرض لك ما قاله الامريكان فى مجلس الامن حتى الامس القريب : ونحن هنا ننقل من صحيفة « الرأى العام » السودانية بتاريخ ١٩٦٧/١١/٩ ، قالت : « يجتمع فى الساعة الخامسة

والنصف من بعد ظهر اليوم مجلس الامن بناء على الطلب الذى تقدم به السيد محمد عوض القونى ، الممثل الدائم للجمهورية العربية المتحدة ، لرئيس مجلس الامن ، وهو مندوب مالى السيد محمود كانتى ، وكان السيد القونى قد طلب عقد جلسة عاجلة للمجلس لدراسة الموقف الخطير فى الشرق الاوسط ، وقد بدأ أعضاء الوفود مشاوراتهم حول المشروعين المطروحين امام المجلس ، وهما المشروع الامريكى ، والمشروع الذى قدمته الدول الافرو آسيوية ، وهى : الهند ، ومالى ، ونيجريا .

« ويتفق المشروعان فى ضرورة ارسال مبعوث عن الامم المتحدة للشرق الاوسط ولكنهما يختلفان فى تحديد مهمة المبعوث ، وفي مدى تأكيد كل منهما على انسحاب القوات المعتدية وارتباط ذلك بانهاء حالة النزاع ، ويطالب المشروع الامريكى بتسوية كاملة للازمة على أساس فرض الصلح بين العرب واسرائيل ، ويعتمد على المبادىء الخمسة التى كررها الرئيس الامريكى جونسون . ويقوم المشروع الافرو اسيوى على أساس مشروع دول امريكا اللاتينية ، الذى لم يحصل على الاغلبية فى الجمعية العامة (وكانت الدول العربية آنذاك تعتبره أقرب للمصالح الاسرائيلية) .

« ويؤكد المشروع الامريكى ان تحقيق مبادىء ميثاق الامم المتحدة يتطلب التوصل لحالة السلام الدائم ، القائم على العدل ، فى الشرق الاوسط ، وانهاء حالة الحرب ، والدعوة اليها ، وانسحاب القوات

الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ، وينص على الاحترام المتبادل لحق كل دولة فى العيش فى سلام ، والتمتع بالسيادة ، والحرية ، مع الحد من خطر استخدام القوة ، أو التهديد بها • وضمان حدودها ، وسلامة اراضيها ، ومنحها حرية الملاحة فى الممرات الدولية • كما يدعو للحد من سباق التسلح فى المنطقة • ويطلب المشروع الامريكى من السكرتير العام ارسال مبعوث خاص لتنفيذ المشروع ، وتحقيق السلام الدائم فى الشرق الاوسط على ان يقدم تقريرا لمجلس الامن •

« اما المشروع المقدم من الهند، ومالى، ونيجريا ، فيؤكد حق كل دولة في الحياة بسلام ، وأمن ، واحترام سيادتها ، واستقلالها السياسى ، ويدعو لانهاء حالة الحرب ، كما يطالب بتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين • ويطالب بسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتها أثناء القتال الذى بدأ فى الخامس من شهر يونيو الماضى ، كما يطالب أيضا بارسال مبعوث خاص للامم المتحدة بغية تنسيق الجهود لتنفيذ المشروع المقترح ، على ان يقدم تقريرا لمجلس الامن خلال ٣٠ يوما » هذا ما اوردته صحيفة « الرأى العام » ونحن الذين وضعنا الخطوط تحت الكلام لنعين القارىء على متابعة ما جاء فى المشروع الامريكى مما يظهر ، بوضوح ، عدم امانة السيد هيكل ، وبخاصة حين قال ان امريكا « تراجعت عن الخطوط العامة التى أعلنها الرئيس لندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية نفسه » •

وحين قال (وكأنه يخبرنا عما قال الامريكان) « على العـــرب ان يقبلوا ضم اجـزاء من أوطانهم التى تعرضت لمؤامرة يونيو ١٩٦٧ لكى تضـاف الى الارض المغتصبة فى مؤامرة مايو ١٩٤٨ » .

ومن أســوأ انواع التضليل زعمــه ان الامريكان يضمرون أو يقولون : « وعلى العرب ان ينتظروا بمشكلة اللاجئين الى ان يمن عليهم الاحســان الامــريكى ــ او الاسرائيلى ــ بالجود والعطاء » مع ان المبادىء الخمسـة التى كررها الرئيس جونسون ، والتى يعتمـد عليها المشروع الامـريكى الاخير ، تقول ، « ان اقرار السلام يستدعى حل مشــكلة اللاجئين ، وان على الدول المعنية ان تصل لاتفاق مباشر فى هذا الصــدد ، وان امـريكا ستبذل ما فى وسعها فى هذا الصدد »

والاســتاذ هيكل يقول عن امـريكا « كما تراجعت عن الفهم العام الذى كانت تدرك به ــ حسب ما جاء في تصريحات وزير خارجيتها دين رسك ــ انه من المستحيل على العــرب ان يقبلوا التفاوض مع اسرائيل . » ومن الغريب جدا ان يعتقد العـرب ان امريكا ، أو أى دولة عاقلة من دول العالم ، تحترم مثل هذا الموقف من العرب .. ان قول دين رسك يعنى ان الزعمــاء العرب ، وان الشعوب العـربية قد عاشت ، مدى العشرين سنة الماضية ، وهم يحلمون احلام اليقظة بأنهم ، يوما ما ، سيرمون اسرائيــل فى البحر ، فلما أزعجهم الواقع المرير ، عن حلمهــم اللذيذ ، بكل هــذه الفجيعة ، وبكل هذه الفجاءة ، لم يعد من الممكن للدول ان تنتظـر منهم ان يواجهوا واقعهــم ، وان

يتجاوبوا معه بهذه السرعة .. فاذا وجد زعيم ، بينهم ، يستطيع ان يفيق على هذه الحقائق المرة « كما أفاق السيد جمال عبد الناصر الآن » فانه لا ينتظر منه ان يملك الشجاعة ليقول للشعوب العربية ، صراحة ، وبدون التواء ، انه من الخير لنا الآن ان نتفاوض مع اسرائيل . هذا ما يعنيه دين رسك .. وهذا هو رأى أصدقاء العرب ، واعداء العرب ، على السواء ، وهو رأى لا يشرف العرب على الاطلاق . بل انه رأى يظهرهم بمظهر المراهقين ، القصر ، الذين يحبون ان تغلف لهم الحقائق المرة بطلاء يلذ لهم طعمه ، ويطيب مساغه .

ولقد أوردنا لك تفاصيل المشروع الافرو آسيوى لتتمكن من المقارنة بينه وبين المشروع الامريكى .. وسيظهر لك ان ليس هناك فرق بينهما الا فى مدى اصرار الامريكان على الا يتم الانسحاب الا بعد اجراء التسوية النهائية للسلام فى المنطقة بالمفاوضات المباشرة ، وتسامح الدول الافرو آسيوية فى هذا الامر .. وهو تسامح لم تمله مصلحة السلام فى المنطقة ، وانما أملته مجاملة العرب فى امر عاطفى ، وشكلى

ان مشكلة الولايات المتحدة انها دولة ، على ما بها من تقصير ، تقدر مسئوليتها نحو السلام اكثر مما يفعل الاتحاد السوفيتى الذى تخلى عن مسئوليته بصورة مزرية ليمارس خدمة أغراضه المبيتة لاغتيال حرية البشرية على هذا الكوكب ، وذلك بتضليل الشعوب ، والزعماء السذج ، وبأيهامهم انه صديقهم ، وان الامريكان أعداؤهم .. وقد انطلى هذا التضليل على رجال السياسة ، ورجال الفكر العرب ،

حتى رأيناهم يعملون على تعميق الخلاف بين شعوبهم ، وحكوماتهم ، وبين الولايات المتحدة ، ويتجهون نحو الاتحاد السوفيتى ، يصفونه بأنه الصديق الوفى ، والحصن الامين ، وبأنه « ديدبان السلام » فى العالم .

ان عداوة الامريكان قد جرها على العرب ، بغير موجب ، قصر نظر سياسة السيد جمال عبد الناصر ، ولا تزال صحافة مصر ، والبلاد العربية الاخرى ، تعمل على تعميق هذه العداوة ، وبغير موجب أيضا ، بل بغير أمانة ، كما رأينا من مقالة الاستاذ هيكل .. وهذه العداوة قد دفعت بالعرب الى احضان الاتحاد السوفيتى ، فيما توهموه صداقة ، وتسببت بذلك فى تعريضهم لاسوأ أنواع التضليل الذى تعرضوا له فى تاريخهم الطويل ..

والآن فانا نحن لا ندعو العرب الى صداقة امريكا ، وانما ندعوهم الى الرجوع عن عداوتها . ولا نحن ندعوهم الى عداوة الاتحاد السوفيتى ، وانما ندعوهم الى الرجوع عما توهموه صداقته .. وانجع طريقة لهذا الاعتدال ، واسرعها هى مواجهة اسرائيل فى مفاوضات مباشرة تقطع الطريق على عبث من يعبثون بالعرب ، وبالمنظمة العالمية ، وتفرغ العرب ليباشروا مشكلتهم الحقيقية ، وهم معتدلون ، مستقلون عن السير ، لا فى ركاب الكتلة الشرقية ، ولا فى ركاب الكتلة الغربية .

الحل على مرحلتين :

مرحلة عاجلة ، ومرحلة آجلة : فاما حل المرحلة العاجلة فهو حل سياسى ، ومرحلى ، فى نفس الامر ، وهو حل يقتضيه حل المرحلة الآجلة .. وهذا هو وحده الحل المستديم السليم .. وبالحل المرحلى ، العاجل ، يستطيع العرب ان يرجعوا الى نقطة الاعتدال بين الكتلتين : الكتلة الشرقية ، والكتلة الغربية . وهى النقطة التى فيها يقومون مقام الكتلة الثالثة ـ وهى كتلة لا شرقية ولاغربية ـ ومقامها قد قامه قديما أوائلنا ، وقاموه من جميع الوجوه ، وقد قال الله تبارك وتعالى عنهم ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وهذا الحل العاجل قد يقضى على العرب ان يدفعوا ثمن أخطائهم السياسية الكثيرة ، وهو ثمن سيكلفهم شيئا من كرامتهم ، وشيئا من مصلحتهم ، مؤقتا ، ريثما يستعيدوا كرامتهم الحقة ، ومصلحتهم الحقة . ثم انهم بنفس هذا الثمن سيشترون هدنة هم فى أمس الحاجة اليها ليباشروا حل مشكلتهم حلا ، علميا ، شافيا ، ونهائيا . وهو ما أسميناه الحل الآجل ، ويتمثل فى أدنى منازله فى اعادة بناء الجبهة الداخلية .. فاذا تفطن العرب الى حقيقة المشكلة فانهم لن يتحدثوا الا عن الحل السياسى ، وبأى ثمن ، ذلك بأن الحل العسكرى غير ممكن ، على الاطلاق ، وذلك لامر بسيط ، وهو ان العرب لا يحاربون دولة اسرائيل ، وانما يحاربون ، من ورائها ، دول

امريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا الغربية .. وهم قد التزموا بالمحافظة على حدود دولة اسرائيل ، حسب ما يعطيها قرار التقسيم الذى اتخذته الامم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ — التزم بذلك ، منذ عام ١٩٥٠ ، كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، يضاف الى هذا الالتزام أن المنطقة قد أصبحت منذ تأميم قناة السويس فى السادس والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٦ منطقة نزاع بين الشيوعية الدولية ، والاستعمار الغربى ، كما سبقت الى ذلك الاشارة في هذا السفر . ومن أجل ذلك فلن يسمح الغرب للعرب بالانتصار على دولة اسرائيل ، لان هذا الانتصار يمثل عندهم انتصار الشيوعية الدولية عليهم — الوضع أصبح يشبه الوضع فى فيتنام .

ثم ان الحالة ، المتوترة ، الحاضرة ، ليست فى مصلحة أحد غير الاتحاد السوفيتى . وهى حالة كلما طالت كلما وجدت الشيوعية الفرصة لتضليل الشعوب العربية . وذلك عمل يباعد بين هذه الشعوب وبين دينها ، وهو ، من ثم ، يتهددها باخطار أكبر مما تتهددها بها دولة اسرائيل .

الحل العاجل

ان على العرب ان يعلنوا للعالم على الفور انهم ، ايثارا منهم لعافية الدول ، وتضحية منهم فى سبيل السلام العالمى ، وابقاء منهم على المنظمة العالمية العظيمة ، ورعاية منهم لصالحهم هم انفسهم ، يقبلون التفاوض مع دولة اسرائيل ، تحت اشراف الامم المتحدة ، (ومجلس

الامن بشـــكل خاص) وعلى أن يكون التفاوض على أساس قرارى الامم المتحدة ، المتخذين فى التاسع والعشرين من نوفمبر عـام ١٩٤٧ (قـــرار التقسيم) ، وفى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ (قرار اعادة اللاجئين) • وهما القراران اللذان التزمت بهما دولة اسرائيـل لدى دخولهـــا هيئة الامم ، وقد وردت الى ذلك الالتزام الاشـارة فى القـرار الذى اتخـذته الجمعية العامة في الحادى عشر من شهر مايو عام ١٩٤٩ ، وهو القرار الذى يقضى بقبـــولها فى الهيئة ، وينص « فى ديباجته على ان اسرائيل قد تعهدت باحترام التزاماتها تجاه ميثاق الامم المتحدة منذ قيامها ، أى في الرابع عشر من آيار (مايو) عام ١٩٤٨ ، كما ينص على التذكير بقرارى ٢٩ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٤٧ (قرار التقسيم) ، والحادى عشر من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٨ (قرار اعادة اللاجئين) • » عن كتاب « قضايانا فى الامم المتحدة » ••

وسيكون هدف المفاوضة المباشرة مع اسرائيـــل تحت اشراف مجلس الامن ، الآتى : —

١ — انهاء حالة الحرب التى ظلت قائمة بين العرب واسرائيـل ، والاعتراف لاسرائيل بحق البقـاء فى سلام ، وامن • واحترام لسيادتها على أراضيها •

٢ — احترام حق اسرائيل فى المرور البرىء بالممـرات المـائية — خليج العقبة ، وقناة السويس •

٣ — انسحاب القوات الاسرا ئيلية ، والسلطات الاسرائيلية ، من الاراضى العـربية التى احتلتهـــا اسرائيـل على التوالى : في حروب

١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، و ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، و ٥ يونيو عام ١٩٦٧ .

٤ ــ ارجاع اللاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم ، أثناء هذه الحروب ، أو بعدها ، وتعويضهم عن جميع ما تعرضوا له من خسائر . وتوطين من لا يرغبون منهم فى العودة الى داخل الحدود الاسرائيلية ، فى الارض الفلسطينية، التى خصصها مشروع التقسيم الاصلى للعرب ، مع تعويضهم أيضا .. وهذا يعنى تنفيذ مشروع التقسيم الاصلى .

٥ ــ ضمان مجلس الامن (الامم المتحدة) لحدود الدولة العربية الجديدة ، التى تنشأ نتيجة لتنفيذ مشروع التقسيم الاصلى ، ولتأكيد هذا الضمان توقف ، على الفور ، الهجرة اليهودية الى دولة اسرائيل ، ذلك لان زيادة السكان الناتجة عن استمرار الهجرة ستجعل اسرائيل مضطرة الى التوسع ، وقد تصبح مهددة بذلك لامن جيرانها ، وسلامة اراضيهم .

٦ تأخذ هيئة الامم على دولة اسرائيل تعهدا بالا تحاول أى توسع فى أرض أى من الدول العربية المجاورة لها . فاذا جرت منها أية محاولة فان مسئولية ايقافها عند حدها تقع على عاتق المنظمة الدولية ، مجلس الامن والجمعية العامة .

فاذا ملك الزعماء العرب هذه الشجاعة ، وهى شجاعة سيحتاجونها لمواجهة شعوبهم ، (وذلك ، على كل حال ، أفضل من التضليل الذى يمارسونه الآن) فان موقف اسرائيل سيصبح ضعيفا .. ولكنها امام

اغراء اعتراف العرب بها ، وامام الرأى العام العالمى ، فى المنظمة وخارجها ، لن تجد بدا من الموافقة. فاذا ما ابرم الحل العاجل بصورة مرضية فقد أصبح على العرب ان يباشروا الحل الآجل .

الحل الآجل

اول ما تجب الاشارة اليه هو ان العرب اليوم يواجهون تحديا حاسما ، وليس هذا التحدى هو قيام دولة اسرائيل ، فى ارض فلسطين ، بعد ان اقتطعتها ، وشردت أهلها ، واعانها ، على كل اولئك ، قوم آخرون ، في طليعتهم ، الشيوعية الدولية التى تدعى صداقة العرب اليوم ، وتتباكى على مأساتهم .. بل ان النظر العميق فى حقيقة هذا التحدى ليظهر دولة اسرائيل وكأنها صديق فى ثياب عدو .. أو انها نعمة فى ثوب نقمة .

واما التحدى الحاسم الذى يواجه العرب فانه يتمثل فى ان منطق تطور الحياة البشرية المعاصرة فى هذا الكوكب يقول للعرب ان عليكم، منذ اليوم ، ان تدخلوا التاريخ فى القرن العشرين ، كما دخله أوائلكم فى القرن السابع ، فاشرقت بدخولهم على عالم يومئذ شمس مدنية جديدة .. أو ان تخرجوا عن التاريخ ، لبقية التاريخ ..

وفحوى هذا التحدى الحاسم هو ان العرب اليوم لا يعيشون حاضرهم ، ولا يعيشون ما ضيهم . فاما حاضرهم فهو عصر الحضارة الغربية ، العلمية الآلية ، الذى ، وان تأخرت فيه الاخلاق، وانحطت القيم، فقد بلغ فيه التقدم التكنولوجى مبلغا فاق احلام أصحاب الاحلام ،

وبلغ فيه تطوير الآلة وتطويعها لخدمة الانسان مبلغا غير وجه الحياة .. ولكن العرب لا يعيشون الا على هامشه .. فهم لا يصممون الآلة .. ولا يصنعونها ، ولا يحسنون حتى صيانتها ، ولا استعمالها .

واما ماضيهم فقد كان عهد التقوى ، والايمان ، والقيم الرفيعة، والسيرة المستقيمة ، والخلق العبق ،السجيح ، والنجدة ، والرجولة ، والتضحية ، والايثار ، والصدق ! الصدق ! الصدق ! .

ولكن العرب اليوم لا يعيشون الا على هامشه ، ايضا ، فهم قد تشربوا اخلاق المدنية الغربية ، وجاروا أهلها في مباذلهم ، فأفقدتهم أصالة دينهم ، ولم يبلغوا من اصالتها هى طائلا . فأصبحوا يعيشون على قشور من الاسلام ، وعلى قشور من المدنية الغربية .. او قل،ان اردت الدقة،انهم لا يعيشون،وانما تقوقعوا ، وتحجروا ، واصبحت حركتهم لا تنبعث منهم ، وانما تنبعث عن عوامل خارجة عن محيطهم ، وعن ارادتهم .. ان العرب اليوم لا يوجهون التاريخ ، ولا هم يسهمون فى توجيهه وانما يساقون خلفه ويعيشون على هامشه ..

ويزيد فى حسم التحدى الحاسم الذى يواجه العرب عدة أمور : منها أولا ، ان المدنية ، الغربية ، الآلية ، الحاضرة قد أعلنت افلاسها ، ووصلت الى نهاية مقدرتها التطورية، وعجزت عن استيعاب طاقة بشرية اليوم ، وتطلعها الى تحقيق الاشتراكية والديمقراطية فى جهاز حكومى واحد .. لان الانسان المعاصر يريد الحرية ، ويرى ان

الاشتراكية حق طبيعى له ، ووسيلة لازمة لتحقيق هذه الحرية • ومن خطل الرأى عنده ، ان يطلب اليه ، ان يتنازل عن حريته لقاء تمتعه بالحقوق التى تكفلها له الاشتراكية، كما تريد له الشيوعية الماركسية ن يفعل • او ان يطلب اليه ان يحقق حريته الديمقراطية في ظل نظام اقتصادى رأسمالى لا تتوفر له فيه حاجة المعدة والجسد ، الا بشق الانفس ، كما تريد له الرأسمالية الغربية • وقد عمق افلاس هذه المدنية ، وعجزها ، شعور البشرية المعاصرة بالحاجة الى بزوغ شمس مدنية جديدة ، تلقح الحضارة الغربية الآلية الحاضرة ، وتنفخ فيها روحا جديدا به يتسق التناسق بين التقدم التكنولوجى ، والتقدم الخلقى ، وبذلك تصبح المدنية الغربية الحاضرة قادرة على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة •

ومنها ثانيا ، ان العرب يعيشو ن فى منطقة هى سرة العالم ، وعندها تلتقى القارات الثلاث : اوروبا ، وآسيا ، وأفريقيا ، وهى منطقة صنع فيها التاريخ ، منذ فجر التاريخ ، ولا يزال يصنع ، ولقد نشأت فيها ، وعلى صلة بها ، والتقت على أرضها جميع المدنيات ، وبخاصة تلك التى تجمع بين المادة والروح ــ بين الاشتراكية والديمقراطية ــ وتطلب للانسان الرغيف لانه لا يعيش بدونه ، وتطلب له ، وراء الرغيف ، الحرية لانه لا يعيش بالرغيف وحده •• « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة من الله » كما يقول المسيح ، او « الدنيا مطية الآخرة » كما يقول محمد •

ومنها ، ثالثا ، ان العرب ـ دون سائر الناس ـ هم أهل الكتاب ، هم أهل القرآن ، والقرآن هو روح الله الذى اذا نفخ فى هيكل الحضارة الغربية ، الآلية ، العملاقة الحاضرة عادت اليه الحياة ، واستقامت فيه موازين القيم ، وملك القدرة على ان يسير بالبشرية الى منازل السلام ..

ومنها ، رابعا ، ان الزمان قد استدار استدارة كاملة ، وأصبحنا نعيش اليوم فى فترة تؤرخ نهاية عهد وبداية عهد .. وأصبحت منطقة العرب مسرحا لصراع حضارى جديد ، هو الصراع بين الحضارة الغربية الآلية كما يمثلها اليهود ، فيحسنون تمثيلها ، كل الاحسان ، وبين المدنية الاسلامية « الروحية ـ المادية » كما يمثلها العرب ، فيسيئون تمثيلها ، كل الاساءة .. وستكون نتيجة هذا الصراع الحضارى مولد المدنية الجديدة المرتقبة ، ان شاء الله ، ولكن على العرب ان يهبوا ، وان ينهضوا ، وان يحسنوا تمثيل المدنية الاسلامية فى كفاءة ، وكفاية ، حتى يتم التزاوج والتلاقح . ولو ان العرب كانوا فى مستوى كاف من الكفاءة والكفاية ، لما نشأت بينهم دولة اسرائيل ، بالصورة التى بها نشأت .. ولكنهم احتاجوا الى نشأة اسرائيل ، بينهم لتوقظهم من غفلتهم ، ولتنبههم الى تقصيرهم في حق ربهم ، وفى حق أنفسهم ، وفى حق البشرية عامة ! .

الاسلام

خلاصة الحل الآجل ، في كلمة واحدة ؟ ((**الاسلام** !!)) ولكن ما هو الاسلام ؟ هو ما عبر عنه القرآن الكريم « بدين الحق ـ

الله » وذلك حين قال « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا » ولكن ما معنى هذا ؟ معناه ما عبر عنه المعصوم حين قال « الاسلام دين الفطرة » وذلك اخذا عن قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .. ثم قال فى تفسير الفطرة : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، او يمجسانه » . تأمل !! كل مولود !! لم يقل كل مولود من أبناء المسلمين !! لانه يعنى كل مولود بشرى . فان الله تبارك وتعالى قال « فطرة الله التى فطر الناس عليها » فالناس كلهم كفصيلة، يختلفون عن فصائل الحيوان الاخرى . ولكنهم يتفقون فيما بينهم فى الفطرة !! فالفطرة هى العقل ! فالناس حيث وجدوا ، وكيفما وجدوا ، يتفقون فيما بينهم فى ان لهم عقولا .. ومهما كان مستوى هذه العقول ، فانها ، فى أدناها ، تميز بها أدنى الناس عن أعلى الحيوان . « كل مولود يولد على الفطرة » يولد بقلب سليم ، وعقل صافى . وهو ما نعرفه عن براءة الطفولة .. ولكن لا عبرة بسلامة قلبه ، وصفاء عقله ، لانهما صفحة بيضاء ، بلا تجارب ولا خبرة .. فاذا عايش الطفل المجتمع ، مبتدئا بأبويه ، بدأت تجاربه ، وأخذ دينه . وهو ، فى الغالب ، على دين أبويه ، وهذا معنى قوله « فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ثم هو اذا درج حتى بلغ سن التكليف أصبح وقد اكتسب من المجتمع

الصغير ومن المجتمع الكبير تجاربه ،ولكن الفطـــرة تكون حينئذ قد أمسخت ، فانحـــرف القلب عن سلامته ، وانكدر العقل عن صفائه .. فجاءت العـادات الرديئة التي يتعلمها الانسان من الوسط الذى يعيش فيه .. الحرص ، والبغض ،والجبن ، والـرياء ، والنفـــاق ، والكـــذب ، والعنف ، والكبرياء ،والادعاء ، الى آخر هذه المذام التى جمعها قوله تعالى ، « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسـبون » يعنى غطى قلوبهم ما اكتسـبوه من سيء العادات ، ولئيم الطبـاع أثناء خوضهـم في معترك الحيـاة الاجتماعيـة التى تحيط بهم .. « فالرين » الطبع والدنس . فاذا ران على القلب الطبع اللئيم انشل العقل عن الفكر السليم .. وهـذه هى آفة البشرية التى أغرت بينهـا العداوة ولا تزال تغريها .. وحاجة البشرية اليوم الى السلام على هذا الكوكب هى حاجة حياة أو موت .

أصـبح على البشرية ، على هـذا الكوكب ، بعـد ان صاروا جيرانا ، ان يتعلموا كيف يتعايشون، ان لم نقل يعيشـون ، مع بعضهم البعض فى سلام .. بعد ان ظلوا يتحاربون طوال تاريخهم ، المكتوب وغير المكتوب ، حتى لقـد بلغوا بأسلحة الحرب مبلغا يهدد الحيـاة كلهـا على هـذا الكوكب ، ان لم ينتصر فيه السلام على الحرب .

وهذه هى وظيفة الاسلام ، فى مستوى ما هو دين الفطرة .. لان غرض الاسـلام ان يرد الناس الى سلامة القلب وصفاء العقل ، وذلك برفـع الرين المكتسب فى معتـرك الحياة كما أسلفنا : قال تعـالى فى

حاجته الى سلامة القلوب « واغفر لابى انه كان من الضـــالين * ولا تخـزنى يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * الا من أتى الله بقلب سليم » سليم من الانقسام الذى يسببه سوء الطبع المكتسب.. فاذا سلم القلب فقد صفا الفكر .. وصاحب القلب السليم ، والفكـر الصافى ، قد حقق السلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع أخيه الانسان ــ طوبى له ، وحسن مآب ..

فوحدة البشرية على هذا الكوكب ، وسلامها انما طريقهما التفكير المستقيم .

والاسلام ، فى مستوى ما هو دين الفطرة ، موكل بتحقيق التفكير المستقيم .. حتى ان جماع تكاليف الاسـلام ، فى شريعة عبادته ، وفى شريعة معاملته ، انمـا هو التفكير المستقيم .. قال تعـالى « وأنزلنا اليـك الذكر لتبين للناس ما نـزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

ان الاسلام ، فى هذا المستوى ، ليس دينـا بالمعنى المألوف فى الاديان ، وانما مرحلة العقيدة فيه مرحلة انتقال الى المرحلة العلمية منه .. وليس ههنا مجال التفصيل .. فقد أفرد الحـزب الجمهورى لهذه الدراسـة كتابا باسم « الرسـالة الثانية من الاسلام » هو الآن بين أيدى القراء ، فليراجع .

عودة الاسلام

امام عودة الاسلام عقبات كثيرة ، نذكر منها أثنتين : دعوة القومية العـربية ، والدعوات السلفيـة الى الاسلام : فاما القومية العربية فقـد

أسلفنا طرفا من الحديث عنها ، وقلنا انهـا دعوة عنصرية في وقت خلفت البشرية فيـه الدعوات العنصريات وراءها ، وأخذت تستقبل عهـد الصراع الفكرى ، والمذهبى . ويزعم أنصـار هذه الدعوة انها ليست عنصرية بحجة انها دعوة لا تستعلى بعنصريتها على أحد ، ولا هى تدعو لاضطهاد العنصريات الاخـريات ، وأمرهم فى هذا جد يسير ، فكونها لا تذهب فى شـطط العنصرية الى هذا الحد البشـع لا ينفى عنهـا كونها عنصرية .. وقد ينفى عنهـا كونها عنصرية متطـرفة .. ونحن لا نريد الدعوات العنصريات وان كانت موزونة ، ومعتـدلة وذلك لانها لا تقوم على مذهبية .. وأسوأ من ذلك ، فانها تصبح مطية ذلولا حتى للدعوات الالحاديات الفاجرات .. ويكفى ان القومية العربية هى اليوم مطية للشـيوعية الدوليـة متقمصة اسما جذابا للعرب ، وحبيبا الى نفوسهم « الاشتراكية العربية »

اما القوميـة العربية ، عند البعثيين فى سوريا ، فانها دعوة بادية العداوة للاسلام . وهى ، فى هذا المضمار ، شر من الشيوعية الدولية ، لان خطرها ملبس على العـرب . وما هكذا الشـيوعية .

هذه الدعوة يجب ان تعرى ويكشف مبلغ تضليلها للعرب ..

واما الدعوات السلفية للاسلام فان امرها ضعيف ، وهى بالطبع ستصرف الناس الى حين عن الفهم الصحيح للدين .. ، ولكن ، لانها لا تنطوى على فكـر ، ولا تملك سلطة على رقاب الناس ، فلن يطول الوقت الذى تتكشف فيه جهالاتها .

ان الاسـلام لن يعود ببعث الشريعة الاسلامية ، ولا بالدستور

الاسلامى الذى يتحدثون عنه بغير فهم ، ولا عقل ، وانما سيعود ببعث « لا اله الا الله » لتكون خلاقة فى صدور الرجال والنساء ، كما كانت أول مرة ، حين انبعثت فى القرن السابع الميلادى ، فى ارجاء الجزيرة العربية على يدى النبى ، الامى ، محمد بن عبد الله ، وببعثها هكذا يبعث الرجال ، والنساء ، من هذا الموت الذى يعيشونه ..

ويرتفع عمود التوحيد ، من جديد ، الى مستوى جديد ، ينكره حتى الذين يدعون اليوم لانفسهم التوحيد . وبذلك تتحقق النبوءة العظيمة « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ . فطوبى للغرباء !! من الغرباء يا رسول الله ؟؟ الذين يحيون سنتى بعد اندثارها !! » — يومئذ يتحقق النبأ العظيم ..

سيعود الاسلام بالفهم الواعى ، الرشيد للاسلام ، ثم بالتبشير به !. لان الفهم الواعى ، الرشيد ، سيخلص الى علومه المكنونة ، والتبشير به سيعرضه فى مستوى حل مشاكل البشرية المعاصرة الضاربة فى التيه وقد لفتها الحيرة .. في مستوى حل مشاكل الافراد ، والجماعات ، وذلك أمر قد فصلنا فيه ، نحن الجمهوريين ، القول فى كتب عديدة ادخلها فى هذا الباب ثلاثة :

* طريق محمد .
* رسالة الصلاة .
* الرسالة الثانية من الاسلام .

وعلى الله قصد السبيل .

خاتمـــة

اما بعد فهـذا كتاب اريد به ان يكون وصفة لعلاج شاف لداء العرب حتى يطبوا لانفسـهم ، ثم ليصبحوا فيما بعد ، بفضـل الله ثم بفضـل الاسـلام ، اطباء للانسـانية التى انهكها المرض ، وقعد بها عن منازل السلام .

وهو بعد كتاب اتسم بالصدق ، والجرأة ، وصراحة المواجهة . فمن آذته ، من القراء هذه الصراحة فليعلم ان أمرنا كله جد . وعندنا ان وقت التدليس ، وتمويه الحقائق ، وتمليق الشـعور ، ودغـدغة العواطف النواضب ، قد ولى الى غير رجعة ، وان على الناس أن يرتفعوا الى منازل الرجولة المسـئولة التي تقوى على مواجهة المسئولية فى عزيمة الاحرار .

بايجاز ! العـرب انهزموا لان داخليتهم فاسـدة .. فاخـلاق الشـعوب العربية قائمـة اما على قشور من الاسـلام ، أو على قشور من المدنية الغـربية ، او على قشور من كليهما .

وهم لن ينتصروا الا اذا أقاموا اخلاقهم على لباب من الاسـلام ، ولباب من المدنيـة الغربية ـ مدنية الاسلام الروحية ـ المـادية ..

وهذا لا يتأتى ، على الاطلاق ، بالسير وراء الزعامات الحاضرة .. جمال عبد الناصر والقومية العربية ـ فيصل والتفكير الاسلامى ، السلفى ، المتخلف ..

لابد من الثورة الفكرية وسط الشـعوب العـربية ، وذلك بعودة « لا اله الا الله » فى بسـاطتها ، ونقاوتها ، وصدقها ، كعهدنا بها فى القرن السابع الميـلادى فى شعاب مكة ، وارجاء الحجاز ..

لابد من « لا اله الا الله » جديدة من منجمها ـ حديثة عهد بربها .

هذه خلاصة هذا السفر ... ..

الفهرست

الصفحة

الاهـداء ٣

مقـدمة ٣

الفصل الاول

صوره الاشياء ٩

الوحـدة ١٢

الثنائية ١٨

الفصل الثانى

قضية فلسطين ٢٧

تأميم قناة السويس ٢٧

العدوان الثلاثى الاول ٣٠

العدوان الثلاثى الثانى ٣٩

قلة حنكة الزعماء العـرب السياسية ٣٩

عدم صدق الزعماء العرب ٤٩

قلة حنكة الزعماء العرب الدبلوماسية ٥٢

قلة حنكة الزعماء العـرب العسكرية ٥٣

الفصل الثالث

أخطاء الزعماء العرب ٥٤

القومية العربية ٥٤

ما يسمى بالنظم الثورية العربية ٥٧
الدكتاتورية العسكرية ٥٩
الشيوعيون يورطون جمالا فى الاخطاء ٦٢
عداوة الغرب للعرب ليس سببها ....
الاشتراكية ٦٨
البحث عن كبش الفداء ٦٨
خطب جمال من أسباب هزيمة العرب ٧٠
غرور الزعامة ٧٢
الرضا عن النفس وتحقير شأن العدو ٧٣
المفارقة بين القول والعمل ٧٤
الزعماء العرب هم سبب هزيمة العرب ٧٥

الفصل الرابع

الغفلة ٧٧
اليهود فى التاريخ ٧٩
الخروج من مصر ٨٣
فتح فلسطين ٨٥
مملكة اليهود ٨٦
أنقسام المملكة والسبى ٨٨
العودة من السبى ٩٠
اعادة بناء الهيكل ٩١

جمهورية يهودية ٩٦
نهاية اليهود كدولة ٩٨

الفصـــل الخامس

العنصرية الاسرائيلية ١٠١
الحركة الصهيونية ١٠٥
مشكلة فلسطين ١٠٩
الانتداب وهجرة اليهود ١١١
معارضة وعد بلفور ١١٣
قرار التقسيم ١١٥
لجنة تحقيق ١١٦
اللجنة السياسية الخاصة ١١٩
مقاومة التقسيم ١٢٧
الحرب بين العرب واليهود ١٣٠
الهـــدنة ١٣٣
مشكلة اللاجئين ١٣٤
لجنة التوفيق الدولية ١٣٥

الفصـــل السادس

ترسيخ اقدام اسرائيل ١٣٩
دولة اسرائيل قديمة ١٤٧

الاعتراف باسرائيل من مصلحة العرب ١٤٩
لماذا لا يواجه العرب مشكلتهم بشجاعة ١٥١
الروس يضللون العرب ١٥٥
الامم المتحدة ومشكلة الشرق الاوسط ١٦٠

الفصل السابع

شجاعة المراجهة ١٦٤
المفاوضات المباشرة ١٦٩
الحل على مرحلتين ١٧٩
الحل العاجل ١٨٠
الحل الآجل ١٨٣
الاسلام ١٨٦
عودة الاسلام ١٨٩
خاتمة ١٩٢
مصادر البحث ١٩٣

مصـــادر البحث

١ ـ القرآن الكريم	
٢ ـ الكتاب المقدس ـ التوراة	
٣ ـ قضايانا فى الامم المتحدة	لمؤلفه خيرى حماد
٤ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين	الدكتور فيليب حتى
٥ ـ الديمقراطية والشيوعية	وليم اينشتين
٦ ـ لمحات من تاريخ العالم	جواهر لال نهرو
٧ ـ الامم المتحدة	هارولد كورلاندر
٨ ـ المادية الديالكتيكيـة والمادية التاريخية	أستالين
٩ ـ أضواء على قناة السويس	وزارة الارشاد القومى المصرية
١٠ ـ العـدوان الانجلو امريكى الاسرائيلى	الهيئة البرلمانية للحزب الشيوعى السودانى
١١ ـ مجلة الجديد البيروتية	
١٢ ـ مجلة الطليعة الدمشقية	العدد الخاص بعدوان ٥ يونيو
١٣ ـ مجلة القلم السودانية	العدد الخاص عن حرب فلسطين
١٤ ـ جريدة الاهرام المصرية	
١٥ ـ جريدة الايام السودانية	
١٦ ـ جريدة الرأى العام السودانية	
١٧ ـ مشروعات الـدفاع عن الشرق الاوسط	دكتور راشد البراوى

تصويب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٢	١٨	الخماس ة	الحماس
١٢	١٣	لا يجىء	والتفكير المستقيم لا يجىء
١٢	١٦	لا يهمهما	لايهما
١٤	١	الخط	الخبط
١٤	٢٠	الثامن العشر	ابنامن عشر
١٥	٧	الاذكياء	غير الاذكياء
٤٦	١٣	وثانيهما	وثانيتهما
٩٣	٢	بكنيا	يكنيا
٩٥	٤	مملكات	ممتلكات
٩٦	٥	ماتاينتاس	ماتاتياس
٩٦	١٢	فظهر	فطهر